

تأليف

الشيخ أحمد الرشيدى

حققته وكتبت له المقدمة والحواشى
الدكتورة
ليلى عبد اللطيف أحمد
مدرس التاريخ الحديث بكلية الدراسات الإنسانية
"فرع البنات" جامعة الأزهر

١٩٨٠

الناشر
مكتبة الخانجى بمصر

حسن الصفا والابتهاج

بذكر من ولى امارة الحاج

المحتويات

الإهداء

الى المسلمين فى جميع أنحاء الارض

أهدى هذا الكتاب

- ليذكروا كم كانت رحلة الحج الى بيت الله الحرام شاقة ومجهدة ·
- وكم تحمل المسلمون الأوائل من جهاد فى سبيل التمسك بأركان الاسلام ·

بسم الله الرحمن الرحيم

التقـــديم

فى الصفحات التالية يسعدنى أن أنشر للمرة الأولى المتن الكامل لكتاب « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج » وهو من المصادر النــادرة ، التى تؤرخ لموضــوع الحج فى مصر ابان الحكم العثمانى وقد قدم الشيخ أحمد الرشيدى فى مؤلفه هذا صورة وافية لكل ما يتعلق بموضوع الحج الى بيت الله الحرام ، وامارة الحــاج منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى النصف الثامن من القرن الثانى عشر الهجرى الثانى عشر الميلادى .

واعتقد أن الشيخ المؤرخ قد سجل ما يتعلق بالفترة الاسلامية الأولى ، جريا على عادة المؤرخين التقليدين من عنايتهم بذكر الاحداث التى جرت فى الدولة الاسلامية فى العهد السابق للعهد العثمانى فى الوطن العربى ، مثلما فعل الاسحاقى ، وابن أبى اسرور البكرى ، والجبرتى فى مقدمته عن تاريخ مصر الاسلامية .

وتنحصر أهمية كتاب « حسن الصــفا والابتهاج » فى الجــزء الخاص بمصر العثمانيــة ، والذى تناول فيــه المؤلف « نظام امارة الحاج فى مصر » منــذ عام الفتح فى ٩٢٣ هـ ــ ١٥١٧ م حتى عام ١١٧٨ هـ ــ ١٧٦٤ م .

وقد أخذ منى تحقيق هذا الكتاب جهدا كبيرا ووقتا طــويلا ، وكثيرا ماساءلت نفسى ، لماذا لم أنفق هذا الجهد ، وذلك الوقت فى تأليف كتاب خاص بى ، وسرعان ما يأتينى الجواب ، بأنه من واجبى كباحثة فى تاريخ مصر ابان الحكم العثمانى ، أن أســهم ببعض من جهدى ، فى تحقيق ونشر جــزء من مصادر ذلك العصر التى ما زالت ــ على الرغم من أهميتها ــ مخطوطة ، وبذلك أكون قد شاركت فى

حفظ تلك المصادر ، ونشرها للباحثين ، للافادة منها ولجلاء بعض الغموض ، الذى ما زال يكتنف صورة هذا العصر •

وأعتقد أن على كل باحث فى تاريخ العصر العثمانى حق ودين لهؤلاء المؤرخين المعاصرين ، الذين تناولوا بالبحث والدراسة هذا العصر ، من جميع الزوايا ، والذين كاد الاهمال والنسيان أن يتلفا ما كتبوا ، رغم أنه يقدم صورة حية ونابضة لذلك العصر •

فعلى أكون قد وفقت فى اختيار هذا الاتجاه الذى مضى ومازال يمضى فيه بعض الزملاء والزميلات •

والله ولى التوفيق •

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد
حمامات القبة
فى يوم الخميس ١٣ ديسمبر سنة ١٩٧٩

القسم الأول

الفصل الأول

العثمانيون ونظام الحج فى مصر ابان العصر العثمانى

الفصل الثانى

المخطوط ، ومؤلفه ، وناسخه ، وخطه العمل فى تحقيقه ، وما يحويه من معلومات

الفصل الأول

العثمانيون ونظام الحج فى مصر ابان العصر العثمانى

لقد اشتهرت الدولة العثمانية ، بحرصها على اقامة الشعائر الاسلامية وتعظيم العلماء وأهل الدين ، والتمسك بخدمة الحرمين الشريفين فعندما كتب السلطان سليم الاول الى السلطان طومان باى بعد أن تم له فتح الشام فى عام ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م يطلب منه أن يحكم مصر باسمه ، جاء فى خطابه اليه العبارة التالية « أنا خليفة الله فى أرضه، وأنا أولى منك بخدمة الحرمين » (١) .

وعندما فتح السلطان سليم مصر (٢) فى عام ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م خطب له على المنابر بأنه « مالك البحرين ، وكاسر الجيشين ، وخادم الحرمين » . اذا فقد حرص السلطان سليم منذ بداية دخوله الى البلاد العربية ، على تأكيد اهتمامه بشئون الحرمين ، وبصفة عامة أبدى السلاطين العثمانيون اهتماما بالغا بشئون الحرمين وحاولوا دائما منذ استيلائهم على الشام ومصر الظهور بمظهر حماة الاسلام ، العاملين على تدعيم أركانه ، واعلاء شأنه ومن هنا جاء حرصهم على استمرار قيام المسلمين برحلة الحج الى بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج .

وبالرغم من أن أحداث الفتح قد أدت الى تعطيل خروج قافلة الحج من مصر والشام فى عام ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م فقد حرص السلطان سليم ، على ارسال كسوة الكعبة الشريفة ، مصحوبة بالصدقات التى

---

(١) محمدأحمد ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور نشر وتحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦١ الجزء الخامس ص ١٢٥ .

(٢) د. ليلى عبد اللطيف :

١ — الادارة فى مصر فى العصر العثمانى القاهرة ١٩٧٨

٢ — دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام أبان العصر العثمانى القاهرة ١٩٧٩

كانت ترسل من قبل الأهالى مكة والمدينة وقد تم ارسال ذلك على يد طواشى من البحر الاحمر .

وقد أقر السلطان سليم أثناء استعراضه لبنود مصاريف ولاية مصر المبلغ الذى كان يعرف باسم « صرة الحرمين » والذى كان يرسل من بيت مال المسلمين الى فقراء الحرمين (١) وفى العام التالى بعد فتح مصر أمر السلطان سليم باعداد كسوة فاخرة مزركشة كلها وكتب اسمه عليها وأرسلت للكعبة الشريفة (٢) كما اهتم السلطان أيضا باخراج قافلة الحج من مصر فى هذا العام ٩٢٣ هـ وأعطى تعليماته لخاير بك حاكم مصر من قبله بالحرص على راحة الحجاج ، واعداد بعثة تحمل المؤن والملابس والمشروبات وتلاقى الحجاج فى طريق عودتهم بعد أداء الفريضة تقابلهم تلك البعثة فى العقبة والازلم (٣) وهى ما عرف (بالملاقات الازلمية) (٤) وقد أفرد لرئيسها « الازلم باشى » مبلغ خاص من خزينة مصر لمساعدته على أداء مهمته على خير وجه .

وقد عنى خاير بك أول حاكم لمصر فى ظل النظام العثمانى باخراج

---

(١) ضبط السلطان سليم مبلغ الصرة التى كانت ترسل لاهالى الحرمين عى طريق الدفاتر التى وجدت بالخزينة والتى كان مدونا بها أسماء الاشخاص الذين كانوا يحصلون على هذا المبلغ سنويا وقد أبقى أيضا على الأوقاف القديمة التى كان السلاطين المماليك قد خصصوها لأهل الحرمين ، مثل وقف الدشيشة الكبرى الذى يرجع الى السلطان قايتباى والذى كان يرسل فى صورة أموال وغلال الى أهالى الحرمين . وقد نقصت قيمة ايرادات هذه الاوقاف فيما بعد بسبب تدخل الأمراء المماليك ونهب النظار ابن أبى السرور البكرى : النزهة الزهية ص ٧٦ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٢١٨ وأرسلت هذه الكسوة من البحر لاضطراب طريق البر بسبب أحداث الفتح العثمانى.

(٣) العقبة : محطة هامة من محطات الحج المصرى وتقع على خليج العقبة : وكانت بها قلعة ومخازن لتعيينات الحاج ، الأزلم : احدى محطات الحج المصرى وتقع جنوب العقبة .

(٤) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج تحت رقم ٨٢ تاريخ ص ٤٨ ابن اياس : المصدر السابق ص ٣٢١

قافلة الحاج فى أحسن صورة وأكمل اعـداد ، ونرى ذلك واضـحا فى الوصف الذى قدمه ابن اياس لاول قافلة للحاج فى العصر العثمـانى فى مصر فى ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م قال :

« يوم الاثنين سابع عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل حافل ، وكان أمير ركب المحمل فى هذه السنة القاضى علاء الدين ابن الامام ناظر الخاص ، الذى قرر فى كتابه السر ، وقد خرج الحاج فى هذه السنة ركبا واحدا الاول والمحمل سوى وكان الحاج فى هـذه السنة قليلا جدا خوفا من فساد العربان فى الطريق » .

ولم تبخل السلطة الحاكمة فى اعداد المحمل والكسوة فقد «خرج القاضى ناظر الخواص ، وطلب طلبا حربيا (١) يشتمل على أربعة نوب هجن ، بأكوار مخمل ، وبعض خيول جنايب وعليها بركستوانات فولاذ، وشىء بكفابيش زركش ، وثلاث خزائن بأغشية حرير أصفر ، ومحفة جوخ أزرق ، وقدامه طبلان وزمران من غير صنجق ، وقـد احتفـل بعمل سنيح حافل (٢) بسبب من حج معه من العثمانيـة فى هـذه السـنة) (٣) .

ولمـا شق القاهرة كان قدامة جماعة من الامراء المماليك وجمـاعة من أمراء ابن عثمان ، ومن عسكره ، وركب قدامة سائر أعيان المباشرين، ثم أتى بعده المحمل ، وقدامة القضاة الاربعة على العادة ، وقرر خاير بك قاضى القضاة المالكى محى الدين يحيى بن الدميرى قاضى المحمـل ،

---

(١) طلب : كان معناه الأمير الذى يقـود مائتى فارس فى ميـدان القتال ، وأول اسـتخدام هـذا اللفظ فى مصر كان فى عهد السـلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم عدل مـدلوله فأصـبح يطلق على الكتيبة من الجيش .

المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٤٨

(٢) السنيح : أى القـافلة التى تحمـل الأطعمة اللازمة لأمـير الحاج وخاصته .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٥ احداث عام سنة ٩٢٣ هـ

وألبسه قفطان مخمل مزهرا ، وحج آخرون من الاعيان ، وقد جــدد ابن عثمـــان كسوة المحمل فى هذه السنة ، فصنع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها اسمه ، فلما شقوا من القاهرة كان لهم يوم مشهود على العادة القديمة) (١) .

وقد لاقى الحجاج فى هذا العام مشقات كثيرة بسبب اضطراب الاحوال الناتج عن أحداث الفتح العثمانى ، وعدم استقرار السلطة فقد أدى ذلك الى شدة الغـــلاء بمكة وموت الجمال ، وكثرة هجمـــات العربان على قافلة الحاج فى الطريق — وقلة العليق « حتى مشى غالب الحاج على أقدامه فى الرجعة » .

زد على ذلك متاعب واجهتهم بها الطبيعة ذاتها من كثرة الامطار والســـيول (٢) .

وقد خفف عن الحجاج متاعبهم التى لاقوها معاملة أمير الحـــاج الطيبة لهم وقد تحدثوا بذلك بعد العودة بذلك .

« فأثنوا على ناظر الخاص ، فيما فعله بالحجاج فى الطريق ، من البر والصدقات وفعل الخير ، وكان اذا رأى أحدا من الحجاج منقطعا يركبه على جماله ، وينعم عليه بالمـــاء والبقسماط فى الطلعة والرجعـــة ، فرجع الحجاج وهم عنه رضوان فيما فعله بهم ، وقد رفق بهم فى مشى الركب بسبب المنقطعين من الحجاج ، وقد أثنوا عليه خيرا فى هذه الســـنة » (٣) .

وقد تابع خاير بك (٩٢٣ هـ — ٩٢٨ هـ) — (١٥١٧ م — ١٥٢٢ م) سياسة السلطان سليم التى أوصاه باتباعها . والتى تقضى بضرورة خروج قافلة الحاج من مصر سنويا الى الاراضى المقدسة ، والاستعداد

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٢١٨ ، ٢١٩

(٢) نفسه ص ٢٣٨ وكانت عودة الحاج فى ٢٨ المحرم سنة ٩٢٤هـ

(٣) نفسه ص ٢٣٩

لذلك الخروج قبل موعده بوقت مناسب ، ويبدأ ذلك بتعيين الامير الذى سيقود قافلة الحاج ويكفل لها السلامة فى الذهاب والعودة وقد قدم لنا مؤرخ السنوات الاولى من الحكم العثمانى فى مصر ابن اياس ، وصفا طريفا لموكب أمير الحاج أو أمير ركب المحمل كما كان يسمى فى السنوات الاولى من حياة مصر ابان الحكم العثمانى قال « فى السبت خامس عشر ربيع أول (١) أخلع ملك الامراء خاير بك ، على الزينى بركات بن موسى المحتسب (٢) واستقر به أمير ركب المحمل ، فأخلع عليه قفطان مخمل مذهبا ، ونزل من القلعة فى موكب حفـــل ، وقـــدامة أعيان المباشرين والامراء العثمانية ، وجماعة من الامراء الجراكسة ، والمماليك ، وركب قدامة قضاة القضاة فرجت له فى ذلك اليوم القاهرة ، وزينت له الدكاكين، ووقدت له الشموع ، وعلقت له الاحمال بالقناديل ، ولاقته مشـــايخ العربان من بنى حرام ، وكاشف الشرقية ، ومشت قدامة جماعة من الانكشارية نحو مائتى انسان يرمون بالنفوط ، ومشت قدامة جمـــاعة من القواسة نحو ثلثمائة قواس ، ومشت قدامة السقاءون يرشـــون المـــاء بطول الطريق ، ومشت قدامة الضوية بالمشاعل ، وعليها الفوط الزركش ، ومشت قدامة جميع الرسل قاطبة ، وبأيديهم العصى ، ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية مثل مواكب السلاطين ، ولاقاه المغانى من النساء بالطارات وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكان ذلك اليوم من الايام المشهودة فلما نزل الزينى بركات بن موسى الى داره أنعم على الانكشارية بثلاثمائة دينار ، وأنعم على القواســـة

---

(١) كانت العادة المتبعة فى مصر العثمانية أن يخلع الباشـــا على أمير الحاج ويوليه منصبه فى شهر ربيع الأول أو الثانى على الأكثر من كل عام ليبدأ الاستعداد لرحلة الحاج قبلها بوقت كاف .

(٢) القاضى موسى بن بركات المحتسب من رجال الادارة فى العصر المملوكى فقد كان يشـــغل منصب المحتسب من عهـــد السلطان الغورى حيث بلغ مكانة كبيرة ولما تولى خاير بك عهد اليه بمهمة الحسبة واستمر فى شغل هذه الوظيفة حتى بداية عهد مصطفى باشـــا أول وال عثمانى لمصر الذى عزله من منصب المحتسب فى عام ١٥٢١ م

ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٣٠١ ، ص ٤٩٢

والسقائين أيضا بمبلغ جيد »[١] وقد كان هذا آخر ما وصله الزينى بركات من العزة والتكريم [٢] .

ولما عاد موكب الحاج فى ٢٨ المحرم سنة ٩٢٤ نزل الحاج بالبركة لأخذ بعض الراحة من رحلة العودة [٣] وتناول أمير الحاج غداءه فى البركة « بركة الحاج » ثم ذهب فى اليوم التالى الى القلعة لمقابلة ملك الامراء ، أو « أمير الامراء » خاير بك ، الذى منحه خلعه السلامة « فأخلع عليه قفطان مخمل أحمر مذهبا »[٤] ثم نزل أمير الحاج من القلعة ومر فى القاهرة فى موكب حافل ، وظل الامر كذلك طوال فترة الحكم العثمانى فى مصر ، فقد كان أمير الحاج يذهب لمقابلة الباشا بعد عودته من رحلة الحاج ، ويحدثه عما لاقاه الحجاج فى رحلتهم من راحة أو تعب ، وكلما كان دور أمير الحاج عظيما فى العناية بقافلة الحاج، كلما كانت الخلعة التى يخلعها عليه الباشا فى هذه المناسبة ثمينة وقيمة.

وقد حرص السلاطين العثمانيين على رصد الاوقاف التى ينفق منها على شئون الحاج ، وعلى فقراء ومجاورى الحرمين ، وانشاء المبانى والمآثر بالحرمين ، وعلى طول طريق الحج من القاهرة الى مكة. فالسلطان مراد خان « الثالث » ابن السلطان سليم الثانى (٩٨٢ هـ — ١٠٠٣ هـ) — (١٥٧٤ م — ١٥٩٥ م) أنشأ تكية بالمدينة المنورة ورباطا وعين لها موظفين كما أمر بتقديم الطعام لمن يلجأ الى تلك

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ص ٢٤٦

(٢) كان لأمير الحاج هذا وضع خاص بوصفه محتسبا فقد نادى أعوانه فى القاهرة على أرباب الدكاكين من السوقه يبيضون دكاكينهم ويزخرفونها بالدهان ، ويبيضون آلات النحاس التى عندهم فى الدكاكين لأجل مجىء القاضى بركات المحتسب من الحجاز .
ابن اياس : نفسه ص ٢٨٧

(٣) ولعل فترة الراحة هذه كانت بمثابة الحجر الصحى الذى لم يبدأ تطبيقه على الحجاج فى مصر الا فى سنة ١٨٩٣ حيث أقيم المحجر الصحى فى الطور .

(٤) نفسه ص ٢٨٩

التكية من مجاورين وفقراء وأوقف على ذلك نحو تسعة عشر قرية من قرى مصر ، يحصل منها سنويا حوالى ٣٠٠٠ أردب من الغلال وتدر ايرادا يبلغ ستة وثلاثون كيسا من النقود ، ويرسل الايراد نقدا وعينا الى الحرمين للانفاق على التكية والرباط ، وتقديم المرتبات لبعض الاهالى • وعرف ذلك الوقف بوقف المرادية •

١٠١٢ هـ) — (١٥٩٥ م — ١٦٠٣ م) فعمر تكية بظاهر المدينة المنورة ، وأوقف قرى من مصر ، تدر سنويا حوالى أربعين كيسا من المال ونحو ٢٠ ألف أردب من الغلال ، يرسل ذلك كل عام الى الحرمين وأشير الى ذلك الوقف باسم وقف المحمدية •

ثم أوقف السلطان أحمد الاول ابن السلطان محمد (١٠١٢ هـ — ١٠٢٦ هـ) — (١٦٠٣ م — ١٦١٧ م) أوقافا من أرض مصر أيضا خصصها للانفاق على أهل الحرمين ، ويصل ايراد هذا الوقف الى مبلغ ثلاثة وعشرين كيسا ، كسور ٦٠٢٨ فضة أو بارة (١) ويعرف هذا الوقف باسم وقف المحمدية (٢) •

وقد عرفت الايرادات المحصلة من هذه الاوقاف الثلاثة ومن وقف الدشيشة باسم « الصرة الرومية » أى التركية وذلك تمييزا لها من الصرة المرسلة من مصاريف خزينة مصر وهى التى عرفت بالصرة الارسالية •

---

(١) الكيس يساوى ٢٥٫٠٠٠ بارة والبارة أو النصف فضة أو الفضة هى أصغر عملة فضية فى مصر العثمانية وهى = ١/٤٠ من القرش وترد كثيرا فى مصادر العصر العثمانى باسم ميدى •

(٢) عن هذه الأوقاف انظر :

— حسين أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية نشر وتحقيق محمد شفيق غربال مجلة كلية الآداب المجلد الرابع ج ١ مايو سنة ١٩٣٦ السؤال الثامن •

— مصطفى لاصفوى الشافعى القلعاوى : صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج ٥١ تاريخ ص ١٤٥

وتشتمل الصرة الرومية على الاموال النقدية والغلال المتحصلة من الاوقاف السلطانية ، وتسلم الى أمير الحاج سنويا منفصلة عن باقى مخصصات الحرمين التى ينفق منها على رحلة الحج ويدفع منها مرتبات لبعض الموظفين المختصين بالعمل فى الحرمين ولبعض أهالى الحرمين .

وقد تابع الباشاوات العثمانيون فى مصر سياسة الاهتمام بشئون الحج ، والعمل على راحة الحجاج ، وذلك بالعمل الدائم لتمهيد طريق الحاج ، وحفر الآبار التى تردم فيه أو انشاء آبار جديدة ، واقامة القلاع والمحطات التى تعمل على توفير الحراسة والراحة للحجاج فقد أنشأ داود باشا (٩٤٥ هـ — ٩٥٦ هـ) — (١٥٣٨ م — ١٥٤٩ م) خانا أى فندقا خارج القاهرة على الطريق الى بركة الحاج ، كما أمر فى عام ٩٥١ هـ — ١٥٤٤ م بلقامة حوض على بئرين قديمين فى بركة الحاج (١) لتوفير المياه للحجاج ، كما أنشأ بجوار الحوض بستانا ومحرابا للصلاة ، وأواوين يجلس عليها المسافرون من الحجاج ليستريحوا من التعب ، كما أمر هذا الباشا بانشاء قلعة الازلم الى الجنوب من العقبة لتأمين طريق الحاج وتزويده بالمؤن فى العودة كما أمر أيضا بانشاء قلعة المويلح على الساحل الشرقى للبحر الاحمر ، على

---

(١) بركة الحاج : قرية كانت تقع شمال شرقى القاهرة بنحو خمس ساعات ، وقد عرفت ببركة الحاج ، لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحجاز فى كل سنة ، ونزولهم بها عند العودة ، ومنها يدخلون الى القاهرة ، وطريقها فضاء ، وحصباء ، ورمل ، وكان بها كثير من النخل ، وبعض السكان والبيوت ، وبها فسقية قديمة للمياه أقيمت من العصر المملوكى فى عصر الأشرف برسباى سنة ٨٢٨ هـ ، وأنشأ بجانبها بئرا وبستانا ، وبركة الحاج الآن تمثل احدى نواحى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية .

على مبارك : الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . القاهرة ١٣٠٥ ج ٩ ص ٦٨

محمد رمزى : القاموس الجغرافى قسم ٢ ج ١ ص ٣١

طريق الحاج لحراسة الطريق ، وتأمين الحجاج ، وخصص لها جندا من المتفرقة لأداء تلك المهمة وذلك فى عام ٩٤٥ هـ — ١٥٣٨ م .

وقد اهتم باشاوات مصر دائما بتزويد القلاع القائمة على طريق الحاج فى السويس ، عجرود (١) ، الطور بالجند ، والاسلحة والمؤن (٢).

واهتم كثير من باشاوات مصر العثمانيين بتعمير وترميم السواقى المقامة فى محطات الحج ، وحفر آبار جديدة وذلك لتوفير المياه للحجاج من هؤلاء الباشاوات أبو بكر باشا (١٢١١ هـ — ١٢١٣ هـ) — (١٧٩٦م — ١٧٩٨ م) الذى أمر بتعمير وترميم سواقى قلعة نخل ، وعجرود ، وحفر آبار جديدة بطريق الحاج ، وخصص لهذا الغرض مبلغ ثمانية أكياس من الخزينة الارسالية للسلطان فى عام سنة ١٢١١ هـ — سنة ١٧٩٦ م (٣).

وقد حرص أمراء الحاج من المماليك على متابعة سياسة السلاطين والباشاوات العثمانيين ، فعملوا دائما على الاهتمام بشئون الحجاج ، والعمل على راحتهم ، واقامة المنشآت والمبانى ، وحفر الآبار ، وتمهيد الطرق للتخفيف من مشاق رحلة الحج ، وتوفير الامن والراحة لحجاج بيت الله الحرام ، وفى كتاب « حسن الصفا والابتهاج ، بذكر من ولى امارة الحاج » الذى ننشره هنا تفصيل واف لاعمال هؤلاء الامراء فى هذا الصدد .

وقد عمل العثمانيون فى مصر دائما ومنذ بداية عهدهم كما قدمنا على استمرار خروج قافلة الحاج ، وركب المحمل من مصر الى الاراضى المقدسة سنويا ، وقد ارتبطت هيبة السلطان فى نظرهم بوصفه خليفة

---

(١) قلعة عجرود فى الطريق بين السويس والقاهرة ، وقد أصلحها وبناها السلطان سلم الاول ، وتقع فى جنوب غربى السويس وقد أعيد بناؤها فى عام ١٠٠٥ هـ — ١٥٩٦ م .

(٢) عن تلك القلاع وأهميتها انظر :
د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر ص ٢٠٦

(٣) دار الوثائق بالقلعة : دفتر اجمال مصاريف خزينة ارسالية لسنة ١٢١٠ هـ ، سنة ١٢١١ هـ .

للمسلمين ، وراعيا للاسلام بخروج قافلة الحاج الى مكة . مهمـا كلف ذلك الخزينة من أموال . فقد خصص السلاطين العثمانيون وخاصة فى عهد السلطان سليم الاول ، وابنه السلطان سليمان المشرع مبلغا كبيرا من ايرادات ولاية مصر للانفاق على الحرمين الشريفين ، ورحلة الحاج الى الاراضى المقدسة ، وأعطى الباشا فى مصر الحق فى خصم أى مبلغ اضافى يلزم لهذا الغرض من مبلغ الخزينة الارسالية للسلطان (١) وكان أول عمل يقوم به الباشا بعد طلوعه الى القلعة وجلوسه للحكم ، هو أن يعتمد « حوالات الحرمين » أى المبالغ المقرر انفاقها على الحرمين، وشئون الحاج ، ويكون ذلك فى العادة قبل بداية موسم الحج بعـدة أشهر حسبما يصل الباشا سواء أكان ذلك فى شهر رمضان أو رجب أو غيرهما من الشهور ، وقد خصص لأمير الحاج مبلغ مائتى كيس تعطى له للانفاق على اعداد قافلة الحاج ، ودفع عوائد العربان ، واستئجار بعض الحراس من المماليك والمغاربة ، لمساعدته فى تأمين طريق الحجاج،

---

(١) الخزينة الارسـالية هى فائض واردات مصر على مصروفاتها وكان من المقرر ارسالها سنويا من مصر الى استانبول ويشار اليهـا باسم « الخزينة الارسالية الى الابواب الشريفة الخنكارية » .

وقد توسع الامراء المماليـك فى القرن الثـامن عشر فى استخدام حق الباشا فى تحميل الخزينة الارسالية المبالغ الاضـافية اللازمة لرحلة الحاج مثل النفقة المطلوبة لمساعدة أمير الحاج وتكاليف اعـداد الكسوة الشريفة وأجرة القوارب المطلوبة لحمل غلال الحرمين . فمثلا فى عام ١٢١٠ هـ ، سنة ١٢١١ هـ خصم من مبلغ الخزينة الارسـالية بأمر من الباشا وسعى من هؤلاء الأمراء :

١ — مبلغ ٢٠٠ كيس لمساعدة أمير الحاج .
٢ — مبلغ ٤٠ كيسا لانعام شريف مكة .
٣ — مبلغ ٤٤ كيسا تحت زيادة أسعار كسوة شريفة .
٤ — مبلغ ٥٥٠٠ بارة أجرة مهمات حرمين .
٥ — مبلغ ٦ أكياس أجرة تعمير وتنظيف آبار قلعة وجه .
٦ — مبلغ ٨ أكياس لتعمير وترميم سواقى نخل وعجرود .

دار الوثائق بالقلعة : دفتر اجمـالى مصاريف خزينـة ارسـالية سنة ١٢١٠ هـ ، سنة ١٢١١ هـ .

وذلك بالاضافة للحراسة الرسمية التى كان يقوم بها رجال الفــرق العسكرية « الأوجاقات » وقد ظل هذا المبلغ أو هذه الاعانة التى تعطى لأمير الحاج فى ازدياد بسبب ارتفاع الاسعار الذى كان يطرد عــاما بعد عام حتى وصلت الى ٨٠٠ كيس سنويا (١) وكان يشار اليهــا باسم « مساعدة أمير الحاج » وتصرف هذه الاعانة أو المساعدة لأمير الحاج بعد صدور الامر السلطانى بتعيينه فى هذا المنصب ، فقد كان تعيين أمير الحاج يتم بخط شريف سلطانى أى بأمر من السلطان بعد ترشيح باشا مصر ، الذى يلبس أمير الحاج خلعه المنصب عند صدور الامر السلطانى بالتعيين ويشار الى المبلغ الذى يخصم من حساب خزينة مصر ســنويا لحساب الحرمين ، ورحلة الحج باسم : « اخراجات حرمين شريفين » ويخصص لشراء مواد عينية ترسل الى الحرمين سنويا مثل الزيت الطيب وشمع العسل ، والقناديل ، الارز والقمح لأشراف مكة ، ونفقات بعض الموظفين المشرفين والمساعدين لقافلة الحاج ، أما المبلغ التى كان يرسل من خزينة مصر سنويا الى بعض أهالى الحرمين مكة والمدينة ولبعض الأشراف فقد كان يشار اليه باسم « صرة أهالى حرمين » أو « الصرة الشريفة الميرى الارسالية الى أهالى الحرمين الشريفين » وقد بلغت تلك الصرة فى عام ١١٠٧ هـ — ١٦٩٥ م مبلغ ٥١٣٢٠٧٠ بارة ما يساوى ٢٠٥ كيسا ، ٧٠٧٠ كسور ، وظل هذا المبلغ فى ارتفاع حتى وصل الى ٢٦٢ كيسا ، ١١٥٤ كسور فى عام ١١٥٤ هـ — ١٧٤١ م .

وفى أواخر القرن الثامن عشر وصل الى ١٥٩٨١٢٢٠ بارة ويسلم مبلغ الصرة الارسالية الى الحرمين نقدا الى أمير الحاج فى بركة الحاج قبل رحيله الى مكة وتؤخذ عليه حجة بتسلمه هذه الصرة ويبين فيهــا وجوه انفاقها من ذلك على سبيل المثال ما حدث فى عام ١١٥٤ هـ —

---

(١) حسين أفندى الروزنامجى : المصــدر السابق السؤال الرابع ص ٤٣

١٧٤١ م (١) حيث تسلم أمير الحاج هذا المبلغ وقدره ٢٦٢ كيسا ، ١١٥٤ نصفا ليسلمه لأهالى الحرمين مكة والمدينة تبعا للقائمة المرسلة معه ويعطى بعض الأشراف مبالغ محددة كالآتى :

١ — شريف مكة	٢١	١٥٠٠٠
٢ — شريف حسين بن بركات	٣	١٠٠٠٠
٣ — ثمن أرز يومى للشريف حسين المذكور	—	١٣٥٠٠
٤ — صرة شريف أورخان	١	١١٠٠٠
٥ — مواجبات أولاد وعيال شريف يحيى باشا	٣	١٣٦٥٢
٦ — مواجبات عوايد عربان	—	٦٤٠٠
٧ — صرة أولاد شريف عبد الله بركات	٣	١٠٠٠٠
٨ — ثمن أرز شريف عبد الله بركات	٦	٢٠٩١٧
٩ — انعام شيخ الحرم النبوى	٨	——
١٠ — أنعام شريف أمير ينبع (٢)	٧	٥٠٠٠

ويوم تسليم « الصرة الشريفة الارسالية » الى أمير الحاج يعقد اجتماع للديوان العالى بخيمة أمير الحاج فى بركة الحاج قبل رحيله بيومين أو ثلاثة ويحضر هذا الاجتماع الباشا والدفتردار والامراء الصناجق وأغاوات وكتخداءات الاوجاقات ، وأغا جاويشان ، وأغا

(١) دفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة : سجلات المحاكم الشرعية سجلات الديوان العالى مسلسلة رقم ١ مادة ١٨٨ ص ٩١

وقد تسلم أمير الحاج فى هذا العام ٣١٧ كيسا وكسور منها الصرة السابقة ومبالغ لمهمات أخرى .

(٢) أمير ينبع يشرف على ادارة مدينة ينبع وهى ثغر يقع على البحر الأحمر فى منتصف المسافة بين مكة والقاهرة وهذا الحاكم ينتمى دائما الى شريف مكة ، وقد أمر السلطان مصطفى باعطائه هذا المرتب سنويا على نفقة خزينة مصر ، ولا يقدم هذا الأمير فى مقابل ذلك المرتب اى مؤن لقافلة الحج .

المتفرقة ، والروزنامجى ، وباش قلفة الروزنامة وأمين العنبر (١) وكاتب الصرة الشريفة ، وصراف الصرة ، ويتحرر فى هذا الاجتماع باملاء الروزنامجى ، مقدار الصرة المرسلة الى أهالى الحرمين الشريفين وأوجه انفاقها ما هو مخصص لأهالى مكة وما هو مخصص لاهالى المدينـــة ويوضح أيضا الجزء المخصص كمرتبات ومعاشات للأشراف ولبعض العربان ويعلن أمير الحاج فى هذا الاجتماع تسلمه مبلغ الصرة الشريفة الارسالية « وتعهده بحمله وصـــونه ، وتسليمه لمن له ولاية تســـلمه » وأن عليه احضار ما يشهد له بانفاق المبلغ كما هو مقرر فى السجلات (٢).

وفى نفس الاجتماع يتم تســـليم أمير الحاج ايرادات أوقاف الحرمين ، أى الاوقاف السلطانية المشار اليها باسم « الصرة الرومية» المرسلة الى أهالى حرمين شريفين وهى تمثل المـــال المتحصل من أوقاف السلاطين مصطفى خان ، مراد خان والسلطان محمد ، والســـلطان أحمد ، ووالده السلطان أحمد ، ووقف السلطان قايتباى « دشيشـــة كبرى » وتصدقات السلطان سليمان ، وتخصص ايرادات هذه الاوقاف للمتقاعدين وللأيتام والمجاورين ، وفراشين الحرمين الشريفين ، الجند الموجودين هناك من المتفرقة ، والتفنكجيان ، والمستحفظان ، وجزء منها يعطى كعادات سنوية لأصحاب الادراك على طريق الحج الشريف (٣)

---

(١) أمين العنبر : لقب للمشرف على الشون الســـلطانية فى مصر العثمانية وكان عمله حفظ الغلال وصرفها للمستحقين ، ومرتبات الحرمين والأوقاف وغلال الباشا والعليق .

(٢) دفترخانة الشهر العقارى : سجلات الديوان العالى مسلسلة ١ ص ٩١

(٣)دار الوثائق بالقلعـــة : دفاتر صرة أهالى حرمين شريفين دفتر سنة ١٠٨٧ هـ .

كما يخصص مبلغ من هذه الايرادات لبعض موظفى مساجد الحرمين[1].

ونظرا لانتظام تحصيل مرتبات الصرة الرومية أو صرة الأوقاف السلطانية فقد رغب الكثيرون من أهل مصر فى شرائها من مستحقيها، وأصبحت تتداول بالبيع والشراء كما لو كانت عقارا ثابتا . وحول الكثيرون أوراقهم من جامكية « أوراق مرتبات جارية على الجند أو الشيوخ » الى أوراق صرة لاحساسهم بما فى هذه الأوراق من أحكام فى الصرف .

ولذا أصبح يشار فى دفاتر الصرة الرومية الى أسماء من تقرر صرف هذه الصرة لهم كمرتبات أو معاشات وأمام كل فئة يذكر ما بقى لها من مرتباتها ، وما استبدل منها فى مصر وأدى ذلك دائما الى النقص المستمر فى ايرادات هذه الصرة المرسلة الى أهالى الحرمين .

ففى عام ١٠٨٧ هـ — ١٦٧٦ م كان مبلغ هذه الصرة فى السنة ٥٠٩٠٤٢ بحساب ١٩٦ كيسا ، كسور ٨٥١٨ منها استبدال در محروسة مصر ١٠ كيس ، ١٠٣٣٩ كسور ، فكان الباقى عن السنة ١٨٥ كيسا، كسور ٢٣١٧٩ سلمت لأمير الحاج ذو الفقار بك ميرلوا أمير الحاج الشريف وقتها .

وخصص منها لمكة المكرمة ٦٤ كيسا ، كسور ٥٠٠٤ استبدل منها فى مصر ٤ كيسا ، كسور ٦٨٨٦ وبقى لمكة مبلغ ٥٩ كيسا ، ٢٣١١٨ كسور

أما المدينة المنورة فقد خصها ١٣٢ كيسا ، ٣٥١٤ كسور استبدل منها فى مصر ٦ كيسا ، ٣٤٥٣ كسور وأرسل اليها فقط ١٢٦ كيسا ، ٦١ كسور فيكون المجموع المرسل للحرمين الشريفين مساويا ١٨٥ كيسا، ٢٣١٧٩ كسور .

---

(١) مثل المرتب المقرر لوظيفة دعاكوى در سطح كعبة شريف در وقت الباس كسوة شريفة .

مرتب شيخ الحرم ، مرتب مولد شريف در روضة مطهرة دفاتر صرة أهالى حرمين شريفيين عن سنة ١٠٨٧ هـ ، لسنة ١١٦٤ هـ

وباستمرار البيع فى مرتبات هذه الصرة ، لم يعد المبلغ الذى يرسل منها الى الحرمين يتجاوز الاربعين كيسا الا فى حالات نادرة .

ففى عام ١١٦٤ هـ — ١٧٥٠ م كان المبلغ المرسل منها لأهالى الحرمين مساويا ٤٤ كيسا ، ١٠٠٧٢ كسور .

وفى عام ١١٩٣ هـ — ١٧٧٩ م .

وصل المبلغ الى ٣٧ كيسا ١٨٢٧٥ كسور أرسل منه الى المدينة ٨٦٥٠٤١ بارة ، أرسل منه الى مكة ٧٨٢٣٤ بارة .

وفى عام ١٢٠٦ هـ — ١٧٩١ م أرسل من مبلغ الصرة الرومية الى الحرمين مبلغ ١٠٠٥٥١٦ بارة أى ٤٠ كيسا ، كسور ٥٥١٦ .

خصص منه :

للمدينة المنورة ٧٨٧٨٤٠ بارة ودفع لمكة المكرمة ٢١٧٦٧٦ بارة [١].

أما « اخراجات الحرمين الشريفين » أى المبالغ التى كانت تخصم من ايرادات خزينة مصر وتخصص لارسال مواد عينية للحرمين ودفع أجور بعض العمال والموظفين وأدوات ارسال المواد العينية وغير ذلك من وجوه الانفاق التى سأعرض صورة لها فيما يلى نرى منها مبلغ حرص السلاطين العثمانيين ورجال ادارتهم فى مصر على رعاية شئون الحرمين وحماية وراحة قافلة الحجاج السنوية الى بيت الله الحرام ، وقد وصلت تلك الاخراجات الى مبلغ ٩٨٠٢٥١٢ بارة أى ما يساوى :

٣٩٢ كيسا ، كسور ٢٥١٢ فى عام ١١٠٧ هـ — ١٦٩٥ م [٢] .

---

(١) توجد مجموعة كبيرة من السجلات المخصصة لايرادات ومصروفات هذه الصرة الرومية بدار الوثائق بالقلعة بعد نقلها اليها حديثا من دار المحفوظات وهذه السجلات تعرف باسم « دفاتر صرة أهالى حرمين شريفين » أو دفاتر موقوفات صرة وتوجد منها مجموعة كبيرة تغطى السنوات من ١٠٨٧ هـ — ١٦٧٦ م الى ١٢٥٧ هـ — ١٨٤١ م

(٢) دار الوثائق بالقلعة : دفتر ايرادات ومصاريف خزينة مصر لسنة ١١٠٧ هـ .

وظل ذلك المبلغ فى ازدياد بسبب ارتفاع الاسعار حتى وصل الى ١١١١٣٤٥٥ بارة أى ما يساوى :

٤٤٤ كيسا وكسور ١٣٤٥ .

فى عام ١١٦١ هـ — ١٧٤٨ م .

وارتفع مبلغ اخراجات الحرمين أو مصاريف الحرمين فى نهاية القرن الثامن عشر الى : ١٤ر٩٠٣ر٤٧٥ بارة .

وينفق من مبلغ « اخراجات الحرمين » على النحو التالى :

١ — دفع مصاريف لمطبخ أمير الحاج ويدفع له مقابل ذلك مبلغ ٣٧ كيسا وكسور ١٧٩٢٠

٢ — مصاريف اعداد الكسوة الشريفة وتبلغ :

٢١ كيسا ، كسور ٢٠٠٠

٣ — شراء زيت طيب ارسالية حرمين بمبلغ

٤ أكياس ، ٤٢٤٠ كسور .

٤ — مبلغ ٨٩٧٢ بارة أجرة شتران« جمال » لنقل الزيت الطيب الى الحرمين .

٥ — شراء حصر مع أجرة شتران لنقلها ٢ كيس ، كسور٤٠٠٠

٦ — شراء جلود كاو وسالم لعربات حمل المدافع وقت الحج ٤٥٠ بارة

٧ — شراء جبن حالوم وبصل للعساكر الخارجين مع قافلة الحاج ١٠٧٢٨ بارة.

٨ — بهاى « أى لشراء » نخيل ليف براى سواقى نخل وعجرود ١٢٠٠ بارة

٩ — شراء حصر فيومى للحرمين ٦٠٠٠ بارة .

١٠ — تحت مهمات جبن حالوم وبصل براى سردارات أزلم وعقبه ٥٠١٣ بارة ٠

١١ — تحت اجرة شــتران براى اســتقبال حجاج عن جانب أزلم وعقبه ٧ أكياس ، ١٨٥٣٠ كسور

١٢ — بهــاى حلويات متنوعة مع شرابهــات ســلطانى براى استقبال حجاج عن جانب أزلم وعقبه ١٧٥٩٣ بارة

١٣ — تحت أجــرة « نولون » سفاين مــيرى ونولون سفاين تجارى لنقل جراية أهالى حرمين مبلغ ٧٤ كيسا وكسور ١٩٢٠٣

١٤ — تحت مهمات تعمير وترميم عربهات طور « عربات حمل المدافع » در راه حج شريف ١٢٣٨٠ بارة

١٥ — أجرة شتران براى جراية نوبتجيان قلعة وجه٨٧٢٩بارة

١٦ — تحت نولون جمال ناظر «سحاية كبرى » (١) مع كتخدا ودويدار حج شريف ١٤٠٠٠ بارة

١٧ — بهاى شتران براى ركوب سردارات أرباب بلوك محافظين حجاج مسلمين ٥٠٠٠ بارة

١٨ — لشراء شمع عســل براى ارســالية الى حــرمين مبلغ ٢ كيس ، ٦٤٢٠ بارة

١٩ — تحت أجرة مبشرين سلامة حجاج عن جانب جبل عرفات وعقبة مبلغ ٥٧٠٠ بارة

٢٠ — براى قربهات تركمانى واجــرة شتران براى ســقائين در بندر سويس وقت الحج ٢٢٠ بارة

٢١ — بهاى قناديل زجاج ارسالية حرمين ٩٢٩٠ بارة

---

(١) سحابة كبرى : أى المياه المحمولة على الابل ومعــدة لشرب الحجاج .

٢٢ — بهاى أخشاب لعمل صناديق الصرة وقناديل حرمين ٥١٦٥ بارة

٢٣ — تحت أجرة شتران براى حمل قناديل ارسالية الى حرمين ١٢٦ بارة

٢٤ — تحت عادات هجاناة « بريد من راكبى الجمال »لحمل رسائل الحجاج وأمير الحاج ٢٨٠٠ بارة

٢٥ — تحت أجرة شتران براى نقل حصر فيومى الى الحرمين ١٠٨٠ بارة

٢٦ — تحت عادات دليل « مرشد » در راه حج شريف ١٢٨٥ بارة

٢٧ — تحت مهمات قنب شامى براى مهمات جبة خانة حج شريف ١٤٧٥ بارة

٢٨ — تحت مهمات أخشاب براى عمل صناديق شمع عسل ارسالية ٢٨٠١ بارة

٢٩ — تحت أجرة شتران ونولون سفن نقل جراية قاضى مكة مكرمة ١٠١٨٨ بارة

٣٠ — تحت أجرة شتران ونولون سفن نقل جراية قاضى مدينة منورة ١١٦٠٠ بارة

٣١ — تحت مأكولات فقراء سيدى أحمد البدوى در ليلة خروج محمل شريف تسلم لوكيله بمصر ١٢٣٠ بارة

٣٢ — تحت مهمات جولهاى أى أكياس وجوالات لوضع مهمات سائرة ارسالية حرمين ١٥٢٠ بارة

٣٣ — تحت تعيينات (١) أشراف مكة لشراء أرز أبيض وحنطة

---

(١) تعيينات أشراف مكة اسم أطلق على المخصصات العينية التى كانت ترسل الى هؤلاء الأشراف سنويا من مصر .

د. عبد العزيز محمد الشناوى : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ابان الحكم العثمانى القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٣

وأجرة شتران ونولون مبلغ ٣٠ كيسا ، كسور ٣٣٠٠

ومن استعراض مخصصات الحرمين من مصاريف قافلة الحاج وصرة الحرمين بنوعيها ونفقات أمير الحاج نرى صورة صادقة لمدى العناية والاهتمام الذى بذله سلاطين العثمانيين تجاه الحرمين الشريفين واستمرار خروج قافلة الحج من مصر الى بيت الله الحرام وقد شملت تلك العناية كما قدمنا اعداد الكسوة السنوية للكعبة المقدسة وتشمل: كسوة الكعبة وستارة باب التوبة ، وبيارق الكعبة والمنبر . وقد وجد موظف خاص فى مصر يشرف على اعداد الكسوة عرف بناظر الكسوة الشريفة ومتى حان موعد اعدادها قبل حلول موسم الحج اختار لها الحرير اللازم ثم يسلمه للصناع المختصين بفتله ثم يرسله الى الصباغين لصبغة باللون المطلوب ثم يسلمه لصناع الأنوال لنسجه ورسم الكتابة التى يراد نقشها عليه ، ثم يؤخذ ما يلزم تخبيشه بالقصب الأبيض والاصفر على الرسم المصنوع بالنول ، فيصير تخبيشه على المناسج وذلك أربع قطع هى أحزمة الكعبة الشريفة ، وأربعة لمقام الخليل ، وقطعة هى البرقع ، وبيارق المنبر ، ويستهلك ذلك من المخيش حوالى ٢٥ ألف الى ثلاثين ألف مثقال من التلى الجيد ويتم تجهيز الكسوة فى قصر يوسف بالقلعة .

ويبدأ العمل فى اعداد الكسوة كل عام من بداية شهر ربيع الآخر الى شهر رمضان ، وبعد انتهائها تؤخذ الى مشهد الحسين لتحفظ هناك حتى خروج المحمل .

وقد اتخذ موسم الحج فى حياة مصر ابان الحكم العثمانى مظهرا اجتماعيا هاما ، وحظى هذا الموسم باهتمام الحكام والمحكومين وكان موسما تسرى فيه الحركة لبيع لوازم الحجاج، ويستعد الحجاج للسفر فى قافلة الحج ويستمر موسم الحج فى مصر من شهر رمضان حتى أواخر المحرم من كل عام .

ويبدأ استعداد أمير الحاج للرحلة المقدسة قبل موسم الحج

بفترة ففى شهر ربيع الأوليخلع الباشا على من يقرره أميرا للحاج[1] من البكوات الصناجق ، فينزل الامير من القلعة بموكب حافل ، ويبدأ فى الاعداد لرحلة الحج ، وعندما يقترب موعد خروج قافلة الحاج ، يتوافد على القاهرة المسلمون الراغبون فى أداء فريضة الحج من المغرب ومن السودان ومن تركيا ، ويعسكر هؤلاء الحجاج خارج القاهرة ، ويكون توافد الحجاج الى القاهرة فى أواخر شهر شعبان ، ويستمر طوال شهر رمضان ، وفى تلك الفترة يكون أمير الحاج قد أتم استعداداته ، وتكوين القوة العسكرية التى ستصحبه لحماية قافلة الحاج ، والتى تضم خمسمائة جندى من رجال الأوجاقات العسكرية السبع ومعهم سرداراتهم ، وذلك بالاضافة الى مماليكه الخاصة ، كما تضم هذه القوة بعض الجند المغاربة المأجورين ، والحرس العامل فى خدمة كبار الشخصيات الموجودة بقافلة الحاج ، مثل أعضاء البيت السلطانى وكبار موظفى السلطنة .

وفى النصف الثانى من شهر شوال تكون الترتيبات قد تمت لاعداد قافلة الحاج وركب المحمل ، وتكون الكسوة الشريفة قد جهزت على أحسن حال . فيقام احتفال لاستعراضها وتسليمها لأمير الحاج، ويعلن عن هذا الاحتفال قبل موعده بأيام لدعوة الشعب للمشاركة فيه ، وليقوم أرباب الحوانيت التى سيمر بها المحمل بتزيينها ، وفى يوم مرور الموكب يحتشد الكثيرون من سكان القاهرة لمشاهدة ركب المحمل الذى توضع فيه الكسوة الثمينة على جمل مزين يشق طريقه متقدما الى قراميدان[2] بالقلعة ، وأمام الموكب يسير فرسان

---

(١) يكون ذلك عادة بعد الاحتفال بالمولد النبوى .
ابراهيم الصوالحى : تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق أحداث سنة ١٠٩٩ هـ ص ٧٦٠

(٢) قراميدان : اى الميدان الأسود . وهو الميدان الممتد أسفل سور القلعة ، وكان يطلق عليه أحيانا ميدان الرميلة ومكانه الحالى منطقة المنشية ، ميدان صلاح الدين أسفل القلعة بقسم الخليفة .
د. عبد الرحمن زكى . قلعة صلاح الدين الايوبى وما حولها من آثار ص ٦٤

الأوجاقات بملابسهم الزاهية ، ومعـــداتهم ، وأســـلحتهم البراقة ، وتصحب الموكب فرق الموسيقى ، حتى يصل الى ميـــدان قراميدان حيث يطل عليه الباشا من القلعة ، ووسط هتافات سكان القاهرة ، ينزل الباشا ، ومعه عدد كبير من البكوات الصـــناجق ومماليكهم ، ورجال الأوجاقات العســـكرية ، وأغا الانكشـــارية ، وكبـــار موظفى الولاية لتسليم الكسوة الشريفة الى أمير الحاج ، وتحرر حجة بذلك ثم تمر الكسوة فى احتفال مهيب ، ومعها أئمة المســـاجد ، وأرباب الاشـــاير « الطرق الصوفية » وتمر من باب النصر (١) حتى يصل الموكب الى معسكر الحجاج ببركة الحاج ، حيث توضع الكسوة فى صندوق مغطى بأقمشة فاخرة ، مطرزة تطريزا جميلا •

ويلى ذلك احتفال آخر يقام بصيوان « خيمة » أمير الحاج فى البركة كما قدمنا لتسليمه « الصرة الارسالية » و « الصرة الرومية» المرسلتين لأهالى الحرمين الشريفيين •

ثم يقيم أمير الحاج بالبركة فى خيمـــة كبيرة يتولى حراســـتها الصوباشية (٢) الذين يلازمون أمير الحاج حتى رحيـــله ، وحينذاك يقدم الأمير لرئيسهم خلعة « قفطانا مذهبـــا » يلبسه ويعـــود الى القاهرة ، بعد أن يوصيه أمير الحـــاج ، برعاية المودعين فى طـــريق العــــودة •

وحول خيمة أمير الحـــاج يضرب كل المسافرين خيـــامهم ويقيم أمير الحاج عادة فى البركة خمســـة أيام الا أن يطـــرأ أمر ضرورى يستدعى زيادة يوم أو أكثر •

وعلى أمير الحـــاج أن يراعى بدقة الوقت اللازم للرحـــلة وفى البركة يتفقد أمير الحاج أحوال الجمالة ، وكفايتهم من العليقوالجمال

(١) باب النصر : أحد أبواب القاهرة الخمسة باب النصر ، وباب الفتوح باب القنطرة « باب الشعرية » ، وباب زويلة ، وباب الخليج

(٢) الصوباشية : اتباع الصوباشى ويشار اليه أيضا باسم زعيم مصر أو والى القاهرة وهو يساعد المحتسب وأغا الانكشارية فى عملهما

عملا على توفير الراحة للقافلة ، وتنشط فى هـذه الأيام حركة البيع والشراء ، وينظم أمير الحاج جنده ويستطلع الطريق •

وأثناء وجـود الحجاج فى البركة يكتب كل حاج بيـانا ببلده ، وما معه من الابل ، والاتباع ، وقد كان من حق أمير الحاج أن يرث كل حاج يموت بالطريق ، وليس لورثته حق المطالبة بشىء من أمتعته أو أمواله التى كان يحملها فى رحلته • وقبل الرحيل ينبه على الحجاج بالترتيب الذى ستسير عليه القافلة •

وعند البدء فى الرحيل تطوى كل الخيام ويضرب مدفع ايذانا ببدء المسير والرحلة ، ويسير الموكب بترتيب معين ، اذ تتقدمه بلوكات العساكر ثم المدافع محمولة على عربات ثم جمال الطوبجية ، والجبخانة، ثم طائفة الفراشين ثم أمير الحاج وخلفه تسير مجموعة من العسـكر ثم أمين الصرة والكتبة اتباعه ثم المحمل وخلفه أعيان الحجاج وكبار الشخصيات ثم الحجاج من الفلاحين والعامة وخلفهم تسير جمال الماء ثم باقى العســاكر •

وفى ليلة الرحيل من البركة « يعمـل شنكا » كبـيرا أى تطلق الصـواريخ •

ويخرج مع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات السبعة ومعهم مجموعات من فرقهم العسكرية ، ويتولى سبعة فقط من هؤلاء السردارية « أى القادة » قيادة حرس المحمل أما الآخرون فيتوجهون الى جدة (١) كى يتولوا قيادة الطابية الموجودة هناك وليحلوا

---

(١) تبعت جدة فى العصر العثمانى الادارة العثمانية مباشرة فاعتبرت صنجقية منفصلة ، وكان يعهد بادارتهـا الى باشـا عثمانى ثم ضمت اليها بعض الموانى الخاضعة لهم على ساحل البحر الأحمر المقابل مثل سواكن ومصوع وأنشأت منهـا باشوية خاصـة سـميت باسم « ولاية الحبش » أو ولاية جدة وفى القرن الثامن عشر أصـبح باشاوات جـدة يختارون فى الغالب من بكوات المماليـك المشهورين فى مصر ، أو الذين يراد أبعادهم عن مركز السلطة فى القـاهرة بسعى من منافسيهم من =

محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق .

ويضم ركب أمير الحاج عددا من الموظفين الذين يعاونون أمير الحاج فى مهمته ويقدمون الخدمات للقافلة من هؤلاء قاضى المحمل والشهود ، أمين الصرة وكتبة الصرة من كاتب أول ، وكاتب ثان وهؤلاء يعاونون أمير الحاج فى صرف مخصصات الصرة بنوعيها ، ثم الأدلاء الذين يعرفون الطريق والمؤذنين .

ومن أعوان أمير الحاج فى هذه الرحلة الكتخدا أى وكيل أمير الحاج والدوادار الذى يقدم اليه الدواة ، ويقوم بتبليغ رسائل الأمير لمن يريد (١) ثم أمير آخور أى ناظر الخيل والجمال الخاصة بأمير الحاج واتباعه وكبار الحجاج من البيت السلطانى أو كبار موظفى السلطنة ثم شاد السنيح أو الكلاجى بالتركية أو خازن القوت وهو المشرف على الأطعمة والاشربة الخاصة بالامير واتباعه، ويعاونه فى عمله القبانى ومقدم العكامه الذى يعتبر وكيلا لشاد السنيح ويتولى الاشراف على الحلوى المرتبة للعرب ولأهل مكة والمدينة من سكر خام وسكر أبيض ، وسكر نبات ، وشربات وحلوى مختلفة الاصناف ، وكذا الشمع الاسكندرانى ، ويتبع شاد السنيح أيضا شاد المطبخ ثم شاد السقائين .

ويصحب الموكب أيضا الخيمية أى المشرفون على الخيام اللازمة للموظفين والصرة والسحابة والقبة ثم أمين الجمل ووظيفته شراء

= البكوات الاخرين ، لدى السلطان .

وقد اكتسبت ولاية جدة أو ميناء جدة أهمية كبيرة فى العصر العثمانى لكونها الميناء الذى ترسو عليه سفن التجارة الشرقية قبل نقلها الى السويس ، ومن المكوس على هذه التجارة كان حاكم جدة يحصل على مبالغ طائلة .

راجع :

د. ليلى عبد اللطيف : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر ابان العصر العثمانلى القاهرة ١٩٧٩ ص ١٢٦ .

(١) من أهم معاونى أمير الحاج « كاتب ديوان » أى الموظف الذى يتولى كتابة مراسلات الأمير ، وأوامره .

الجمال اللازمة لحمل المحمل ، ويركب وراء جمل المحمل فى موكبه لملاحظته فى سيره من الخلف ، ويتولى ملاحظته من الأمام المحاملى الذى يشرف أيضا على حاملى الطبول والزمور فى الموكب .

ويسافر فى القافلة الضوية المنوط بهم المشاعل اللازمة للاضاءة عند السير ليلا ، ثم البيرقدارية وهما اثنان يحمل أحدهما البيرق الكبير الخاص بالسلطنة والآخر يحمل البيرق الصغير الخاص بأمير الحاج . ثم أمين الكساوى والخلع المرسلة للعربان ولبعض الشخصيات الهامة فى الحرمين ، ثم البيطار الذى يعنى بالبغال التى تحمل المدافع وأمين الذخيرة المشرف على البقسماط اللازم للسفر ويسافر مع القافلة مبلغ عرفات (١) .

كما يخرج مع المحمل بعض الاطباء (٢) وبعض النجارين (٣) وحتى مغسلى الموتى ، والحلاقين .

ويرتب فى الموكب رجلان لسوق المتأخرين من الحجاج يعرف الواحد منهم « بسواق المقاطيع » أى المباشر لهؤلاء الذين يقعد بهم المرض أو ضيق ذات اليد عن الاستمرار فى الرحلة .

ومن أغرب الموظفين الذين كانوا يخرجون مع ركب المحمل « أبو القطط » وكان مختصا بتقديم الغذاء للقطط التى كانت تتبع ركب المحمل .

---

(١) وأحيانا يشار اليه باسم المبلغ أو المؤقت وهو يعلن للمسلمين أوقات الصلاة ، ويكرر لهم ما يلفظ به الامام ، ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبل عرفات ولذلك عرف باسم مبلغ عرفات .

(٢) ويشار الى الطبيب فى ذلك العصر باسم الحكيم .

(٣) يقوم شيخ النجارين المرافق للقافلة بصيانة عربات المحمل التى تحمل المدافع ويصحب معه لهذا الغرض مجموعة من العمال اللازمين للقيام بتلك المهمة .

ويكون رحيل أمير الحاج والقافلة (١) من بركة الحاج فى أذان الفجر اذ عليه ألا يرحل من البركة ليـلا ، فقد يتسحب من الجمالة والغلمان من لا يريد السفر فيتعطل الحاج ، وقد يخشى أيضـا على المودعين من التعرض لهم اذا رحل الركب ليلا ، وتركهم ، فان ذلك المكان فى موسم الحج يكون مقصودا من أهل الأذى .

ويسلك الحجاج الى مكة طريقا عرف « بالدرب المصرى » وهو أقرب ما يكون الى البحر ، ويفضلونه لكونه أقصر الطـرق ، رغم أن أرضه مجـدبة ، والطريق البرى شاق جـدا (٢) وخاصة فى المنطقة

---

(١) قبل ابتداء العصر العثمانى بمصر كان الحاج يسـير مع قافلة المحمل عن طريق العقبة ، أو مع غيرها من القوافل ، التى كانت تقوم بها عربان أولاد على ، وغيرهم فيصل الحجاج الى مكة فى نحو خمسين يوما ، وكانت قافلة المحمل أى القافلة الرسمية التى تحمل معها الكسوة، أسرع هذه القوافل لانتظام سيرها واحكام أمرها وجودة جمالها . وربما خرجت للحـاج حينـذاك ثلاث قوافل أو أكثر وقد أمر خاير بك فى عام ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م بأن يسير الحجاج كلهم مع قافلة المحمل ، وذلك بناء على أوامر السلطان سليم ، لتوفير الأمن والراحة للحجاج .

(٢) كان هناك طريق آخر برى أيضا يستخدم فى مصر حتى عهـد الملك الظاهر بيبرس وهو طريق قوص — عيذاب — القصير فيلتقى فى القاهرة الحجاج المسلمين من الاندلس والمغرب والسنغال وبلاد التكرور والسودان الغربى والشرقى ومن الاناضول ويأتى هؤلاء الحجاج الى مصر من بلادهم بحرا أوبرا .

ويجتمع الكل بالقاهرة قبل شهر رمضان ثم يسيرون منها الى قوص برا أو فى النيل فى نحو عشرين يوما ، ثم تسافر قوافلهم منها فى صـحراء عيذاب مدة ١٥ يوما حتى يصلون الى القصير أهم موانى مصر على البحر الاحمر قبل انتقال هذه الاهمية الى السويس .

وكان يسيطر عليها عرب البجاة أو البجة وهم قبـائل من البربر كانوا يسكنون صحراء مصر الشرقية ، ويتولون نقل الحجاج على ابلهم فى صحراء عيذاب وكانت أخلاقهم على غاية من الفظاظة ، ربمـا بلغ بهم الامر الى تغيير طريق المـاء على القافلة بغرض رهيب ، وهو أن ركابها يموتون عطشا ، فيستولون على مامعهم من متاع وكان الحجاج =

التى بين السويس والعقبة ، وهى لا تقل عن ثلثمائة كيلومترا كلها أرض رملية تسوخ فيها أخفاف الجمال ، ويضل فيها الحجاج ولا يهتدون الى الطريق فيها الا بواسطة نواطير أقيمت لهذا الغرض وهى أشبه بطواحين الهواء ، والماء فى الطريق البرى قليل ، وأصعب نقطة فيه هى نقب العقبة لضيقه واختلاف طرقه حيث يمكن للعربان فيه ايقاع الأذى والنهب بالحجاج (١) .

وقد كان فى بعض القرى أو المحطات الواقعة عليه مخازن للمؤن والذخيرة وعليق الجمال والخيل وفى بعض هذه القرى قلاع بها جند للحراسة .

ويمر ركب الحاج فى الطريق من القاهرة الى مكة بعدة محطات أو منازل للراحة ، والتزود بالمؤن والماء والذخيرة وأول محطة يمر

=يقيمون فى عيذاب نحو شهر من الزمان فى انتظار الفلايك التى تحملهم الى جدة ويسمونها جبب « مفردها جلبة » وهى سفن صغيرة غير محكمة الصنع وشراعها فى الغالب من الحصير وكان أصحابها يتعسفون مع الحجاج ، فيشحنون المركب بأكثر من حمولتها ، وكثيرا ما كانت تغرق فى وسط البحر بمن عليها من الحجاج الذين يذهبون ضحية هؤلاء الاشرار ومطامعهم ، ويصل الحجاج الى جدة فى نحو أسبوعين وكان الحجاج يلاقون فى هذه الرحلة مشقات كثيرة منها تعسف الملاحين ، شدة الرياح والهواء واضطراب الماء ، وما زالت هذه هى الطريق الوحيد للحاج المصرى من القرن الاول الهجرى الى سنة ٦٦١ هـ حيث بدأ استخدام طريق البر على العقبة حيث أرسل الظاهر بيبرس قافلة الحاج منها وأرسل معها الكسوة التى عملها للكعبة ، ومن ثم أخذ يقل ذهاب الحجاج عن طريق القصير .

ثم أقيمت المنازل أو المحطات على طول طريق الحاج المصرى من القاهرة الى مكة لتوفير المؤن والراحة . والذخائر لموكب الحاج وقد كان أول من استخدم هذه المنازل السلطان الظاهر بيبرس فى حجة سنة ٦٦٧هـ سنة ١٢٦٨ م حيث وصل الى مكة المكرمة بعد المرور على ١٧ منزلة أو محطة .

(١) بالرغم من شيوع استخدام الطريق البرى فقد كانت بعض الشخصيات الكبيرة الغنية تفضل السفر بحرا عن طريق السويس — جدة .

بها الحاج هى « بركة الحاج » وفيها يقيم الحجاج خمسة أيام ليتم أمير الحاج استعدادته التامة للرحلة •

ثم يمر الحاج على الدار الحمراء : وهى المحطة الثانية وتقع شرقى جبل الجيوشى وليس بها أشجار • ولا ماء وينبت بها قليل من الحشائش التى ترعاها الجمال والطريق اليها سهلة بلا وعر ولا خوف ويقيم بها الحجاج بعض الوقت لتوزيع « العليق » على الحيوانات •

ثم يسير الركب شرقا الى عجرود وتوجد فى الجنوب الغربى من السويس ومن هناك يرجع المريض والمنقطع ومن بقى من المودعين ثم يتقدم الركب الى مدينة السويس وقبل أن يدخلها يتم تنظيم موكب مع الباس المحمل كسوته ، ويحضر قبطان السويس بالجند والأشاير « رجال الطرق الصوفية » ويستمر الموكب الى الجنوب الشرقى من المدينة ثم يقيم هناك ليلتين •

ثم يسير الموكب الى محطة « الناطورة » ويمر فيها بالناطور الأول والثانى والثالث فى مسافة رملية ناعمة متنقلة من جهة الى أخرى ، وتمر الجمال جملا جملا حتى يصل الركب الى موضوع يسمى :

« علوة المنصرف » : وهى أرض ذات رمال دقيقة بيضاء نقية، وليس بها أشجار ، ولاطير ومنها يسير الركب الى :

« جنادل حسن » فى طريق بعضها رمال ، وبعضها عقبة ذات صعود وهبوط حتى يصل الى تلك الجنادل ومنطقتها سهلة ذات رمل•

ثم يسير ركب الحاج الى بندر « نخل » فى طريق سهلة ذات أشجار من العبل •

ونخل « بكسر النون والخاء » محطة هامة من محطات الحاج المصرى وهى قرية صغيرة ، أبنيتها طبقة واحدة من الطوب ، وفيها

نخل وشجر وكان بها قلعة من انشاء السلطان الغورى واستخدمت فى العصر العثمانى فكان يوجد بها عساكر وطوبجية ، وبهـا مخازن لتعيينات الحجاج من كل الأصناف ، وكان بها خان من انشاء الغورى أيضا واستخدم كمسكن للموظفين فى العصر العثمانى وكان بها ساقية من عمل الملك الناصر حسن الى جانبهـا ثلاثة أحواض تسع ٣٠٠٠ قربة تملأ فى زمن الحج وتدير هذه الساقية أربعة من الثيران ترسل من طرف الحكومة فلا تزال تدور فىالساقية لملء الحيضان حتى ترجع مع قوافل الحاج الى مصر .

وفى نخل سوق دائم يباع الأقمشة ، والحبـوب المجلوبة من بندر السويس ، والفاكهة المجلوبة من غـزة . ويبيت الحجاج بنخل يومين لأخذ العليق والمياه والمؤن . وفى نخل يعطى عرب العائذ خلعهم ومرتباتهم ثم يسير الموكب الى :

القريص : « بضم القـاف وشـد الراء المفتوحة » وبهـا بئر لا يصلح ماؤها الا لشرب الابل ونحوها ، والطريق اليها من نخـل يمر بين جبلين .

ثم يصـل الحاج الى مقطـع يقـال له قطع ابن ايواظ صعب المسلك جدا وتنزل منه الجمـال جملا جملا لضيقه ، وبعـد تجاوزه تضرب المدافع ، وتلعب العرب على الخيول ويعمل موكب عظيم الى أن يصل الموكب الى محطة :

العقبـة :

وهى قرية صغيرة ، بها منازل بسيطة ، وبهـا نخيل وبساتين وفيها سوق يباع فيـه البلح والرمان والتبن والزبيب ، واللحم ، والسمن والملح ، والبصل والنبق ، وحشائش الجبل وغير ذلك ممـا تأتى به العرب ، وبالعقبة قلعة للحراسة بها مدافع وعساكر وطوبجية وبها مخازن لتعيينات الحاج من الغلال والعليق ومساكن للموظفين ، وفى القلعة بئر عذبة المياه ، وعندها حفائر على شاطىء بحر القلزم،

ينبع منها ماء عذب بعد حفر نحو ذراع ، ويزرع عليها بعض الخضر ، ويسقى منها البساتين .

ويبيت الحاج بالعقبة ، ويصرف أمـير الحاج للعرب أصحاب الأدراك (١) مرتباتهم من نقود وخلع ، وحلويات على حسب العـادة المقررة ، وهؤلاء العرب من قبيلة تسمى العلويين ، ودركهم يمتد من سطح العقبة الى قصر العدوية بعد العقبة وفى قرية أيلة قرب العقبة يفصل أمير الحاجمرة ثانية جميع المقطوعين الذين لايمكنهم الاستمرار فى السفر لمرضهم أو لفقرهم ، ويعطيهم المؤنة اللازمة من البقسماط ويستأجر لهم سنبوكا ويسيره بهم اما الى مصر أو الى جده .

ومن العقبة يتجه الحاج الى جهة الجنوب حتى يصل الى محطة ظهر الحمار :

ويكون مسيره اليها على شاطىء البحر فى مضيق بين جبلين تمر منه الجمال جملا جملا حتى يصل الى هذه المحطة وهى قرية صغيرة تقع على شاطىء البحر ، فى أرض رملية ، وبهـا نخيل ، ويكون فيها سوق يباع فيه اللبن ، والحشيش والتمر الذى تأخـذه الحجاج من العقبة للبيع ، وبالقرب من الشاطىء تنبع مياه بالحفر ، قليلا يشرب منها الناس والحيوانات . وفى هـذه المحطة أيضا ، تصرف المرتبات لعرب الدرك ويقال لهم « عرب العصابين » ويمتد دركهم الى مغاير شعيب ثم يرتحل الحاج الى محطة .

---

(١) = من أصحاب الادراك عرب العائذ بالشرقية وكانوا يتولون حراسة قافلة الحاج من خان داود باشا وصحراء القاهرة الى قلعة نخل، وقد كانوا فى البداية ، يصحبون القافلة الى حدود العقبة ، ولكن تغلب العربان على هذه المنطقة ، وكثرة فسادهم وفشل أمير العائذ فى دفعهم، أو كفهم عن الركب ، وتوالى مفاسدهم بالسرقة والخطف أدى الى أن اقتصرت خفارة أمير العائذ على حدود محطة نخل حيث يلبسه أمير الحاج تشريفا خلعه ويعطيه المرتبات والمنح المقررة له ولقبيلته ويعـود بخيله وجماعته الى مواطنهم .

الشرفا : والطريق اليهــا واضــحة بآثار المارين لكونها غــير مســتوية وفى الطــريق اليهــا عقبــة تســمى « العــلوة » فيصعد الحــاج عليهــا ، ويســير فى ســطحها بعض الوقت ثم يهبط منخفض حتى يصــل الى طريق بين جبلين ، فيصــل الى موضــع يقــال له «عش غراب» ثم يصعد الحاج الى موضع مرتفع يقال له «الشهداء» أرضه سهلة ثم يهبط حتى يصــل الى محطة الشرفا وهى موضع بين جبال ، يباع فيــه الغنم واللبن والتمر والحشائش وعســل النحل والأرض هناك صلبة ، لا تدق بها الاوتاد الا بصعوبة وليس بهــا ماء • ثم يأتى ركبالحاج الى :

محطة مغاير شعيب : وهى موضع به نخل جيد ، ومياه عذبه ، وأرضه خصبة يزرع فيها فى بعض السنوات القمح والشعير والذرة، ويباع فى هذه المحطة الحشائش والاغنام واللبن ، والفواكه اذ توجد بهذه المحطة بعض البساتين •

ثم يسير الحاجالى محطة :

عيون القصب : فيصل اليها بعد سير طــويل وهى على البحر الأحمر ، وبها نخل كثير ، ويزرع فى أرضها الشعير وعندها نهر جار يصب فى البحر ، ويأخذ منه الحجاج الماء •

ثم يرتحل الحاج فتصادفه عقبة يصعد فيهــا ثم يكون المسير على شاطىء البحر ، بأرض ذات رمل ، ثم ينزل فى منخفض يتوصل منه الى محطة :

المويلح :

وقبل الدخول الى المويلح يرتب أمير الحاج موكبا ثم يدخــل المويلح ، وفيها قلعة أنشأها الســلطان ســليم يحرسها بعض الجند وبالمويلح نخيــل وآبار عــذبة ويباع بها الســمك والتمر والدقيق والبقسماط والفول وغــير ذلك ، وبالمويلح منــازل بسيطة مبنية من

الطين والطوب ، وبجوار القلعة منازل قليلة مبنية من الحجر والطين الرملى .

ومن المويلح يترحل الحاج الى محطة سلمى ثم الى محطـــة ضياء ثم الى محطة :

آبار السلطان : وقبل الوصول اليها يقابله ممر ضيق يقال له شق العجوزة تمر منه الجمال واحدا واحدا حتى يصل الركب الى المحطة، وهى على شاطىء البحر الاحمر وبها شجر الدوم ، وترسو عندها مراكب لشحن الحطب والفحم الى السويس ، وبها آبار صـــالحة للشرب ، ويبيع عندها العرب على الحاج اللبن والتمر والسمن ثم يرتحل الحـــاج الى :

محطة الازلم : — وبعض طريقها رمل ، وبعضها زلط وسباخ ، وبها قلعة وآبار غير صالحة للشرب ، ويباع عندها الحشيش والسمن والغنم والسمك وغير ذلك مما تجلبه العرب ومنهـــا .

يتجه الحاج الى محطة :

اصطبل عنتر : — وهو مكان متسع محاط بالجبال وفيه ثلاثة آبار لا تصلح الا لشرب الحيوانات ثم يقوم ركب الحاج الى محطة .

الوجـــه :

وبها قلعة وآبار ونخيل قليل ، وبعض الشجر ويباع فيها السمك والخضر والسمن واللحم وغير ذلك ، وبها تصرف مرتبات عرب الدرك من قبيلة « بلى » ويؤخذ منها المـــاء الكافى لمسيرة ثلاث محطات .

ثم يسير الركب الى محطة « عكرة » وليس بها ماء وتبيع فيها العرب على الحاج بعض المؤن ، وبعدها يســـير الحاج الى محطـــة « الحنك » وليس بها ماء ولكن يحصل الحجاج منها على بعض المأكولات التى تبيعها العرب، ثم يسير الموكب الى محلة «الحورة» : وفى بعض طريقها أشجار السنط وفى بعضه منطقة تسمى « العبة الزرقاء » وهى

مضيق تنزل منه الجمال ، واحدا واحدا ويوقد فى المرور بها مهتابات زيادة على المشاعل العادية • ويزاد فيها الحراسة على الحاج من كل جهة خوفا من هجوم العرب ، ثم يمر الحاج فى أرض رملية ثم يصعد فى علية توصل الى محطة « الحورة » وبها نخيل وماء ، وبيع وشراء• ثم يسير الركب فى طريقه حتى يصل الى محطة « مبط » وفى الطريق اليها يمر بمكان يقال له صحن مرمر والعقبة وفى مبط ماء عذب وبعض حشائش وتكتنفها الجبال •

ثم يسير الموكب الى محطة الخضيرة وتسمى « ورى النار » ولا يشعل فيها الحطب لكثرة أشجار السنط بها وهى بين جبلين وليس بها ماء •

ويجد الركب السير حتى يصل الى محطة :

الينبع : —

وهى ثغر المدينة المنورة على البحر الاحمر تقع شرقه وليس بها نخيل ولا أشجار ولا آبار عذبة وكان بها « صهاريج » تملأ من ماء المطر ويأخذ منها الحجاج بالثمن من أربابها ، وفى الينبع قلعة كبيرة (١) بها مدافع وعسكر ، وفى القلعة صهريج للماء وكانت الينبع مرسى لمراكب وفيها سوق دائم يباع فيه ما يجلبه العرب من العسل والسمن وغيره وتأتيها البضائع من نواحى جدة والسويس والقصير ولذا كان يوجد بها كثير من بضائع المدن •

---

(١) كان يشار الى قلعة الينبع باسم : (قلعة المدينة المنورة) وكانت مصر هى المختصة بتزويد هذه القلعة بالجند من فرقة المتفرقة وكانت هذه القلعة فى تنظيمها الداخلى مثل قلاع مصر أى مقسمة الى مجموعة من البلوكات وفيها رجال مردان وطوبجيان « المختصون بالمدافع » وجبة جيان أى صناع السلاح وبعض رجال الدين ، وكان رجال هذه القلعة يتقاضون مرتباتهم العينية والنقدية من خزينة مصر ، وبلغ عدد رجال هذه القلعة ٢٢٥ رجلا فى عام ١١٩٥ هـ — ١٧٨٠ م وقد انشأت هذه القلعة بهدف توفير الحماية والراحة للحجاج .

وقبل دخول الينبع ينظم أمير الحاج الموكب ويلبس المحمـل كسوته ، ويخرج أمير الينبع والأشراف والعرب لملاقاة الحجاج ويدخلها الموكب بين التهليل والتكبير ثم يمد أمير الحاج سماطا ، لأمير النبـع والينبع باشى « المشرف على القلعة » ووكيله ، وأشراف المدينة ثم يسقيهم السكر والقهوة ثم تصرف المرتبات بمعرفة أمين الصرة للعرب وللأشراف وتعطى خلعة للينبع باشى ولامير الينبع ، وأيضا خلعه لامين الشونة وكاتبها هناك • ويصرف العليق اللازم للجمال وغيرها من شونة الينبع ، ويبيت بها الركب ليلة واحدة ، مع توفير الحراسـة له من طرف الينبع باشى •

ومن الينبع يتجه الحاج الى محطة : « السقيفة » فى طريق سهل فيقيم بها بعض الوقت حتى يتم صرف الكساوى والمرتبات لعـرب الدرك وهم عرب الحوازم ، عرب ذوى ظاهرة ، وعرب الجديدة ، وعرب صبح ، وأشراف بدر وليس بهذه المحطة ماء ثم يمر الركب بمحطة « الافازة » على غير ماء ثم يسير الى محطة :

رابغ : — وهى قرية صغيرة بينها وبين البحر مسافة بسـيطة وفيها قلعة للحراسة وبها مخازن تحفظ بها مؤن ركب المحمل وذخائره ، وفيها صهاريج عذبة ، ويزرع فى أرضها بعض الحبـوب والخضر ، والطريق اليها سهل ، وفى جبالها حشائش ترعاها الابل •

وهذا الموضع هو ميقات « الحاج المصرى » لا يتجاوزونه من غير احـرام •

ثم يسير الحاج الى بير الهندى أو القضيمة أو « القديمة » : وهى قرية على البحر ماؤها ملح ومنها يتجه الى أرض خليص وبها عين خليص المشهورة ثم يسير الركب الى محطة عسفان : وهى قرية بها مياه عذبة ويقام بها سوق ، ولكن بطريقها ممر وعرضيق فيمر الركب جملا جملا حتى يدخلهـا •

ثم يسير الركب الى آخر محطات الحج الهامة وهى :

وادى فاطمة : —

والطريق اليه سهلة ، وبها شجر السنط وقبل دخولها يمر فى مضيق بين جبلين متقابلين جدا ، وبوادى فاطمة نخيل ، وسوق جامع، ويزرع فى أرضها بعض أصناف الحبوب ، وبعض الخضر ، ويكون يوم الاقامة به يوما عظيما ، تحضر فيه طائفة من أهل مكة المشرفة بالهدايا للحاج والتبرك بهم •

ثم يخرج الحاج منها فى موكب حافل على غاية من الانتظام والأبهة •

ومن وادى فاطمة يتوقف الركب فى محطة العمرة وبها مصلى، وحوض ماء وآبار •

ثم يصل الركب الى الشيخ محمود خارج مكة فيتوقف للراحة والاستعداد لدخول مكة ويغتسل هناك من يريد من الآبار الموجودة بهذا المكان •

ويكون وصول قافلة الحاج الى مكة المكرمة فى الاسبوع الاول من شهر ذى الحجة بين اليوم الخامس ، واليوم السابع وعند وصول مكة يدخل الحاج من باب المصلى الى الحرم الشريف مكبرين ملبين ، ويدخلون المسجد الحرام من باب السلام ، ويقبلون الحجر الاسود ويطوفون طواف القدوم ثم يصلون ركعتى الطواف ثم يخرجون للسعى بين الصفا والمروة •

وفى اليوم الثانى يخرج شريف مكة لملاقاة الحاج المصرى فى موكب من أمرائه وعساكره ، وجمع غفير من العرب مشاة وركبانا على الخيل والهجن فى ترتيب عظيم ، وعلى الشريف مظلة تظله يمسكها أحد أمرائه مكللة بالجواهر ، وتضرب له المدافع عند مجيئه ، وعند انصرافه ، ثم يتوجه لملاقاة أمير الحاج الشامى •

وخلال رحلة الحج يشتغل كثير من الحجاج بالتجارة ، فيحملون

معهم على ظهور جمالهم الاصباغ ، والمنسوجات ، وبضائع ثمينة أخرى وكثيرا من الاموال ، ويجلبون معهم عند العودة ، شيلان الكشمير والموسلين ، والاقمشة الفاخرة ، والبن .

وبعد أن يؤدى الحجاج شعائر الحج ، وبعد النزول من عرفة يستريح الحاج فى مكة حوالى عشرة أيام ثم يجهز نفسه للسفر الى المدينة المنورة .

ثم تقوم قوافل الحجاج من مكة الى المدينة المنورة ، فيسيرون فى واحد من طرق أربعة وهذه الطرق هى السلطانى ، والفرعى والغاير ، والشرقى .

وأفضل طريق للسفر هو الطريق السلطانى ، لأنه أحسن الطرق وأكثرها ما ، فاذا قامت منه القافلة خرجت من باب المعرة سائر الى الشمال الغربى مارة بالمحطات الآتية :

وادى فاطمة ثم عسفان ثم خليص وبعدها يمر على القضيمة « القديمة » ثم محطة رابغ وبعدها مستورة ، ثم بئر الشيخ وبعدها يمر على محطة بئر الشيخ ثم ديار بنى حصانى ثم الجديدة ، وبعدها يمر على بئر درويش ثم يصل الى آبار على وبعدها يدخل المدينة المنورة .

وبعد زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، يعود ركب الحاج الى مصر فيصل الى القاهرة فى أواخر المحرم (١) .

---

(١) فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت قافلة الحاج المصرى تغادر القاهرة على الاكثر يوم ١٩ شوال ، وتعود اليها فى أواخر المحرم ، أما فى القرن الثامن عشر حيث ساد الاضطراب والفوضى فكثيرا ما تأخر تجهيز القافلة بسبب مماطلة الامراء المماليك فى دفع نفقات الرحلة . فأصبحت قافلة الحاج تخرج من مصر فى أواخر شوال ، وتعود اليها فى النصف الاول من صفر فيما عدا استثناءات بسيطة ولظروف خاصة .

وفى طـريق العـودة عنـد العقبة ، والازلم تقـابل الحجـاج البعثة المرسلة من القاهرة لمعاونتهم فى رحلة العودة وامدادهم بمـا يلزمهم من مؤن وملابس وعليق .

وتستغرق رحلة الحج حوالى الثلاثة أشهر ، اذ يستغرق الذهاب أربعين يوما ومثلها فى العـودة (١) .

وفى تلك الفترة تصل رسائل الحجاج لذويهم مرتين المرة الاولى عند اتمام الوقوف بعرفة ليطمئن الاهالى على سلامة وصول الحجاج الى مكة ، وقيامهم بأداء فريضة الحاج ، والمرة الثانية عند اقتراب ركب الحجاج من القاهرة مع « الهجاناة » اذ كانت العـادة المتبعة، أنه عندما يقترب ركب الحاج من القاهرة أن يرسل أمير الحاج رسله من الهجاناة « أى راكبى الجمال » ليسـبقوا الركب الى القـاهرة ليبشروا أهلها بسلامة الحاج ان كان قد عاد سالما أو ليطلبوا النجدة ان كانت القافلة قد تعرضت للعدوان .

ولم تكن الدولة تتوانى عن نجدة أمير الحاج وانقاذ القـافلة اذا ما وصلتها استغاثة من أمير الحاج فى الوقت المناسب ففى عـام ١١٠٠ هـ — ١٦٨٨ م .

فى ٢٠ من شهر المحرم أى عندما كان الحاج فى طريقه للعـودة

---

(١) لقد بطل استخدام الطريق البرى للحج وقد بدأ ذلك كما سـجل الجبرتى فى عام ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م « فقد سافرت قافلة الحاج والمحمل من السويس ،وباع الحجاج جمالهم قبل السفر فأصبحت رحلة الحاج بذلك أقل صعوبة مما كانت فى المـاضى ، وقد تم التحول تماما الى طريق البحر الاحمر ابتداء من سنة ١٨٥٨ م حين حلت السفن البخارية محل السفن الشراعية فى نقل الحجاج بين السويس وجدة ثم جاء انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة والسويس ثم شق قناة السويس فزاد استخدام طريق البحر الاحمر .

أما الآن فقد غدت رحلة الحاج كلها متعة وسرعة وأمان سـواء أتمت بحرا بالبواخر أو جوا بالطائرات .

بعد قضاء الفريضة فقد أرسل المسئول عن بندر العقبة يخبر السلطان فى القاهرة بأن الباش أزلم طلعت عليه العربان فى الطريق فى عش الغراب ، وأخذوا قافلته ، وجميع ما كان معه ، ثم حضر أيضا رسول « نجاب » يخبر المسئولين فى القاهرة بأن العربان طلعوا على الحاج الشريف وهاجموه فى الشرفا ، ووقع بين الحجاج وبين العربان حرب شديدة وأنه قتل من الحجاج « خلق كثير » وقتل كتخدا أمير الحاج، وغصب العربان من الحاج حوالى ألف جمل بأحمالها غير النساء والرجال والاولاد وكادوا يأخذون الحاج جميعا .

فلما تحقق الباشا « حسن باشا السلحدار (١٠٩٩ هـ — ١١٠١هـ) — (١٦٨٧ م — ١٦٨٩ م) من صحة الخبر جمع الصناجق وأغاوات الأوجاقات وغيرهم من أعضاء الديوان العالى ، وعقد جلسة للديوان، ناقش فيها الامر ، ووجوب ارسال نجدة الى الحاج حتى يجتاز العقبة بسلام . وأرسل حملة بقيادة اثنين من البكوات المماليك هما درويش بك ، ومراد بك ، لانقاذ الحجاج ، وقد تطوع من تلقاء نفسيهما صنجقان آخران هما غيطاس بك الدفتردار وقتها ، واسماعيل بك الدفتردار السابق . وذلك للذهاب مع الحملة التى أصبح يقودها أربعة من البكوات الصناجق ، وضمت هذه الحملة مائة وخمسين فارسا من الاسباهية [١] بالاضافة لأتباع قادتها من الصناجق ، وقد كان خروج هذه النجدة الى قافلة الحاج [٢] بعد وصول طالب النجدة بيومين فقد خرجت فى الخميس ٢٢ من المحرم سنة ١١٠٠ وبوصول

(١) السباهية هم من الجند الفرسان من أوجاقات الجمعيان والتفنكجيان والشراكة وكان موكولا اليهم حفظ الامن فى الريف ومساعدة رجال الادارة فى جمع الاموال الاميرية ، وصد هجمات العربان ومراقبة زراعة الاراضى والمحافظة على مياه الرى وحسن توزيعها . عن دور السباهية فى الادارة راجع ابن أبى السرور البكرى :

كشف الكربة فى رفع الطلبة تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن القاهرة ١٩٧٦ .

(٢) كان يقود قافلة الحاج هذا العام الامير ابراهيم بك ابو شنب.

هذه الحملة المنقذة أمكن اعادة باقى الحجاج سالمين الى مصر فى الموعد المعتاد (١) وكتب الباشا للسلطان يخبره بما تم فى شأن قافلة الحاج(٢)٠

وقد ظلت هيبة السلطان بوصفة الزعيم الزمنى لأهل السنة ترتبط دائما بضرورة استمرار الحج الى مكة ، وتأمين سلامة الحاج وقافلته ٠

ويصل ركب الحاج فى السنوات الهادئة التى يحظى فيها الحجاج بالأمن فى أواخر رجب ، أو النصف الاول من شهر صفر ، ويدخل الحجاج الى القاهرة وفى أثرهم يدخل ركب أمير الحاج ، والازلم باشى، فى كامل الزينة والأبهة ونلاحظ أن أمير الحاج الذى كان يتقدم قافلة الحاج فى الذهاب ،يسير خلفها فى رحلة العودة ، ليوفر لها السلامة فى الحالتين ٠

وعند وصول الحاج الى القاهرة ، يخرج الاهالى لاستقبالهم بالتكبير والتهليل ، وحمد الله على سلامتهم ، ويتعرفون من الحجاج على ما قابلوا من أهوال الطريق أو ما لقوه من أمن وراحة ٠

ويصعد أمير الحاج بعد العودة الى القلعة ليخبر الباشا بما تم فى الرحلة ويتلقى منه خلعة السلامة ، وبعدها يعود الى منزله ، حيث يزوره كبار الامراء للتهنئة بسلامة الوصول ٠

ولم تكن رحلة الحج شيئا سهلا فى ذلك العصر بل كانت رحلة كلها مشقات وأخطار ، فقد كان الحجاج من أبناء مصر وأفريقيا وآسيا يقضون فى هذه الرحلة حوالى الثلاثة أشهر يعانون فيها مما كانت تلقيه يد الطبيعة فى سبيلهم من شدائد تفتك بالكثيرين منهم فى بعض السنوات ، من ذلك الحر القاتل ، أو البرد المهلك ، أو جفاف ماء الآبار فى الصحراء المحرقة وما كان يدهمهم فيها من السيول التى أشد ما حدثت فى عام ٤٩٧ هـ — ١١٠٣ م « حيث غرق الحجاج بأحمالهم

---

(١) عادت القافلة فى ١٥ صفر سنة ١١٠٠ ٠

(٢) ابراهيم الصوالحى : الصواعق فى واقعة الصناجق ص ٣٨٠ ٠

وجمالهم وأثقالهم من سيل نزل بهم فى بعض الاودية فى طريق عودتهم من مكة » .

وأيضا فى عام ١١٩٦ هـ — ١٧٨١ م حيث اجتاحت السيول نصف الحجاج المصريين بين مكة والمدينة .

وعدا هذه الشدائد الطبيعية ، فكثيرا ما كانت توقع بهم يد أشرار الأعراب ومن أقسى ما وقع لهم ما حدث فى عام ١١٩٩ هـ بسبب امساك أمير الحاج المصرى ببعض لصوص « حرب » فى طريق المدينة ووسمهم بالنار على خدودهم ، فقد علت صرختهم بطلب الانتقام ولاحقته قبائل حرب ، وحملت عليه ، فهرب مع عسكره ، ووقع الحجاج بين أيديهم فأفنوهم عن آخرهم ، ونهبوا ما كان معهم من متاع ومال .

وكثيرا ما كان تجاذب السلطة بين أشراف مكة أو حربهم مع قبائل الأعراب ، أو اختلاف أهل مذهب مع أهل مذهب آخر يغلق أبواب مكة أو المدينة فى وجوه الحجاج بعد وصولهم الى هذه أو تلك فيرتدون عن الاولى من غير تأدية المناسك وعن الثانية بدون زيارة النبى عليه السلام ، ويعودون الى بلادهم ، وقد أضافوا على متاعبهم الاولى مشقات جديدة ، تزيد فى شدتها عليهم آلامهم المعنوية ، من حرمانهم من أمنيتهم ، فتضعف قواهم ، وتخور عزائمهم وغالبا ما كانت تشتتهم يد الفوضى ، وتعرض بهم حال الضعف الى النهب والسلب .

وقد زادت حوادث السلب ، والنهب التى كان يوقعها العربان بقافلة الحاج فى القرن الثامن عشر بسبب ضعف الادارة العثمانية فى مصر ، ومنازعات وصراعات الامراء المماليك وسيطرتهم على مصادر الثروة فيها ، وأصبح أمير الحاج يحصل على مخصصات رحلة الحج بكل صعوبة ، وكثيرا ما وصلته ناقصة بعد عناء طويل فيقبض هو بالتالى يده عن دفع عوائد العربان واعطائهم المرتبات والمنح التى كان من المعتاد تقديمها لهم فى كل عام وهنا ينزل العربان به وبقافلة أقسى

أنواع النهب والسلب والانتقام وقد حدث ذلك فى أعوام كثيرة وخاصة فى نهاية القرن الثامن عشر ففى عام ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م فى عهد سيطرة ابراهيم بك ومراد بك على البلاد لم يرسل لقافلة الحاج البعثة المعتادة « ملاقاة الازلم » التى كانت تعاونهم فى رحلة العودة، وظل الناس فى مصر ينتظرون مجىء رسل قافلة الحاج للاطمئنان على سلامتهم دون جدوى حتى الثالث والعشرين من شهر صفر ، فلم يأت مبشر ولم يدخل ركب الحاج ، فاضطر ابراهيم بك الى ارسال « هجاناه » رسول ليعرف ماذا حدث لقافلة الحاج فعاد الرسول بنبأ اغتم له الناس جميعا وشملهم الحزن والأسى على المصير التعس الذى لاقاه الحجاج وأميرهم فى تلك السنة فقد تجمع العربان من كل ناحية عند محطة مغاير شعيب ونهبوا الحجاج وكسروا المحمل (١) وأحرقوه وقتلوا غالب الحجاج ومنهم الحجاج المغاربة (٢) وأخذوا أحمالهم ودوابهم ، ونهبوا أمتعتهم ، وجرح أمير الحاج وأصابته ثلاث رصاصات وغاب خبره عن القافلة ثلاثة أيام ثم أحضره العرب وهو عارى فى أسوأ حال ، وأسر العربان المهاجمون النساء ووقع بالقافلة أسوأ ما يمكن أن يقع بها (٣) .

وكثيرا ما تسبب طمع أمير الحاج فى عوائد العربان الى تقصيره فى حق الحجاج وحرمانهم من رغبتهم فى زيارة المدينة المنورة ،

---

(١) كان من المعتاد أن يعود المحمل الى مصر بعد انتهاء موسم الحج والمقصود بالمحمل فى هذه الحالة الجمل الذى حمل الكسوة الشريفة فى رحلة الذهاب ويعود وعليه كسوة خضراء قيمة فى العودة ليسلم فى القاهرة ويعاد الى حاصل الجمال أى حظيرة الجمال الخاصة برحلة الحاج.

(٢) كان الحجاج المغاربة من أنشط المسلمين فى المداومة على رحلة الحاج الى الحرمين سنويا ، وحتى فى السنوات التى كانت الاحداث فيها تحول دون ذهاب الحجاج المصريين مثل الفتنة التى حدثت فى مكة سنة ١٠٤٠ هـ ولم يخرج بسببها حجاج مصر وذهب أمير الحاج وقتها رضوان بك مع الحملة التى أرسلت للقضاء على هذه الفتنة ، خرج المغاربة فقط بصحبته للحج وكذلك الامر أيام الوهابيين .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ح ٢ ص ٢٥٠ .

والروضة الشريفة . وقد كثر ذلك أيضا فى أواخر القرن الثامن عشر وكان يسبب لأمراء مصر كثيرا من المشاكل ومن المتاعب ، وان كنت أرى أن السبب الحقيقى يكمن فى استبداد هؤلاء الأمراء وتقصيرهم فى دفع النفقات المطلوبة لقافلة الحاج وان ادعوا عكس ذلك ، ودنوا أيضا فى السجلات أنهم دفعوا نفقات الحرمين بالكامل فالواقع كان دائما يخالف ذلك مما كان يضطر أمير الحاج الى التقصير فى دفع عوائد العربان ويعرضه وقافلته للمهانة والمظهر السيء ففى عام ١١٩٩ هـ — ١٢٠٠ هـ (١٧٨٤ م — ١٧٨٥ م) لم يزر الحجاج المصريون المدينة المنورة « وحدث لهم ذلك أيضا فى العام الماضى » وذلك لعدم دفع أمير الحاج العوائد للعربان على طريق المدينة وأيضا صرة المدينة وبالرغم من أن أحمد باشا أمير الحاج الشامى أكد عليه فى ضرورة الذهاب بل وزاد على ذلك أن أنعم عليه ببعض المال والعليق والذخيرة فان الامير المصرى اعتل بأن الأمراء فى مصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة لا فى العام الماضى ولا فى هذا العام ، وأصر على امتناعه بالرغم من الحاح الحجاج وشريف مكة « الشريف سرور » وأمير الحاج الشامى عليه بضرورة زيارة المدينة ولما أصر على موقفه، طلبوا منه كتابه « عرض محضر »للسلطان لاخباره بتقصير الأمراء المشار اليه لينظر السلطان فى أمرهم فأجابهم الى طلبهم وكتب للسلطان بذلك ، وسار عائدا الى مصر وسط ضجيج الحجاج وعويلهم لعدم زيارتهم المدينة ، ولما عاد أمير الحاج الى مصر ، تشاجر معه مراد بك ، وابراهيم بك بسبب هذا الموقف وكتابه « العرضحال » « وادعوا عليه » — كما يقول الجبرتى المؤرخ النافذ البصيرة — تسلم جميع ملايل الحاج ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له فضحتنا فى مصر ، وفى الحجاز وفى الشام وفى الروم وجميع الدنيا » (١) .

والجدير بالملاحظة بالنسبة لاعتداءات العربان على قافلة الحاج

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار : ح ٢ ص ١٠١ .

أنها فى جميع المرات التى وقعت فيها ، لم تكن تقع على القـافلة الا فى طريق العودة ، أى بعد أن يؤدى الحجاج الفريضة وكأن هؤلاء العربان لا يريدون أن ينسب اليهم أنهم كانوا السبب فى منع المسلمين من أداء الفريضة ، وهذا أمر يبدو عجيبا الى حد كبير أن يكونوا لصوصـا وذوى مبادىء .

ونلاحظ أيضا أنه بالرغم مما كان يحدث لحجاج بيت الله الحرام من متاعب ومشاق فى الطريق فانه لم يمنعهم عن أداء الفريضة أى مانع ولم يسمع أنهم انقطعوا عن الحج من أنفسهم فى أى سنة من السنين ، اللهم الا فى السنوات التى كانت الأحداث فيها « مثـل ثورة القرمطى أو الدعوة الوهابية » تقطع الطريق عليهم ، ولم يتوقف الوقوف بعرفة منذ بدأ الاسـلام الى الآن لسـبب خارج عن ارادة المسلمين . الذين لم تثنيهم مشـقات ولا متاعب (١) مهما كان نوعها عن الارتحال سنويا الى بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج .

---

(١) وبسبب هذه المشقات والمتاعب كان أهل الحجاج يتلهفون على عودتهم سالمين وكأنهم كانوا عائدين من دار حـرب ونضال . فكانـوا يستقبلونهم بالطبول والزمور ، واقامة الافراح ويعدون لهم كل ما فيه راحتهم والترفيه عنهم من نقش واجهات المنازل ، وتجديد ما قدم عهـده فيها من فراش وغيره لا فرق فى ذلك بين أمير وفقير .

وكانت الطبقة الصغرى وهى سواد الحجاج أكثرهم مشقة بالطبع فكانت تزين لهم واجهات منازلهم ، فيرسم عليها صورة المحمل ، وقافلة الحاج والحراس ويرسم الى جانبها نخلة ربط الى جذعها أسدين فى سلسلتين من الحديد وبالقرب منهما رجل قد اشتهر سيفه فى يده اشارة الى أن الله حفظه ، وتغلب بقوته وشجاعته على ما صادفه فى طريقه للحج من مخاطر ومهالك . ولذلك أيضا وبسبب هذه المتاعب كان لقب الحـاج عند المسلمين أشرف الالقاب التى يتحلى بها المسلم . وقد حمل هذا اللقب كثير من باشاوات العثمانيين فى مصر فنجد أسماءهم ترد فى السـجلات هـكذا .

« حضرة وزير روش ضمير الحاج أبو بكر باشا » والامثلة على ذلك أكثر من أن تحصى فى سجلات المحاكم الشرعية الموجودة بالشـهر العقارى والخاصة بالعصر العثمانى وكذلك فى سجلات دار الوثائق القومية بالقلعة الصادرة عن ديوان الروزنامة فى العصر العثمانى .

وقد غدت مهمة أمير الحاج أكثر مشقة وأكثر كلفة فى القرن الثامن عشر ، فقد كان عليه أن ينفق الكثير من المال لتأمين سلامة الحاج ، وبالرغم من ذلك فقد ظل الأمراء المماليك يحرصون على تولى منصب أمير الحاج ، لما يضفيه عليهم قيامهم بهذه المهمة من مهابة وشهرة بخدمة الاسلام (١) وقيادة وفد الله الى بيته الحرام ، وأيضا لأن تولى هذا المنصب كان الطريق الذى يؤدى الى تولى المناصب الاعلى ، التى ينالها الامير مكافأة له على تحمله متاعب منصب أمير الحاج .

وما من أمير وصل الى الرئاسة فى مصر العثمانية الا وكان قد تولى امارة الحاج من قبل ومن أشهر هؤلاء الامراء ابراهيم بك أبو شنب (٢) وايواظ بك وعلى بك الكبير ومراد بك وغيرهم (٣) .

وقد اشتهر الكثيرون من أمراء الحاج فى مصر ابان العصر العثمانى بالزود عن الحجاج ، ودفع العربان عنهم (٤) ومن أشهر

---

(١) كان الامير المملوكى الذى سبق له تولى منصب أمير الحاج يحمل هذا اللقب دائما فيرد اسمه فى السجلات الرسمية بأنه « الامير ... ميراللوا الشريف وأمير الحاج السابق » .

(٢) عنترجمة الأمير ابراهيم بك أبو شنهب راجع الجبرتى : عجائب الآثار ح ١ ص ١٠٦ .

(٣) عن تراجم الامراء السابقين راجع الجبرتى : نفسه ح ١ ص ١١٥ ، ص ٢٥٠ ، ح ٣ ص ١٦٧ .

(٤) نسب البعض الى كثير من أمراء الحاج فى القرن الثامن عشر أنهم كانوا يتفقون مع العربان على قيامهم بنهب قافلة الحاج فى العودة ، وكانوا يتقاضون ثمن ذلك اقتسام الغنائم مع العربان ، وقد قيل مثل ذلك عن مراد بك فى سنوات كثيرة ، حج فيها هو أو غيره من الامراء المماليك . ولكن وبالرغم من اقتناعى التام بسوء تصرفات هؤلاء الامراء ومظالمهم التى سادت حياة مصر فى تلك الفترة فاننى من المعايشة الطويلة لأعمالهم ، ومن النظر اليها بعين فاحصة لا أرى صحة لهذا الرأى فبالرغم من كل الظروف ومن كل الاطماع فقد كان هؤلاء الامراء ينظرون الى موضوع الحج وقافلته نظرة كلها احترام وحب للاسلام وحرص على احياء شعائره واقامة أركانه .

هؤلاء الامراء الامير حسين بك كشكش الذى خرج أمير لقافلة الحاج أربع مرات متالية فى الاعوام من ١١٧٤ هـ — ١١٧٧ هـ — (١٧٦٠م— ١٧٦٣ م) « وقد خافه العرب ، وهابوه حتى كانوا يخوفـــون بذكره أطفالهم » على حد تعبير الجبرتى وعندما خرج أمير للحاج ١١٧٤ هـ وقف له العرب فى أحد المضايق على الطريق وطلبوا منه عوائدهم ، ولكنه قد صمم على عدم دفع شىء مما يطلبون فخادعهم حتى خرج من الطريق الضيق ، الى مكان أكثر اتساعا ثم غدر بهم وقتل ما يزيد على العشرين من زعمائهم فتفرقوا يطلبون الثأر ويتوعدونه بالانتقام.

ولـــا دخل هذا البك الجسور الى القاهرة حاملا رؤوس زعماء العرب المقتولين على الجمال ، وجه اليه على بك الكبير لوما شديدا على ما قام به ، وأوضح له أن ذلك العمل الذى أتاه سيكون فيه افســـاد لطريق الحاج ، وأنه يتوقع أن يكون انتقام العرب رهيبا فى العـــام التالى ، وبذلك ستتعرض أرواح المسلمين وأموالهم للتلف والضياع .

ولكن حسين بك سارع بتبديد مخاوف على بك ، وتعهد بالخروج بقافلة الحاج فى العام التالى . وفعلا خرج بها فى السنة التالية فتجمع عليه العرب ، ووقفوا يرصدون قافلته فى كل مكان على طريق الحاج، وكانوا كثيرى العدد ولكنه تصدى لهم بشجاعة فائقة ، وشتت شملهم، وأوقع بهم خسائر فادحة ، فخافوه ، ولم يتعرضوا له مرة ثانيـــة لا فى الذهاب ولا فى الاياب طوال توليه امارة الحاج . وظلت كلمة الله هى العليا ، وظل بيته الحرام وسيظل الى آخر الدهر مقصد المســـلمين من جميع أنحاء الارض[1] .

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

صدق الله العظيم

---

(١) عن ترجمة حسين بك كشكش وموافقة مع العربان راجـــع الجبرتى : عجائب الآثار ح ١ ص ٣١٩ .

الفصل الثانى

المخطوط ، مؤلفه ، وناسخه ، وخطة العمل فى تحقيقه ، وما يحويه من معلومات

التعريف بالمخطوط ووصفه : —

كتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج من الكتب النادرة التى تؤرخ لموضوع الحج وامارة الحاج فى مصر أبان العصر العثمانى .

والنسخة التى ننشرها هنا مأخوذة عن النسخة الوحيدة الموجودة تحت أيدينا حتى الآن للكتاب ، الذى ألفه الشيخ أحمد الرشـــيدى، وهى محفوظة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج تحت رقم ٨٢ تاريخ ، وواضح من العنوان الذى قدم به الناسخ هذه النسخة ، أنها منقولة عن نسخة المؤلف التى كتبت بخط يده ، مما يجعلها تلى نسخة المؤلـفمباشرة فى الاهمية وقد كتبت هذه النسخة لا شك بعد وفاة المؤلف غالبا فى عام ١١٧٨ هـ — ١٧٦٤ م فقد كتب الناسخ على الصفحة الاولى من المخطوط أنه « للشيخ الامام العالم العلامة المدقق الشيخ أحمـــد الرشيدى رحمه الله تعالى آمين » .

ولا شك فى أنها نسخة كاملة لمـــا كتبه الشيخ الرشيدى حتى نهاية عام ١١٧٨ هـ فقد كتب على الصفحة الاولى أن هذه النسخة آلت الى أحد بائعى الكتب الذى كتب علىالغلاف « من نعم الله على عبده الفقير أحمد الكتبخنجى بالحسين عفى عنه » ثم آل الكتاب الى شخص آخر فى شهر صفر سنة ١١٧٩ هـ ، فقد كتب على الغلاف أيضا العبارة التالية « من ودايع الدهر عندى لم أدرى لمن بعدى الفقير اسيد حسين ابن المرحوم ابراهيم فى سلخ صفر سنة ١١٧٩ هـ وتحت هذه العبارة ختم السيد حسين ابراهيم ، وقد انتهت الأحداث التى دونها المؤلف الى عام ١١٧٨ هـ وابتداء من عام ١١٧٩ هـ — ١٧٦٥ م كتب شـــخص

آخر غير الناسخ تكملة لأحداث الكتاب تستمر الى عام ١١٩٧ هـ — ١٧٨٢ م بخط مخالف للخط الذى كتب به المخطوط أولا وربما كان ذلك الشخص هو الشيخ حسن العطار (١) الذى تملك المخطوط أثناء توليه مشيخة الازهر ، وذلك ثابت من العبارة الواردة على صفحة العنوان وهى « تملكه الفقير حسن العطار ، المولى مشيخة الازهر عفا الله عنه آمين » وقد كتب الشيخ العطار تعليقات كثيرة ، على أحداث الكتاب، فيها اضافات يربط فيها بين أحداث الكتاب ، وبين ما يقع فى عصره ، وهى تعليقات دقيقة تنم عن اهتمام بالكتاب وأحداثه ، وقد رمز اليها كالآتى ت • ح • ع أى تعليق حسن العطار •

---

(١) ولد الشيخ حسن بن محمد العطار سنة ١١٨٠ هـ — سنة ١٧٦٦م من أب فقير يشتغل بالعطارة ولكنه يحب العلم ، وكان ابنه حسن يعينه فى عمله ، ويستمع الى شىء من علمه ، ولكنه كان يرغب فى العلم أكثر مما يرغب فى ممارسة البيع والشراء فى شئون العطارة ، فكان يتردد على الازهر خفية ، ويحضر دروس العلماء ، فلما علم أبوه ذلك سر به ، وساعده على الانقطاع للعلم .

وخلال الحملة الفرنسية على مصر ، اختلط الشيخ العطار بالفرنسيين وأعجب بمدى ما وصلوه من تقدم علمى ، وقد رحل الشيخ العطار الى الشام ، وأقام فيها فترة يتطارح الشعر مع شعرائها ويراسل علمائها ثم رحل بعد ذلك الى تركيا فأقام بها زمنا طويلا ، وتزوج هناك وأعقب ولكن عقبة توفى ثم عاد الى مصر ، وقد زادته تلك الرحلات علما وخبرة ومعرفة ، واشتغل بتدريس التفسير وأقبل عليه الطلبة اقبالا كثيرا، وألف عدة مؤلفات فى علوم الفقه والنحو والمنطق ورسائل فى الهندسة ، والطب والتشريح ، والرمل والزايرجة ، وله رسائل فى النثر كما أن له كثيرا من الشعر الذى دون منه الجبرتى فى تاريخه الشىء الكثير ، وقد قامت بين العطار والجبرتى صداقة حميمة ، ولكن تقرب العطار الى محمد على — الذى اختاره محررا للوقائع المصرية أول صدورها — أساء الى العلاقة بين العطار وبين الجبرتى ، وقد ولاه محمد على مشيخة الازهر سنة ١٢٤٦ هـ — سنة ١٨٣٠ م وبقى بها الى وفاته فى عام ١٢٥٠ هـ — ١٨٣٤ م ومن أشهر تلاميذه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى اشترى فيما يبدو كثيرا من كتب أستاذه الشيخ حسن العطار بعد وفاته ومن بينها كتاب « حسن الصفا والابتهاج » الذى ننشره هنا ، وكتب أخرى كثيرة موجودة الآن بمكتبة الشيخ رفاعة بسوهاج .

وذلك بالاضافة الى التعليقات الاخرى التى وضعها الناسخ على شكل عنـــاوين جانبية منه للأحـــداث التى ينســـخها ، وقد أثبت كل التعليقات فى هوامش صفحاتها حتى ينشر النص كاملا •

وتقع نسخة سوهاج فى ٨٦ ورقة من وجهين أى ما يعـــادل ١٧٢ صفحة ، وكل صفحة تحتوى على ٢١ سطرا وكل سطر تتراوح كلماته ما بين سبع وثمانى كلمات •

وقد كتبت هذه النسخة بالخط النسخى العادى ، وتوجد منهـــا صورة شمسية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٥٥٥٩ تاريخ ، وقـــد صورت هذه الصورة عن نسخة مكتبة ســـوهاج فى عـــام ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م ، كما توجد بالدار أيضا نسخة أخرى منقولة عن النســـخة المصورة ، نقلها عالم من دمياط اسمه الشيخ محمد زرنبة فى آخـــر صفر سنة ١٣٥٤ هـ وهى تحت رقم ٥٥٨٧ تاريخ ، وقد حذف منها معظم التعليقات ، واكتفى بنسخ الاصل فقط ، دون أى اضـــافة أو تعليق ، وهى تقع فى ١٣٠ صفحة •

وقد اعتمدت على نسخة سوهاج للنشر لأنها أقـــدم وأفضـــــل نسخة بين أيدينا •

المؤلف :

هو الشيخ أحمد الرشيدى الذى وصفه الناسخ بأنه « العـــالم المدقق » لم نعرف سنة ميلاده ، وان كنت أرجح أنه توفى فى نهـــاية عام ١١٧٨ هـ — ١٧٦٤ م بعد انتهائه من تدوين أحداث الكتاب الذى آل الى الكتبى ثم الى السيد حسين ابراهيم فى شهر صفر عام ١١٧٩هـ أى فى بداية العام ، وغالبا حدث ذلك عند بيع تركة الشيخ الرشيدى بعد وفاته ، وكثيرا ما وقع البيع لمكتبات العلماء فى ذلك العصر ، خاصة اذا كانوا لم يخلفوا أبناء يرثونهم كما حدث للشيخ مرتضى الزبيدى(١)

---

(١) عن ترجمة الشيخ الزبيدى راجع :
عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ح ٢ ص١٩٦

الذي بيعت أوراقه ، وكتبه بعد وفاته ، وقد اشترى الجبرتى قسما كبيرا من هذه الكتب والاوراق ، ووجد فيها أصول كتابه عجائب الآثار التى كان قد أعطاها للسيد مرتضى ، وما أكثر العلماء الذين بيعت كتبهم بعد وفاتهم ، والذين ترجم لهم الجبرتى فى تاريخه ، وربما كان الامر كذلك مع الشيخ أحمد الرشيدى ، وان كان الجبرتى لم يترجم له ولم يقدم الشيخ الرشيدى فى كتابة ترجمة لنفسه ، ولا لأسرته وقد سكتت المصادر المعاصرة عن الترجمة له ، وقد رجعت الى الكثير من كتب التراجم ، فلم أجد له مع الاسف أى ترجمة ولكن من يطلع على الكتاب الذى نقدمه هنا للمؤلف يحس تماما أنه عالم من علماء الازهر فى القرن الثامن عشر ، ويشير الشيخ الرشيدى فى مقدمته الى أنه قام برحلة الحج الى بيت الله الحرام أكثر من مرة ويخص بالذكر المرة التى حج فيها بصحبة شخصية كبيرة لم يفصح عن اسم صاحب الشخصية أو مركزه ولكنه أشار اليه بألقاب يفهم منها أنه عالم من كبار العلماء كأن يكون شيخ الازهر أو قاضى القضاة فقد ذكر عنه « أنه واحد الزمان بالاجماع ، مرجع الافاضل والعلماء بلا دفاع أبقاه الله ذخرا لذوى الافضال على الدوام » (١) .

ويدل ذلك على أن الشيخ الرشيدى كان ميسور الحال والا لما قام بالحج أكثر من مرة ، كما يدل ذلك أيضا على تقواه ، وصحبته لذلك العالم الرئيس توحى الينا بأن الشيخ الرشيدى كانت له مكانة طيبة فى عالم العلماء فى وقته . وقد شهد الشيخ الرشيدى جزءا كبيرا من حياة مصر فى القرن الثامن عشر ، ورأى مظالم الامراء المماليك التى استفلحت خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن ، وقد قارن الشيخ الرشيدى بين حالة الامراء المماليك فى الماضى عندما كانوا يعمون أهل الحرمين ، والحجاج بخيراتهم وحسن معاملتهم وبين أمراء عصره الذين استبدوا وظلموا وكانوا يستغلوا موسم الحج لترويج تجارتهم، وبيع السلع للحجاج بأغلى الاسعار ويضيقون على المسلمين قال « فانظر

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ١ .

انى فعل هؤلاء الامراء وعموم خيراتهم ، وانظر الى أمر هذا الزمان ، وعموم ضررهم وشرهم ، وما كفاهم ما يرسلونه للبيع ، حتى يحجرون على فقراء الحجاج ، ويحجرون فى وقت البيع على الناس فلا يبيعون شيئا ، حتى يباع ما أرسلوه لتجاراتهم بأغلا الاسعار ، وبذلك يحصل مزيد التضييق على المسلمين لأنهم لو خلوا سبيل الناس فى البيـــع لحصر الرفق ، ورخص السعر وحصل النفع للمسلمين » (١) ولا شك أن هؤلاء الامراء المستبدين الجشعين كانوا هم أمراء مصر فى القرن الثامن عشر الذى عاش فيه المؤلف • وشاهد أحداثه حتى النصف الثانى منه•

ويبدو أن الشيخ الرشيدى كان يتمتع بثقافة واسعة بالنســـبة لعصره اذ يتضح من كتابه الذى بين أيدينا اطلاعه على كثير من المصادر التاريخية السابقة مثل كتب السيوطى والمقريزى ، وابن اياس ، وابن الوكيل ، وابن أبى السرور البكرى ، وأحمد شـــلبى ، وعبد الرحمن الجبرتى وغيرهم ، وقد أتاح له هذا الاطلاع ، المقدرة على اخـــراج كتابه الهام الذى أرخ فيه لمصر ولأمـــراء الحاج فيها فى فترة طويلة نمتد من العصر الاسلامى حتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر•

وقد ذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه ألفه ليكون مرجعا يفيـــد من يحتاج اليه ، وقدم فيه خلاصة خبرته بموضوع الحج فجاءت كتابته حصيلة خبرة وعلم قال « وبعد فيقول العبد الفقير ، أحمد الرشـــيدى الحقير ، أنى حين من الله على بالحج لبيته الحرام ، وزيارة نبيه المصطفى عليه السلام ، وتكرر ذلك بعون الله على أحسن حال ، وأيسر شان•••، الى أن يقول « فأحببت أن أجمع بالاختصار فى هذه الاوراق من كان أمير الحج من مكة والمدينة والشام والعراق ، الى أن صارت الخلافة والدولة والسلطان لصاحب مصر ، واستوفى فى ذلك سنة بسنة من عهده صلى الله عليه وسلم ، والى هذا الزمان على الوجه الأتم ، ليســـهل الوقوف عليه فى المطالعة ، وتعظـــم فائدته ، عند الاحتيـــاج اليه فى المراجعـــة » (٢) •

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٣٤ •

(٢) نفسه ص ١ ، ص ٢ •

ويتضح من العبارة السابقة أن الشيخ الرشيدى ألف كتابه بهدف الافادة ، ولوجه الحقيقة والتاريخ ، فانه لم يقدمه هدية لكبير أو رئيس، وقد كان الشيخ الرشيدى مواليا للدولة العثمانية ، شأنه فى ذلك شأن سائر العلماء فى عصره ، فقد كان العلماء فى ذلك العصر يمثلون طبقة تمتع تبعطف الدولة ، ورعايتها ، وحظيت بالكثير من المرتبات ، والمكانة السامية لدى الدولة وولاتها فى مصر ، وشغلت مناصب المدرسين والمفتين ، والقضاة ، وكانت لهم أهمية كبيرة فى بناء المجتمع المصرى حينذاك ، وأدى ذلك بالاضافة لرابطة الاسلام والشعور بأن السلطان العثمانى هو حامى المسلمين وخليفة الاسلام الى أن يذكر العلماء دائما الدولة العثمانية وسلاطينها بالخير والثناء والدعاء الدائم لهم بطول البقاء والخلود وفى كثير من صفحات كتاب الشيخ الرشيدى تظهر بوضوح هذه الظاهرة .

وقد نهج المؤلف فى كتابه منهجا حوليا فى تتبعه لامارة الحاج منذ عهد الرسول عليه السلام ، فهو يذكر السنة ومن تولى امارة الحاج فيها ، جنسية الامير ، وأهم أعماله ، ويعرض من خلال ذلك لأهم الأحداث التى وقعت فى موسم الحج سواء فى مكة ، أو فى مصر .

وقد التزم المؤلف فى كتابه خطة الاختصار ربما كان ذلك راجع الى طول الفترة التى عرض فيها لأمراء الحاج وفى ذلك يقول : « فأحببت أن أجمع بالاختصار فى هذه الاوراق من كان أمير الحاج من مكة والمدينة والشام ومصر ... الخ » (١) .

وقد نقل المؤلف مادته عن الفترة السابقة لعصره ، من المراجع المعاصرة لها ، أما الفترة الاخيرة التى تمثل القرن الثامن عشر ، فقد كان ولا شك معاصرا للجزء الاكبر منها ، وكان شاهد عيان لما دونه من أحداثها .

وقد كتب الرشيدى كتابه بأسلوب سهل وان كان لم يخل من

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج المقدمة .

الاخطاء النحوية واللغوية الى حد ما ، وقد استخدم المحسنات اللفظية فى بعض الاحيان كالسجع ويعكس ذلك صورة صادقة لتدهور اللغة فى عصر المؤلف •

ولم يشر الشيخ الرشيدى فى كتابه الى أن له مؤلفات أخرى غير هذا الكتاب ، كما أنه لم يشر أيضا الى سنة تأليفه له ، وكذلك فعل الناسخ ،الذىلم يذكر سنة كتابته لهذه النسخة التى بين أيدينا ، ولم يفصح أيضا عن شخصيته •

ولم يذكر الشيخ الرشيدى مصادره التى نقل عنها فيما عدا اشارته الى الذهبى ، والى صاحب الاتحاف ، ولكن بالدراسة الدقيقة للكتاب وأحداثه يتضح أنه رجع الى المصادر التى سبقته ، والتى عاصر بعضها وأخذ مادته العلمية منها مثل :

١ — حسن المحاضرة للسيوطى •
٢ — الذهب المسبوك للقريزى •
٣ — بدائع الزهور لابن اياس •
٤ — أخبار الاول للاسحاقى •
٥ — تواريخ ابن أبى السرور البكرى •
٦ — تحفة الاحباب لابن الوكيل •
٧ — أوضح الاشارات لأحمد شلبى •
٨ — صفوة الزمان لمصطفى القلعاوى •
٩ — تاريخ الجبرتى •
١٠ — الدرة المصانة للدمرداش •

وغير ذلك من المصادر المعاصرة •

خطة العمل فى المخطوط : —

قمت أولا بمراجعة النص مراجعة دقيقة على المخطوطات والمراجع المعاصرة التى أعتمد عليها المؤلف ، وقمت بضبط أسماء الاعلام ، وأسماء

المواقع ، والبلدان ، والالفاظ الاصطلاحية وقدمة لها فى الحواشى شرحا أو تعريفا •

وقد اعتاد نساخ المخطوطات تبسيط الهمزات فى الكلمات المهموزة مثل الأيمة ، ادايها ••• الخ ولكنى لم أتقيد بطريقتهم ، ورسمت هذه الالفاظ وغيرها مهموزة دون أن أشير الى ذلك فى الهوامش لكثرتها •

كما أننى آثرت عند الطبع استعمال علامات الترقيم الحديثة ليتضح بها المعنى ، وتسهل قراءة النص قراءة صحيحة •

محتويات الكتاب :

الكتاب ملىء بالمعلومات القيمة والجديدة عن موضوع الحج ، وامارة الحاج ، وفيه يعرض المؤلف لامارة الحاج منذ بدايتها على عهد الرسول عليه السلام فى حجته المعروفة بحجة الوداع •

وقد أوضح المؤلف أن امارة الحاج قبل بداية الحكم العثمانى فى الشام ومصر ، كانت تسند الى أعظم شخصية بين وفود الحجاج سواء من مصر أو من الشام أو العراق • أو مكة ، وكانت مهمة أمير الحاج حينذاك قاصرة على الاشراف على الحجاج فى مكة فقط ، وتأمين تأديتهم لفريضة الحج بها وقد كانت امارة الحاج فى البداية يتولاها الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء ، فقد تولاها الخلفاء الراشدون، وخلفاء بنى أمية ، والخلفاء العباسيون ، وملوك اليمن وأمراء مكة ثم سلاطين المماليك فى مصر ، ثم تغير الوضع بعد الفتح العثمانى للبلاد العربية ، فأصبح للحج أميران فقط أمير للحج الشامى وأمير للحج المصرى بدأ تعيينه منذ عام ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م •

وقد تابع المؤلف امارة الحاج منذ عهد الرسول عليه السلام ثم فى عهد الخلفاء الراشدين، الذين تولاها منهم ثلاثة هم أبو بكر، عمر، عثمان بن عفان، أما على بن أبى طالب فلم يتول امارة الحاج لانشغاله بأحداث الخلافة وحروبها • وقد تولى عبد الله بن الزبير امارة الحاج، كما تولاها أيضا خمسة من خلفاء الأمويين وهم معاوية بن أبى سفيان

عبد الملك بن مروان ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك وتولى امارة الحاج من خلفاء بنى العباس فى بغداد ثلاثة من خلفـاء العصر الأول وهم أبو جعفر المنصور ، أبو عبد الله المهدى ، وهارون الرشيد أما خلفاءالعصر العباسى الثانى فقد شغلتهم حياة الترف والانقسامات الداخلية ، وضعف الدولة عن التفكير فى الخروج الى الحج .

ويشير المؤلف الى ثورات القرامطة ، الذين اجترأوا على مهاجمة الكعبة ، وسلب الحجر الأسود ، كما يشير الى قيام الدولة الفاطمية فى مصر ، وسيطرتها على طـريق الحجاز ، مما كان له أكبر الاثر فى الحيلولة بين الخلفاء العباسيين وبين تولى امارة الحاج .

وقد حج من خلفاء العباسيين بالقاهـرة أولهم وهـو الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى الذى حج فى سنة ٦٩٧ هـ فى عهـد سلطنة الملك المنصور لاجين ، وحج منهم أيضـا بشخصه لا بوصـفه أميرا للحاج الخليفة المعتضد بالله سـنة ٧٥٤ هـ وتولى امارة الحاج سنتها ركن الدين عمر الحاجب المملوكى ، وهذه الظاهرة تدل بوضوح على ضعف مكانة هؤلاء الخلفاء وأنه لم يكن لهم شىء من السلطة الحقيقية أو الاسمية .

ولم يذكر المؤلف تولى أحد من خلفاء الامويين بالاندلس امارة الحاج ، فقد حالت العـلاقات السـيئة بين هؤلاء الخلفـاء ، وبين الخلافتين العباسية والفاطمية اللتين تناوبتا الاشراف على الاراضى المقدسة ، دون ذهابهم الى هناك .

ولم يتول امارة الحاج أيضا أحد من خلفاء الفاطميين فى المغرب أو فى مصر ، وهذا هو الغريب ، فقد كانت لهم السيطرة على الحجاز واليمن ، وليس فى مذهبهم الشيعى الاسماعيلى ما يمنع الحج ، الذى هو ركن من أركان الاسلام ، مهما كان الأمر فقد صور المؤلف عناية الفاطميين الكبيرة ، بقافلة الحاج المصرى وانفاقهم عليها بكرم وسخاء

وقد سجل المؤلف موقفا غريبـا على الخليفة الفاطمى الحاكم

العبيدى ، الذى حاول نقل الحج الى القاهرة وفشل فى ذلك •

وقد تتبع المؤلف أمراء الحاج من مختلف البلدان منذ انقسام الخلافة الى دويلات يحكمها ملوك الى قيام الدولة العثمانية وحكمها فى مصر وحتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر • وقد أرخ المؤلف لأمراء الحاج من اليمن والشام ومصر فمن اليمن تولى امارة الحاج ستة ملوك أولهم على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية باليمن ، وثانيهم وثالثهم ملكان من ملوك الأيوبيين باليمن وهما تورانشاه أخو صلاح الدين وفاتح اليمن فى عهده ، ثم الملك صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد صاحب مصر ، ورابعهم وخامسهم وسادسهم ، ثلاثة من ملوك بنى رسول باليمن ، وهم الملك المنصور نور الدين عمر بن على ثم ابنه الملك المظفر يوسف ، ثم حفيد المظفر وهو الملك المجاهد على •

وتولى امارة الحاج من ملوك الشام ثلاثة نور الدين محمود ابن زنكى ، والملك عيسى الايوبى ، وثالثهم الملك الناصر صاحب الكرك •

ولم يتول امارة الحاج أحد من ملوك الأيوبيين فى مصر ، ولعل السبب فى ذلك انشغالهم جميعا بالجهاد الاعظم ضد الصليبيين ، ولكن صلاح الدين أبدى اهتماما كبيرا بشئون الحرمين •

وفى سنوات كثيرة تولى امارة الحاج ولاة أو أمراء مكة أو المدينة •

وكان أول من تولى امارة الحاج من سلاطين مصر السلطان المملوكى الظاهر بيبرس البندقدارى ، ثم حج بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتولى امارة الحاج ثلاث مرات •

وفى عهد الدولة العثمانية فى مصر بدا الاهتمام واضحا بامارة الحاج وشئون الحاج ولم يتوقف الحج حتى فى عام الفتح كما سجل المؤلف فقد قاد قافلة الحاج وركب المحمل سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧م القاضى علاء الدن بن الامام ناظر الخواص وفى العام التالى ٩٢٤هـ — ١٥١٨م تولاها القاضى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة •

ثم تولاها الامير برسباى الجركسى داودار جانى بك (١) •

وظلت السـنوات الأولى من الحكم العثمـانى فى مصر يتولى امارة الحاج فيها أشخاص مختلفون فى النوعية متعممون ، مماليك ، شيوخ عرب •

ثم قدرت الدولة خطورة مهمة أمير الحاج فأسندت ذلك المنصب الى البكوات المماليك الصناجق أسوة بأمراء الحاج الشاميين وليكون أمير الحاج قادرا على تأمين سلامة الحجاج •

ويسجل المؤلف فى كتابه « حسن الصفا والابتهاج » أن شئون مكة كانت موضع تدخل حكام مصر والشـام واليمن ، وهنـاك كان يتصادم نفوذ أولئـك جميعا ، فكان لكل منهم شريف ينـاصره وفى انتصاره وتوليه الشرافة ، انتصار ضمنى لوليه الذى ساعده، وسيادة لنفوذه ،وربما كان هذا من بين الأسباب التى جعلت كلا من الشـام واليمن يحقدان على مصر ، انفرادها بارسال محمل سنوى ، فشاركاها هذا الشرف (٢) •

وقد كانت الخصومات لا تهدأ بين شريف مـكة ، ومنافسيه من الأشراف ، وقد كان هؤلاء يحسبون ألف حساب لامير الحاج المصرى، فقد كان يقود معه الى الحجاز قوة عسـكرية كبيرة ، كفيلة بترجيح الجانب الذى تنحاز اليه •

وفى بعض الحالات التى كان ينتصر فيها شريف مكة على منافسه كان يطغى ويجور ، وينشر الذعر فى مكة وهنا كانت الدولة تتدخل عن طريق أمير الحاج المصرى لارجاعه الى الصواب مثلما حـدث فى عام ١٠٣٧ هـ ــ ١٦٢٧ م فقد تغلب الشريف أحمد بن عبـد المطلب على

(١) عن امارة الحاج فى السنوات الاولى من الحكم العثمانى راجع : ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ .

(٢) بدأ ارسال المحمل الشامى عقب الفتح العثمانى لمصر سـنة ٩٢٣ هـ ثم أعقبه المحمل اليمنى سنة ٩٦٣ هـ .

ابن عمه الشريف الحاكم « محسن » وانتصر عليه ، وأقام نفسه سلطانا بمكة وتشبه بالأروام أى الاتراك ، وقتل الاعيان والتجار ونشر الذعر فى مكة ، ولكن أمير الحاج المصرى « قانصوة بك » قضى على حركته ، وعين بدلا منه للشرافة ، شريفا مواليا للسلطنة هو الشريف مسعود بن السيد ادريس (١) .

ومن أهم فتن الأشراف التى سجلها المؤلف الفتنة التى حدثت عام ١٠٤١ هـ — ١٦٣١ م واستمرت حتى عام ١٠٤٣ هـ — ١٦٣٣ م وشغل الاهتمام بها ، ومتابعة أحداثها عددا كبيرا من صفحات المخطوط الذى بين أيدينا .

وقد أثار تلك الفتنة الشريف نامى الذى جمع المتمردين من أهل اليمن ، والحجاز ، وهاجم مكة ، فتصدى لقتاله أمير مكة ، وأمير جدة ، ولكنه انتصر عليهما،ونهب مكة ، وأسواقها ، ونصب نفسه شريفا عليها ، فأرسل الأشراف يستنجدون بباشا مصر ، فتزعم الامر قاسم بك رئيس القاسمية . الذى خرج ، ومعه جند كثيف ، لقتال الشريف العاصى ، الذى فر هاربا عند دخولهم مكة ، وقد ظفروا به بعد ذلك وشنقوه وقضوا على عصيانه وتمرده (٢) .

وفى عام ١٠٧٨ هـ — ١٦٦٧ م أثار الشريف حمودة فتنة أخرى كبيرة ضد الشريف الموالى لمصر ، واقتضى الأمر أن يرسل له باشا مصر ، حملة كبيرة مكونة من خمسة آلاف عسكرى للقضاء على هذه الفتنة (٣) .

وفى عام ١١٠١ هـ — ١٦٨٩ م قضى أمير الحاج ابراهيم بك ذو الفقار على فتنة أخرى أثارها الشريف ابن غالب بمكة فقد تمرد وحفر الخنادق وأقام المتاريس وضرب المدافع ولكن ابراهيم بك

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٦٣ .
(٢) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج من ص ٦٧ الى ص ٧٦
(٣) نفسه ص ٨٣ .

هزمه ، ولى بدلا منه الشريف محسن بن حسين ، ونودى بالأمان بعد حـــروب كثيرة وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليهـــا فرحا بالخـــلاص من شره (١) .

ويسجل الشيخ الرشيدى فى مؤلفه من أحداث مكة الهامة غير فتن الأشراف ، ماكان يقع فيها من ظواهر طبيعية تلحق الضرر بالبيت الشريف ، وبأهل مكة وبوافديها من الحجاج .

ففى عام ٥٩٢ هـ « حدث هبوب ريح أسود عم الدنيا ووقـــع على الناس فيها ، رمل أسود ، وســـقط من البيت الشريف ، قطعـــة من الركن اليمـــانى ، وتجرد من كســـوته مرارا لتمزيق الريح لهـــا والقائها بالمسجد الحرام (٢) .

وفى عام ١٠٣٩ هـ — ١٦٢٩ م « حدث بمكة سيل عظيم ومطر وابل جسيم ، تهدمت منـــه بمكة غالب الأماكن ، وخربت منه معظم المساكن ، ومات تحت الردم خلائق لا تحصى ، وأطفـــال من مكاتب التعـــليم لا تستقصى ، ومات به خـــدم ومخـــدومون ، وســـادات ومنسوبون حتى ارتجت قلوب أهـــل مكة ، فى وقع ذلك حين تحققوا تلك الأهوال والمهـــالك ، وسقط بنـــاء البيت الشريف ، من الجوانب الاربع ، وانخسفت أرضه » (٣) .

ويعرض المؤلف فى كتابه للاصلاحات المتتالية التى قام بها أمراء الحاج من خلفاء ، وملوك ، وسلاطين ، وأمـــراء فى مكة والمدينة . وقد بدأ بذلك الخليفة عمر بن الخطاب الذى وسع فى بناء المســـجد الحرام ثم ما كان من بناء الكعبـــة على يد الزبير بن العوام بعـــد هدمها على عهد يزيد ، فبناها ابن الزبير على قواعد ابراهيم ، وأدخل

---

(١) نفســـه ص ٨٣ .

(٢) نفســـه ص ٢٨ .

(٣) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٦٥ .

فيها الحجر وجعل لها بابين ، ولكن الحجاج لم يلبث أن هزم ابن الزبير ، وقتله وهدم ما بناه ، وأعاد بناءها (١) .

ومن الخلفاء ذوى المآثر الهامة الوليد بن عبد الملك الذى عنى بمسجد الرسول عليه السلام فى المدينة ، عناية كبيرة ، وأمر بعمارته، كما أمر باصلاح الطرق ، وعمل الآبار ، بطريق الحجاز ومنهم سليمان ابن عبد الملك الذى أمر باجراء عين يخرج ماؤها العذب بين زمزم والمقام .

وبين ثنايا الكتاب تتناثر معلومات قيمة عن كسوة الكعبة ، التى كانت تصنع من الديباج المذهب ، وكانت كسوة الكعبة ، لاتنزع من الكعبة فى كل سنة كما هو العمل الآن بل تلبس كل سنة كسوة فوق تلك الكسوة ، فلما استمر ذلك سنوات طويلة ، خاف السدنة على الأركان أن تنهدم ، لثقل ما عليها من الكسوة ، حدث هذا فى عهد الخليفة العباسى « المهدى » فنزع الكسوات القديمة وألبسها كسوته (٢) .

وقد كانت كسوة الكعبة منذ عهد عمر بن الخطاب تصنع فى دور الطراز « النسيج » فى تنيس ، وشطاوتونه ، ودمياط وقد صنعت فى عهد ، الناصر محمد بن قلاوون فى دار الطراز بالاسكندرية لتدهور صناعة النسيج حينذاك فى دمياط ، وازدهارها فى الاسكندرية .

وقد قام نزاع دائم بين ملوك اليمن الرسوليين وبين ملوك الأيوبيين أولا ثم سلاطين المماليك فى مصر ثانيا حول السيطرة على الاراضى المقدسة ، وظهر ذلك فى سعى كل منهم لأن يكسو الكعبة .

وقد حدث فى عام ٦٤٣هـ — ١٢٤٥ م — عندما هبت رياح شديدة مزقت كسوة الكعبة فألقتها بعيدا ، وبقيت الكعبة عارية — أن أراد ملك الرسوليين فى اليمن نور الدين عمر بن على أن يكسو

---

(١) نفسه ص ١٠ ، ص ٦٥ .

(٢) نفسه ص ١٣ .

الكعبة ، فامتنع شيخ الحرم من ذلك « وكساها ثيابا من قطن ، مصبوغا بالسواد ، وركب عليها الطرز القديمة » (١) .

وفى عام ٦٥٩هـ — ١٢٦٠م كسى الملك المظفر يوسف بن نورالدين الكعبة فى حجه ، وغسل الكعبة وطيبها فخطب له أى لملوك اليمن على منابر مكة ، ولكن بعد الخطبة لسلطان مصر (٢) .

ولكن الأمور تغيرت بعد استقرار السلاطين المماليك فى مصر ، فقد تولوا هم كسوة الكعبة الشريفة ، وكان الظاهر بيبرس كما نعلم من مصادر متعددة ، هو أول من أعد المحمل لحمل الكسوة ، وقد حج فى عام ٦٦٧ هـ — ١٢٦٨ م وعلق كسوة الكعبة بيده ، وكتب الى صاحب اليمن موبخا (٣) وبعدها لم يكمن أمير مكة ، أى ملك يمنى من كسوة الكعبة .

وقد سجل المؤلف عناية سلاطين العثمانيين وولاتهم فى مصر ، بكسوة الكعبة ، فقد أمر السلطان سليمان بجعل كسوة الكعبة من طراز مزركش بالفضة المطلاة بالذهب وزاد داوود باشا الفضة فى ثوب المحمل من المخيش وأبدل الرصافيات النحاس ، التى كانت به بالفضة الخالصة ، وطلاها بالذهب وكذلك جعل أعلام المحمل من المخيش ، وأعلام المنبر الشريف ، وكانت قبل ذلك من الحرير الأسود والابيض ، فأبدلها بالمخيش المزركش ، بالفضة المطلاة بالذهب (٤).

وكانت الكسوة ترسل غالبا مع قافلة الحاج من البر الا اذا كان فى الطريق عقبات فترسل من البحر (٥) .

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٢٩ .
(٢) نفسه ص ٣٠ .
(٣) نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .
(٤) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٤٠ .
(٥) نفسه : ص ٤٧ .
وقد حدث أن أرسلت الكسوة فى أعوام كثيرة من البحر لاضطراب طريق البر كما حدث فى عام سنة ٩٢٣ هـ بسبب أحداث الفتح العثمانى لمصر .

وقد سجل الشيخ الرشيدى التغيير الذى حـدث بشأن دوران المحمل بالكسوة ، ابان الحكم العثمانى فى مصر ، فبعد أن كان يحتفل بدوران المحمل فى مصر على عهدالمماليك ، مرتيق الأولى فى شهر رجب بعد النصف منه عند النداء للحج والثانية فى نصف شوال فقد أصبح ذلك يتم مرة واحدة فى النصف الثانى من شوال حيث يخرج المحمل لينضم الى قافلة الحاج (١) .

وفى كتاب « حسن الصفا والابتهاج » الذى نقدمه هنا معلومات جـديدة ، عن الدور الذى قامت به الدولة العثمانيـة عن طـريق باشاواتها فى مصر ، فى العنـاية بقافلة الحاج بتقديم العون للحجاج فى طريق الذهاب بتوفير الحماية العسكرية لهم وصد عدوان الاعراب عليهم بالقوة وببذل العطاء لهؤلاء العربان ، وفى طريق العودة، بارسال الوفد المصرى الذى يلاقيهم عند عـودتهم فى العقبـة ، وفى الأزلم حيث يقدم اليهم مايحتاجونه من غذاء وكساء ، ومعونة ، وحماية (٢).

وقد عنى المؤلف بتتبع قافلة الحاج ، وركب المحمل منذ خروجهما من القاهرة ، وحتى الوصول الى الأراضى المقدسة وما قد يقع لهذه القافلة فى الطريق ، من حر شديد ، أو برد قارس أو عطش أو سيل، وما تلاقيه من رخص أو غلاء فى الأسـعار ، وما يواجههـا من أمن أو اعتداء . وهو حـريص على أن ينوه بمسلك أمـير الحاج ، ازاء الحاج ، وما يلاقونه فى الطريق .

ففى عام ٩٣٤ هـ — ١٥٢٧ م .

« أصاب الحاج حر شديد ، وسـموم وعطش ومشـاق ومات

---

(١) أحمد الرشيدى : المصدر السابق ص ٤٩ .
(٢) نفسـه : ص ٤٧ .

فيها خلق كثيرون ، خصوصا من الفقراء ، والمشاة ونهب غيرهم » (١)٠

وفى عام (٩٣٥ هـ — ١٥٢٨ م) « ارتفـع ثمن قربة المـاء الى دينار ذهب » (٢) ٠

ويسجل الشيخ الرشيدى فى مؤلفه تأثر الحج بما يقع من فتن وأحداث فى الوطن العربى ، ففى كثير من السـنوات انقطـع الحج مثلما حدث فى عام (٣٢٩ هـ — ٩٤٠م) عندما استفحل أمر القرامطة وامتد طغيانهم الى مكة « فلم يحج أحد من العراق ، ولا من غـيره خوفا من القرمطى » (٣) ٠

وفى الأعوام من سنة ٦٤٤ هـ الى سنة ٦٤٩ هـ أى لمدة خمس سنوات « لم يحج أحد من مصر ، ولا من غـيرها لانتشار الفتن ، والقتل لاستيلاء الامام الزيدى صاحب اليمن على مكة » (٤) ٠

وفى الأعوام من ٦٥٤ هـ الى ٦٥٨ هـ « لم يحج أحد من سائر الجهات ، سوى حجاج الحجاز » (٥) أيضا خوفا من الفتن القائمـة ومحاصرة صاحب اليمن لمكة ٠

وفى عام ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م لم يحج أحد من الشـام أو من الشام أو من مصر بسبب تقدم السلطان سليم الى الشام لفتحها ٠

وقد فصل المؤلف الحديث عن امارة الحاج فى مصر ابان الحكم العثمانى ، فتناول تعيين أمير الحاج الذى يتم بخط شريف سلطانى٠

وقد تتبع منصب امارة الحاج وتطوره فى مصر منذ بداية العهد العثمانى ، وكيف اسندت الامارة فى العامين الأولين لاثنين من أرباب الوظائف المدنية « المتعممين » ثم كيف استحوذ البكوات المماليـك

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٥٠ .
(٢) نفسـه ص ٥٠ .
(٣) نفسه ص ١٨ ، ص ١٩ .
(٤) نفسـه ص ٢٩ .
(٥) نفسـه ص ٣٠ .

على هذا المنصب فى العام التالى باسناده لاتباعهم من الكشاف ، وان شاركهم شيوخ العربان الأقوياء ، فى تولى هذا المنصب ، مثل شيوخ بنى عونه فى البحيرة • ولكن خطورة وأهمية منصب أمير الحاج جعلت الدولة تعهد بهذا المنصب فى النهاية الى البكوات المماليك القادرين على القيام بما يتطلبه المنصب من قدرة ومهارة ، وكلما نهض أمير الحاج بمسئوليته فى حماية الحجاج ، والسهر على راحتهم على خير وجه ، كلما طالت مدة توليه منصب أمير الحاج •

ومن أهم واجبات هذا الأمير ، اعداد الآبار ومنازل الحج ، وحراستها وتألف عشائر العربان ، الرابضة على طريق الحج ، باعطائها الهدايا والاموال ، كما يقوم أمير الحاج أيضا بتوزيع الصرة على أشراف الحرمين ، وأموال الصدقة وغلالها على فقراء الحرمين • وعليه أن يراعى الوقت المناسب للسفر والوصول الى مكة فى الزمن المطلوب وكلما اشتهر أمير الحاج بالشدة والقسوة فى معاملة العربان، كلما نجح فى كف أذاهم عن الحجاج من أهم هؤلاء الأمراء الذين اشتهروا بذلك ، والذين ترجم لهم المؤلف الامير مصطفى بن عبد الله الرومى كاشف الغربية والجسور والذى عين أميرا للحاج سنتين متتاليتين من عام (٩٣٨ هـ — ١٥٣١ م) الى ٩٤٠ هـ — ١٥٣٣ م فقد عرف « بالنشار » ولقبه العربان ذلك لأنه كان ينشر السارق نصفين من أعلاه الى أسفله وكان على الرغم من شدته مع العربان ، كريما متواضعا مع الحجاج « بحيث كان ينزل فى جميع الأماكن الضيقة ، من على فرسه ويمسك رواحل الحجاج ، ويقودها فى أى مضيق تعبره حتى يخرج بها الى السعة ، رفقا بالحجاج ، وكان يتبع الاماكن التى هى مظنة السراق والعربان ، ويكمن لهم فيها ، وكان لا يغفل عن حراسة الحاج ، ولا يعتمد فى ذلك على جماعته ، بل يتولى ذلك بنفسه » وفى عام ٩٤٠ هـ مات كثير من الحجاج ، بسبب الحر الشديد فى الطريق فانفق هذا الأمير مالا كثيرا فى تحصيل المياه ، ومواراة الاموات ، وتصدق على الفقراء وقد أنفق كثيرا على

تجهيز قافلة الحاج ، فجهز الخيول المسرجة بالملابس المرصعة وجهز كثيرا من الدروع والخوذات والعـــدد والآلات والخبخانات مما أدى به الى أن ينفق فى سنة واحدة مائة وخمسين ألف دينار • وقد اشتهر بالحلم والبشاشة والســماحة والعفة والمــروءة والشجاعة والعــدل والجرأة واكرام العلماء وكره الظلم (١) •

وعلى العكس من ذلك اذا كان أمير الحـــاج سيىء الخلق ، أو اشتهر بالجبن أو الجشع تعرض الحجاج لنهب العربان وسلبهم •

ويعم الخير أهل الحرمين ، وكذلك الحجاج اذا كان أمير الحاج شخصية اشتهرت بالطيبة والكوم مثل الأمير « بيرى بك » (٢) الذى تولى امارة الحاج لمدة سبع سنوات متصلة من (١٠٠٤ هـ — ١٥٩٥ م) الى (١٠١١ هـ — ١٦٠٢ م) والذى ترجمــه المؤلف بأنه « الأمــير الصالح ، المدبر الناصح صاحب المآثر الجميلة ، والخيرات الجزيلة، وكان يخرج كل عام من ماله جانبا كبيرا ، ويضعه بأكياس ، برسم الصدقات ويكتب بظاهرها أكياس الصدقة ، فيعم علمــاء الأزهر ، وعلمــاء الحرمين ، وصــلحائها من المــدارس ، والربط والفقــراء والمحتاجين ، والأرامل ، والايتام والاغراب والمنقطعين وكان حريصا على فعل الخيرات الباقية ، والصـــدقات العظيمة الجارية ، والاعمال الصالحة ، والافعال الناجحة ، لاســيما فى طريق الحجاج ، وأنشأ بطريقة ، جملة من الآبار ، ورمم كثيرا من تلك الآثار ، وأنشأ سبيلا، وحوضا ، ومصلى ، وساقية بظاهر المدينة المنورة ، ووقعت فى محلها فان جميــع القوافل الواردة على المــدينة والحجاج والزوار تردها وينزلون عندها ، ويستريحون بها ويغتسلون فى الليل والنهار ، وكان يواسى الحجاج ، ويشملهم بمعروفه واحسانه ، ويوســع عليهم فى المضايق ، ولا يمنع عنهم مطلوبا يريدونه ، ويحرص على راحتهم ،

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٥٠ .
(٢) نفســـه ص ٥٧ .

ويميل بطبعه الى حب العلمـاء والصـالحين والفقـراء ، والايتام والمساكين (١) •

ولمـا كانت مهمة أمير الحاج عظيمة وشـاقة وتكلفه كثيرا من الجهد ، والمـال والبذل ، فكثيرا ما كانت الدولة تكافأة عن نجاحه فى مهمته كأمير للحاج بتعيينه فى منصب هام مثل الدفتردارية أو منصب القائمقـام •

وقد تنـاول المؤلف ما يتعلق بأمـير الحاج من جميع الجوانب وأوضـح الأمر بالنسـبة لمعاونى أمـير الحاج من كتخدا ودويدار وسردارات للقـوة العسكرية المصاحبة لركب الحاج ، وقاضى يتولى الفصل فى ما قد ينشب بين الحجاج من منازعات ، كما يتولى شئون المواريث خلال الرحلة وجميع الشئون المتعلقة بالقضاء والدين وكثيرا ما تعرض أمير الحاج لحسد منافسيه وكيدهم له عند السلطان فيأتى الأمر بنزع مملتكاته ، وتجريده من منصبه كما حدث للأمير رضوان بك الفقارى (٢) فى عام ١٠٤٨ هـ ــ ١٦٣٨ م •

وقد عنى الشيخ الرشيدى فى مؤلفه بالترجمة لكثير من أمراء الحاج ، وأخلاقهم ومناصبهم وموقفهم من السلطة وموقف السلطة منهم ، كما سجل المؤلف ما كان يقع من منازعات بين البيوت المملوكية مثل القاسمية ، والفقارية على منصب أمـير الحاج ويترجم الأشهر من تولاها من الطرفين فمن القاسمية الذين برزوا فى هـذا المنصب « قاسم بك » الذى تولى أمـيرا للحاج فترات طـويلة تولاها فترة امتدت من (١٠١٥ هـ ــ ١٠١٩ هـ) ــ (١٦٠٦ ــ ١٦١٠ م) وتولاها فترة أخـرى امتـدت من (١٠٢٧ هـ ــ ١٠٣٣ ــ) ــ (١٦١٧ م ــ ١٦٢٢ م) وقد ترجمه الشيخ الرشـيدى بأنه « صـاحب الأخلاق الحميدة ، والتدبير والمعارف السديدة ، والشفاعات المقبولة ، عنـد

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٥٩ .

(٢) نفسـه ص ٨١ .

الأمراء ، والكلمة المسموعة ، عند الاعيان والكبراء ، واتفق العساكر عند كلمته ، فلا يخالفونهـا ، يقصـده جميع النـاس فى حوائجهم ويهرعون اليه فى مصالحهم ، فيبادر الى قضاء ذلك ، راجيا من الله الثواب ، وطالبا حسن ما عنده يوم المآب ، ولصدق نيته ، واخلاصه يحصل للمشفوع له المطلوب ، لا يحتجب عن صغير ، ولا عن كبير ، ولا يمتنع من الاجتماع به خليل ولا حقير وحصل للحجاج فى زمانه ، الراحة ، والرفق والتسهيل والأمان والامن والرخاء » (١) .

وقد ظل هذا الأمير يتولى امارة الحاج عاما بعد عام ، حـتى كبر سنه ، ووهن عظمه ، وأجهده السفر فتنازل عنها باختياره لمملوكه قانصوه بك (٢) .

ومنذ عام ١٠٤٠ هـ الى عام ١٠٧١ هـ = (١٦٣٠ — ١٦٦٠م) تولى البكوات من الفقارية امارة الحـاج ، وظـل الامر فيهم حتى انتهى نفوذهم تماما بالقضاء عليهم فى وقعـة الفقارية الشهيرة عام ١٠٧١ هـ — ١٦٦٠ م .

ومن أشهر الأمراء الفقارية الذين تولوا امارة الحاج وأحسنوا القيام بها الامير رضوان بك الفقارى الذى تولى امارة الحاج ثمانى سنوات متصلة من (١٠٤٠ هـ — ١٠٤٨ هـ) أى من (١٦٣٠ م الى ١٦٣٨ م) وقد قدم له المؤلف ترجمة تعـد من أحسن التراجم التى قدمها لأمراء الحاج قال عنه أنه « الحسن الاقوال والافعال، صاحب الصـنيع المشكور ، والسعى المقبـول المبرور ، الفارس المهـاب ، الشجاع الأواب ، محب العلماء والصـالحين والفقراء ، والضـعفاء والمسـاكين ، المجبـول بطبعـه عـلى حب المـآثر المحمـودة ، والقربات الآخـروية المشـهورة والخـيرات الواقعـة فى محلهـا ، المتقيـد بأمورات العلمـاء ، وحمـلة القرآن والفقراء ، والمعدمين والاعيان ، والمتقيد بموارات موتاهم ، فى القبور ، وصرف مايحتاجون

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٥٨ .
(٢) احمد الرشيدى : نفسه ص ٦٠ .

اليه من المصاريف على الوجه المستور ، مع تقيـــده بتأسيس أنواع الخيور وما فيه ينال الثواب والاجور ، باذل الهمة العالية فى فعـــل ما يدوم ثناؤه ، وما يحمده فى الناس لقاؤه ، ولقد شمر عن ســـاق همته ، واجتهد بعظيم صولته ، وقام ببديع تدبيره ، وجـــرد سيوف مكارم أخلاقه وعزمه فى طريق الحجاج بفعل أنواع القربات، وتحصيل ما يدوم أجره فى صحايفه مع عالى الرتب ، وذلك من الترميم والبنا للآبار ، وتنظيف الطرق من الأوعار ، لاســـيما الوعرات الســـبع ، وترميم مادرس من الآبار ، التى بها النفع ، وقد كانت تلك الوعرات قبل ذلك مجهدة لأهل الحجيج ، موجعة للجمال والرجال وقطع نقب على المشهد الذى حصل بقطعه للحجاج غاية السرور ، ونظف عقبـــة السكر الكثيرة الرمال والاحجار ، الشاقة على جميع الرجال والجمال، وبنى النواطير بالمنصرف كالعلامات وكان الحاج لسعته يضل فيه ، وتعظم عليه المشقات فلا يهتدون لســـلوك الطريق ذهابا ولا ايابا ، وعمر بالحرمين الشريفين ، وقام بجملة من الترميم وأصلح ماأحتاج اليه الحال من العمـــارة فى الحجرة النبوية والترخيم ، وفى كل عام خيراته بطرق الحجاج متجددة ، ومآثره الباقية أجورها مدى الأيام متعددة » (١) .

وقد اشترك هذا الأمير مع الحملة المصرية فى القضاء على فتنة الشريف نامى فى عام ١٠٤٣ هـ — ١٦٣٣ م فبذل الكثير من الجهد ، ومن أمواله فى سبيل انجاح الحملة فى مهمتها . وقد حدثت له محنة قاسية ، عندما كاد له منافسوه من البكوات المماليـــك لدى السلطان فأمر ببيع بلاده وأرزاقه ، ونهب المنافسونأمواله وأملاكه ، ثم استعاد الأمير رضوان رضى السلطنة فقد توفى الســـلطان مراد الذى لاقى المحنة على يديه وتولى السلطان ابراهيم الذى رضى عنه وأعاد اليه ممتلكاته ومناصبه (٢) .

---

(١) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٢) نفســـه ص ٨١ .

وقد تمسك الفقارية بمنصب أمير الحاج ، ولما حاول الباشا أغتصابه منهم فى عام) ١٠٦٦ هـ — ١٦٥٥ م (باعطائه لاحمد بك بشناق ثاروا ضده ، وأنزلوه من القلعة قهرا ، واستمروا يأخذون امارة الحاج حتى قضى على نفوذهم فى عام ١٠٧١ كما قدمنا .

ومن خلال الترجمة لأمراء الحاج يمكن اعداد قائمة بأمراء الحاج فى مصر منذ بداية العصر العثمانى حتى نهاية القرن الثامن عشر (١) كما يمكن تتبع علاقة الدولة والسلطة المحلية بهؤلاء الأمراء، والدور الذى لعبته مصر مع أشراف مكة .

ومن أحداث الكتاب يمكن استخراج معلومات مفيدة عن علاقة مصر ابان الحكم العثمانى بجيرانها فى بلاد الحجاز واليمن والشام والمغرب .

وقد عرض الشيخ الرشيدى من خلال تتبعه لأنباء امارة الحاج لكثير من أحداث مصر والسلطنة ، فهو يسجل دائما تولية السلاطين الجدد ، ويقدم لهم ترجمة موجزة ، وكذا من يتوفى منهم وقد سجل الكثير من الاحداث التى وقعت فى مصر فى العهد العثمانى مثل ثورة أحمد باشا (٩٣١ هـ — ١٥٢٤ م) ومثل ما كان يقع من صراعات الأمراء المماليك ومنافساتهم ودسائسهم التى كانت أحيانا تمس أمير الحاج ومظالمهم التى كانت تلحق بالحجاج الأذى وخاصة عندما كانوا ينافسون الحجاج فى شئون التجارة خلال موسم الحج .

ويتخلل عرض الأحداث وتتبع أنباء قافلة الحاج وأميرها عرض كثير من المصطلحات الادارية والجغرافية وأسماء الوظائف .

---

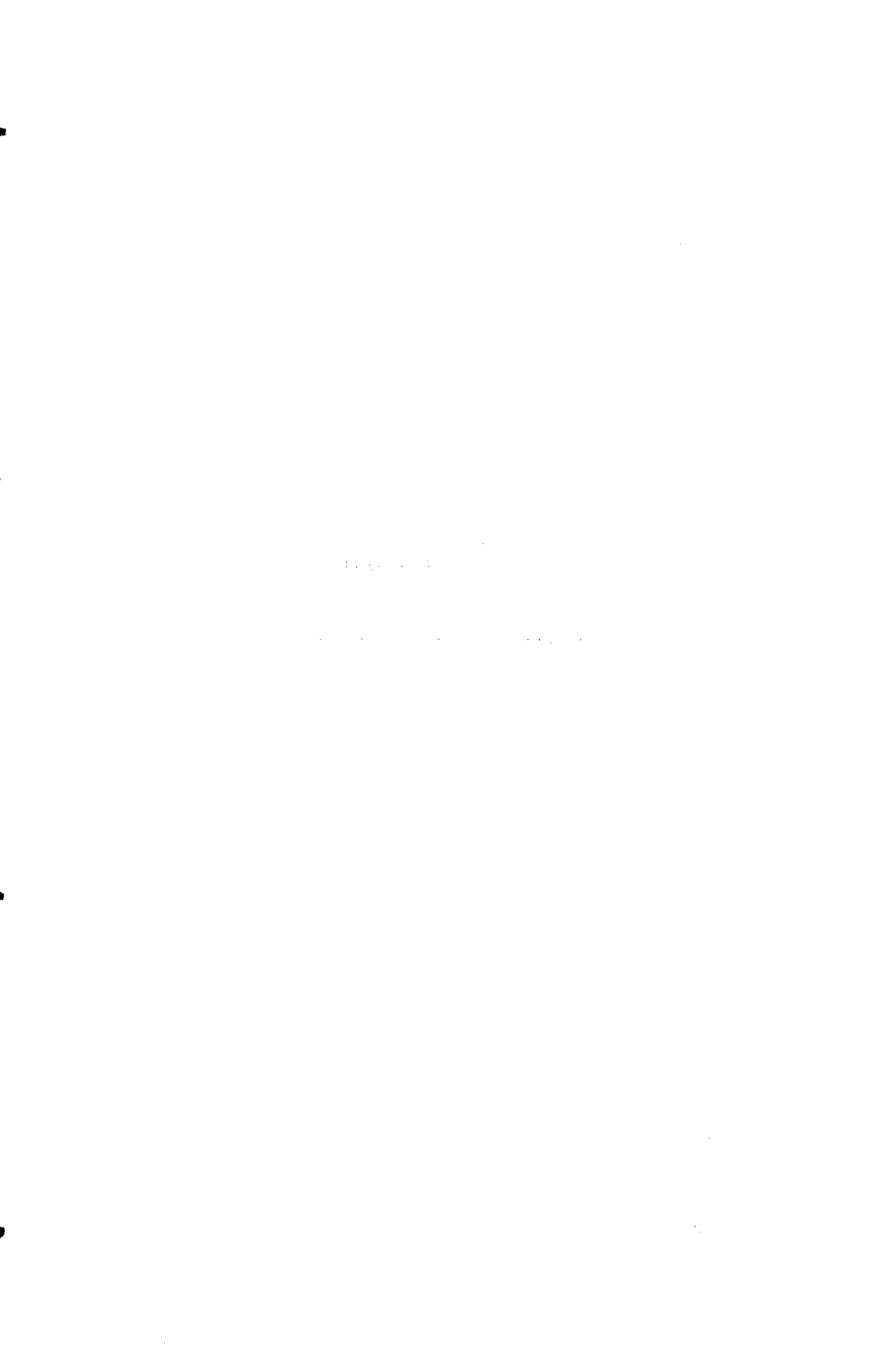
(١) أعددت قائمة لامراء الحاج فى تلك الفترة وضعتها فى نهاية الكتاب .

وبعد فهذا هو كتاب « حسن الصــفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج » للشيخ أحمد الرشيدى ، وهذه هى محتوياته ، وذاك هو منهجى فى تحقيقه ونشره • وأرجو أن أكون قد لاقيت التوفيق فى دراسته وتحليله ونشره •

والله ولى التوفيق •

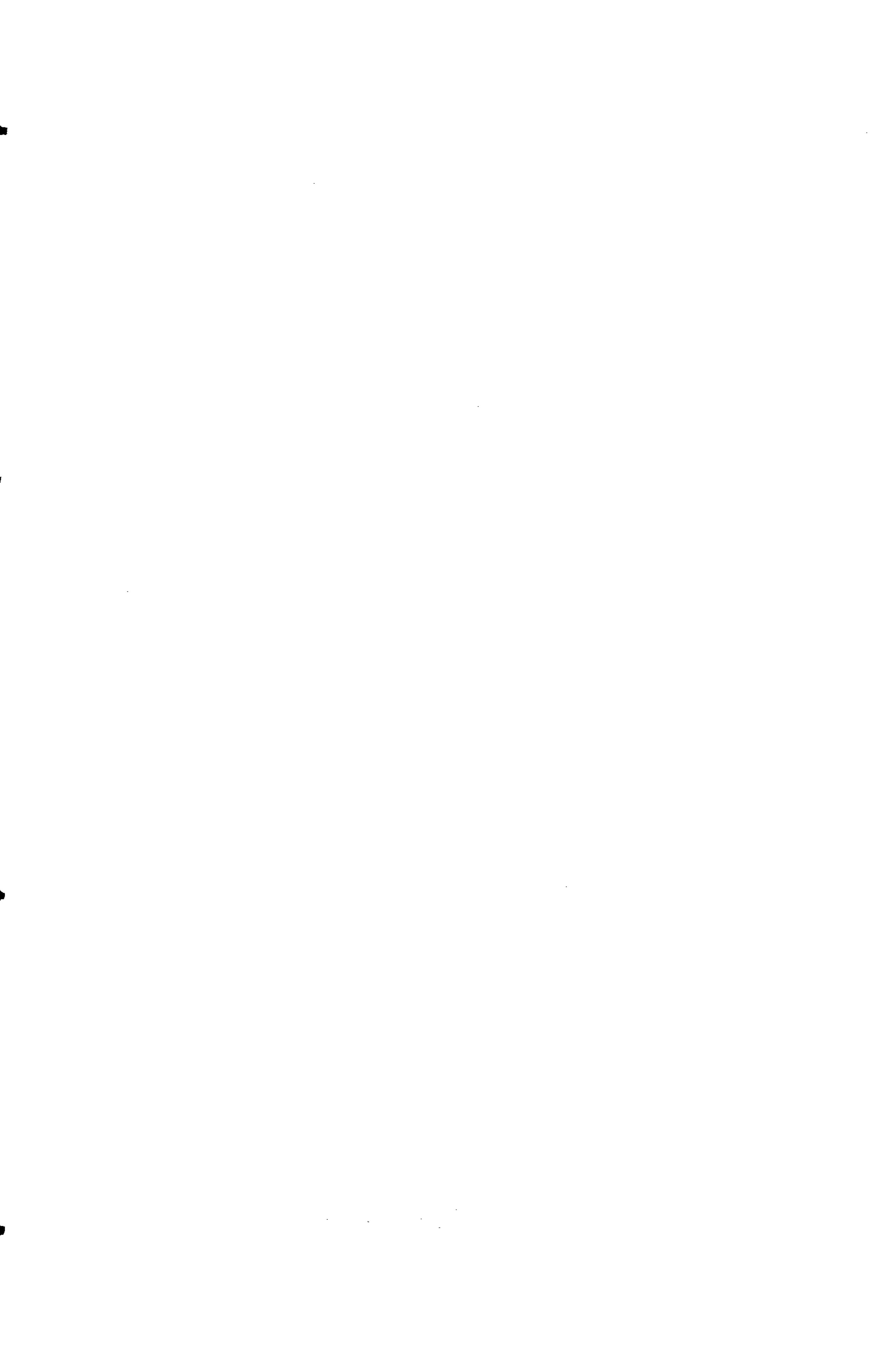
القسم الثـانى

النص محقق ومصحح ومضبوط





صفحة مصورة من المخطوط نفسه



كتاب

حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج

تأليف

الشيخ الامام العالم العلامة المدقق الشيخ

أحمد الرشيدى

رحمه الله تعالى آمين

حمدا لك يامن رفع معالم البيت الشريف ، على أثبت بنيان وأفرغ على الطائفين به حلل الرضى والرضوان ، ودعا لزيارته من قدرها له فى الأصلاب والارحام ، قبل عالم البيان ووفقه لاحيائه بالنسك ، حسب اجابة الدعاء والاتصاف بذلك ، العوان ، فسبحانه من اله ، جعل امارة الحاج من أجل المناصب ذوى السنن والشأن ، وأفضل مراتب أهل العناية والاتيان ، كيف وهو جارى حمى وفد الله لبيته الكريم ، وزيارة المختار من عدنان ، وصلاة وسلاما دائمين على المبعوثين بأشرف الأديان ، وعلى آله وصحبه مالاذ خائف بحرمه ففاز منه بالامان واحتمى بجواره فنجامن الزيع والافتتان •

وبعد فيقول العبد الفقير أحمد الرشيدى الحقير أنى حين من الله على بالحج لبيته الحرام ، وزيارة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتكرر ذلك بعون الله على أحسن حال وأيسر شأن ، وأنعم حال ، خصوصا صحبة [1] واحد الزمان بالاجماع ، مرجع الافاضل والعلماء بلا دفاع أبقاه الله ذخرا لذوى الأفضال على الدوام ، من هنا على مر الليالى ، والايام ، وختم له بالحسنى وزيادة ، وأدام وجده واسعاده آمين ، ووقفت على ما أسسه الملوك والسلاطين

---

(١) بالاصل « صحبته » وصحتها ما أثبتناه .

ومن مضى من أمراء الحج المتقدمين من الخيرات التى بين يدى نجواهم قد قدموها، والصدقات الباقية ، والمآثر الحسنة التى اكتسبوها ، وعند الله سبحانه وتعالى احتسبوها فأحببت [١] أن أجمع بالاختصار فى هذه الأوراق من كان أمير الحاج من مكة والمدينة والشام ، والعراق الى أن صارت الخلافة والدولة والسلطان لصاحب مصر ، وصار المحمل يخرج منها بعد أن كان انما يخرج منها للحاج قافلة صغيرة أو أفراد تسافر للتجارة يسيرة ، وصار ذلك هو المعول عليه وجميع الحجوج تابعه له واقفة لديه واستوفى فى ذلك سنة بسنة من عهده صلى الله عليه وسلم والى هذا الزمان على الوجه الأتم ليسهل الوقوف عليه عند المطالعة وتعظم فائدته عند الاحتياج اليه فى المراجعة .

وسميته حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج والله الموفق للصواب ،واليه المرجع والمآب .

فأقول اعلم لطف الله بى وبك فى جميع الأحوال ونجانا من فضله من جميع الاهوال أن من مهمات الدين وأفضل شرائع المسلمين ، بعد الصلاة ، الحج الى بيت الله الحرام والوقوف بتلك المشاعر العظام ، وأن من التوبات الأكيدة والمساعى المطلوبة الحميدة، زيارة خير المرسلين ، ومهبط وحى رب العالمين ، لأنها موقع نظر الله الكريم ، وقد قيد الله لخدمة هذين الحرمين الكريمين ، فى كل العصور الخلفاء والملوك والسلاطين ، والأمراء والاعيان المقسطين فقاموا بحقوقها أكمل القيام ، وواسوا أهلها ببدائع الانعام وأجادوا فى دفع المضار عن وافديهما [٢] وافتدوا فديهما وكفوا [٣] الأذى عن قاصديهما ، وكان من أجل المناصب الاسلامية ، وأعظم الوظائف الديينية ، وأكمل المراتب العالية ، وأشرف الخدم العالية ، امارة الحاج الشريف والنظر فى أمور الركب المنيف ، فانها ولاية تدبير

---

(١) بالاصل « فأجبت » وصحتها ما أثبتناه لتستقيم العبارة .

(٣) بالاصل « وفايديهما » .

وسياسة ونظر فى مصالح وفد الله وكياسة ، وهى فى القديم والحديث مشروعة وعليها الاحتياج ، واليها [١] الأمة مجموعة .

قد أمر من تلقائه أميرا على الحاج خير المرسلين وقام فيهـا بنفسه الشريفة فى بعض السنين ، وتلاه الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون ، ومن بعدهم من الخلفاء ، والسلاطين الكرام اما بأنفسهم أو بنوابهم على الدوام وفاء بحقــوق الحرمين المطلوبة وقياما بمـا يوجب الدرجات المحبــوبة ، وأن كل من ناب عن سلطانه فى هــذه الخدمة المكرمة ، وأخلص فى التوجه لتلك الأراضى المعظمة ، فقــد وفى بذلك حقوقه المؤكدة ، واســتوجب المثوبات المؤبدة ، لشــغل سلطانه بمصالح العباد لاسيما « من » [٢] يكون بعيدا عن أولئك [٣] الناس ، كســلطاننا العثمانى ، لازال ساحبا [٤] ذيول العــدل ، مسعودا [٥] فى حركاته وسكناته ملحوظا من الله فى جميع توجهاته، وقد كان ابتداء [٦] امارة الحج الشريف من مكة السنية ، فى الســنة الثامنة من الهجرة النبوية ، حين فتحها رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان للاسلام بذلك الفتوح السعود المحتم ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عتاب بن أسيد [٧] وأقامه أمــيرا أيضا على الحاج يحج بالمســلمين ، فحج بهم ذلك العام ثم من المــدينة المنورة ، وتلك المكرة المزهرة ، واستمر أمير الحاج يخرج منها الى أن انتقلت الخلافة الى بنى أمية ، وكانت دار ملكهم الشام ، ولهم بها حسن المقام ، فصار الأمير يخرج بالحاج منها ، وتجتمع عليــه

---

(١) بالاصل اليها وأضفت اليها الواو .
(٢) أضفت من ليستقيم المعنى .
(٣) بالاصل ذلك وصحتها ما أثبتناه لتستقيم العبارة .
(٤) بالاصل ساجدا وصحتها ساحبا .
(٥) بالاصل سعودا .
(٦) بالاصل « ابتد » وصحتها ابتداء .
(٧) بالاصل « أسد » والتصويب من الذهب المســبوك ص ٤١ ، والطبرى : تاريخ الامم والملوك ح ٣ ص ٢٧٧ .

الحجوج من نواحيها بمكان معلوم ، ويسيربهم على الحكم المنظوم، واستمر أمير يخرج منها الى أن انتقلت الخلافة للدولة العباسية ، وكانت دار ملكهم بغداد والعراق ، فصار أمير الحاج يخرج منها ، واستمر الحال على ذلك الى أن تقوى الفاطميون ، وبنيت القاهرة المعزية ، وكانوا أهل شوكة وقوة زكية ، فصار أمير الحاج يخرج منهم من مصر بمحمله الشريف ووردت (١) المحامل من بغداد والعراق والشام وغيرها صحبة أمرائها • لكن يصيرون كالتوابع لامير الحاج المصرى ، فانه هو المقدم عليهم ، ثم عاد الامر الى بغداد بعود الخلافة والدولة ، فكان أمير الحاج يخرج منها كالأول ، الى أن غلبت الاتراك (٢) على مصر وقامت الدولة فيها ، فصار أمير الحاج يخرج بالركب منها واستمر ذلك الى الآن، ويكون أمير الركب المصرى هو المشار اليه ، والمعول « عليه » (٣) من أمراء (٤) الحاج دون سائر الركوب ، فان الأخير المراد بأمير الحاج هو الامير المنصوب من جانب سلطان العصر ،وصحبته الكسوة الشريفة ، وتوابعها من تعلقات الحرمين من جانبه الشريف ، وما يرد من الحجوج من سائر الآفاق كالتوابع لذلك الامير ، وكانت المحامل قديما أربعة من العراق ومصر والشام واليمن « وفى » (٥) بعض السنين خرج محمل من حلب ومن الكرك (٦) محمل وسيذكر أول من اتخذ المحمل (٧) ومن كسى الكعبة ، ولم تزل الملوك فى كل عصر يحتفلون بأمر مكة المكرمة، المدينة المعظمة ، ويخصوهما وأهلهما بأنواع الاحترام وأصناف (٨) التوقير والاكرام ، ويحرصون (٩) أن يكون لهم بها الآثار المحمودة،

---

(١) بالاصل « وتردت » والتصويب ليستقيم المعنى .
(٢) يشير المؤلف الى الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٣ هـ — سنة ١٥١٧ م .
(٣) الاضافة ليستقيم المعنى . (٤) بالاصل من « أمر » .
(٥) الاضافة لتستقيم العبارة . (٦) بالاصل « الكر »
(٧) كتب عنوان جانبى « سيأتى أن الذى كسى الكعبة الوليد ابن عبد الملك سنة احدى وتسعين هـ » .
(٨) بالاصل « واصاف » .
(٩) بالاصل « ويحرمون » والتصويب لتستقيم العبارة .

والخيرات الباقية المشهودة ، ليذكرون بهـا على ممر الدهـور ، فلا يموت ذكرهم وان ماتوا ، ولا يندرس خبرهم ، وان درسوا ، وليكون سنة لمن بعدهم ، يقتفى « أثرها » (١) فيعود عليهم أجرها ، ووسيلة نافعة ، لاينقضى ذكرها لان الحج من الشرائع القديمة ، والعبادات الفاضلة العظيمة ، روى أن آدم عليه الصلاة والسلام حج ماشيا من الهند أربعين سنة ، وأن جبريل قال له ان الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت سبعة آلاف سنة ، وقد حج جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد فى الاحاديث الصـحيحة بلفظ ما من نبى الا حج خلافا لمن استثنى هودا وصالحا عليهما الصلاة والسلام ، وفى وجوبه على من قبلنا خلاف ، والاصح أنه لم يجب الا علينـا ، واختلف فى وقت فرضـيته عـلى الأمـة « الاسـلامية فقـيل فرض فى أول الهجرة ، وقيل فى « السنة » (٣) السادسـة وحج صلى الله عليـه وسلم قبل النبوة وبعدها ، وتسـمية هذه حجا ، انمـا هو باعتبار الصورة ، لأنها لم تكن على قوانين الحج الشرعى ، باعتبار ما كانوا يفعلونه من السنة (٤) وغيره واختلف فيه أيضا هل يكفر تبعات (٥) الناس أو لا والأصـح أنه يكفر الصـغائر والكبائر حتى تبعـات الانسان (٦) ان مات فى حجه أو بعده ولم يتمكن من أدائهـا ، فان قلت هل وقع فى لاسنة التى فرض فيها الحج حج لأحد قلت لم يقع فيها (٧) حج شرعى لاحد من المسلمين وانما خرج النبى صـلى الله عليه وسلم ، بمن معه من المـدينة معتمرا عمرة الحديبية ، فصـده المشركون عن البيت ، ومنعوه ورجع للمدينة ثم فى السنة التالية لذلك وهى السابعة من الهجرة خرج معتمرا من المـدينة عمرة القضاء فى

(١) الاضافة لتستقيم العبارة .
(٣) الاضافة لتستقيم العبـارة .
(٢) الاضافة ليستقيم المعنى .
(٤) بالاصـل السـنى .
(٥) تبعات الناس أى ذنوبهم .
(٦) بالاصل الناس والتصويب ليصبح التعبير سليما .
(٧) قدمت كلمة « فيها » قبل كلمة حج شرعى لتستقيم العبارة .

ذى القعدة ، وهو الشهر الذى صده المشركون فيه من العام الذى قبله ، وأمر بخروج من كان معه بالحديبية وكانوا ألفين فلم يتخلف (١) منهم أحد الا من مات أو استشهد وخرج أيضا معهم غيرهم عمارا ، وفى سنة ثمان من الهجرة كان الفتح الاكبر ، وهو فتح مكة زاد الله شرفا فى عشرى رمضان المعظم ، وأقام صلى الله عليه وسلم بها بعد الفتح خمسة عشر يوما أو ثمانية عشر يوما ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة حنين ، وأقام على مكة عتاب بن أسيد أميرا كما ذكرنا وكان قد أسلم رضى الله عنه يوم الفتح ، وأمره صلى الله عليه وسلم فحج بهم كما تقدم ، وفى سنة تسع أقام صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحج ، فخرج من المدينة الحرام بالناس ، وحج بهم ، لكن فى ذا القعدة الحرام قيل فى عاشرة ،وفى الاكتفا بعث رسول الله صلى عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال له اخرج بهذه الى مكة واقرأها عليهم يوم النحر أو اقراها (٢) بمنى فأخذها على، وسار حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه قال له أنت أمير يا على أم مأمور ، قال بل مأمور ، وأرسلنى رسول الله صلى الله عليهوسلم بسورة برآة اقرأها عليهم فى موقف الحج ، وفى منى ، وفى سنة عشرة من الهجرة حج النبى صلى الله عليه وسلم بالناس ، بنفسه وتسمى حجة الاسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة التمام ، وحجة الوداع وفيها نزل اليوم أكملت لكم دينكم الآية (٣) وخرج صلى الله عليه وسلم بجميع نسائه فيها ، وكان معه سبعون ألفا وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفا ، وقيل غير ذلك ، وكانت الوقفة بالجمعة تاسع شهر الحجة الحرام ، ولم يزل الوقوف كذلك منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا والى (٤) يوم القيمة مستمرا على ذلك ، بخلافه فى السنين السابقة ،

---

(١) بالاصل « يختلف » وصحتها ما أثبتناه .
(٢) بالاصل أو « ادفعوا » والتصويب ليستقيم المعنى .
(٣) سورة المائدة آية رقم ٢ .
(٤) بالاصل « الى » وأضيفت الواو لتصويب الكلمة .

ولم يدخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت الشريف بعد الهجرة الا أربع مرات يوم عمرة القضاء ، ويوم فتح مكة ، وفى ثانى يومه على الخلاف فيه ، ويوم حجة الوداع ، ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد فرض الحج ، الا مرة واحدة وهى حجة الوداع ، واعتمر أربعا كلها فى ذى القعدة ، الا التى كانت فى حجة الوداع فانها بعدها، أولها عمرةالحديبية سنة ست والثانية عمرة القضاء سنة سبع والثالثة بعد فتح مكة سنة ثمان حين قسم غنايم حنين ، ورابعها الواقعة بعد حجة الوداع سنة عشرة ، وفى سنة أحد عشر حج بالناس أميرا عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أقامه أبو بكر الصديق رضى الله عنه على ذلك ، وهو خليفة لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى عشر ربيع الاول فيها ، وفى سنة اثنى عشر حج بالناس الخليفة الاكبر أبو بكر الصديق رضى الله عنه واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان رضى الله عنه وفى سنة ثلاثة عشر الى أربعة وعشرين حج بالناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو خليفة لوفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ووفاة أبى بكر فى ثانى عشرى جمادى الآخرة منها ، ووافق يوم موته يوم موت عتاب بن أسيد أمير مكة السابق ،وما ترك له عمر رضى الله عنه الحج مدة خلافته ، وأمر بتوسعة المسجد الحرام بدور اشتراها فى سنة سبع عشرة ، وفيها وقع سيل عظيم بمكة حتى اقتلع مقام ابراهيم ، وذهب به من موضعه ، حتى وجد بأسفل مكة ، وكتب بذلك لعمر بن الخطاب فأقبل مسرعا بعمرة فى رمضان ، وأقام بها عشرين ليلة حتى وضعه فى مكانه واجتمع رضى الله عنه فى سنة ثلاث وعشرين بأويس القرنى فى ادراكه بعرفة (١) فى طمرين من صوف أبيض ، قد صف قده منه ، قائما يصلى ، والابل ترعى حوله ومن كلامه له رضى الله عنهما يا أبا حفص ان الدنيا غبارة زائلة فانية فمن أمسى وهمته فيها اليوم مد عنقه فيها الى غد ، ومن مد عنقه الى غد ، علق قلبه بالجمعة ، ومن علق قلبه بالجمعة لم يأتى من الشهر أوشك أن يطلب

---

(١) كتب عنوان جانبى « ومن كلام أويس القرنى » .

السنة ، وأجله أقرب من أمله ، ومن رفض هذه الدنيا أدرك ما يريده غدا من محاورة الجبار فى دار القرار ، وجرت تحت منازله الأنهار وتدلت من فوقها الثمار ، ولما صدر عنه عمر بن الخطاب اناخ راحلته بالأبطح ، ثم كوم كومته من الحصا بالابطح وألقى نفسه ، وبسط طرف ثوبه ، واستلقى ومد يده الى السماء ثم قال اللهم ضعفت قوتى ، وكبر سنى ، ورق عظمى ، وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ، ولا مفرط ، ولا مفتون ثم رجع الى المدينة فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل بيد عبد أسود يقال له أبو لؤلؤة بخنجر مسموم فى المسجد .

وفى سنة أربع وعشرين حج بالناس أميرا عبد الرحمن بن عوف من قبل عثمان بن عفان الخليفة وفى سنة خمس وعشرين الى سنة أربع وثلاثين حج بالناس عثمان بن عفان ، وهو خليفة ، وأمر بتوسعة المسجد الحرام بدور اشتراها وهدمها وقال افعل كما فعل عمر ابن الخطاب .

وفى سنة خمس وثلاثين الى سنة سبع وثلاثين حج بالناس أميرا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حين حضر عثمان بن عفان فى داره بأمر على بن أبى طالب حال خلافته ، وفى سنة ثمان وثلاثين حج بالناس أميرا عامل مكة قثم بن عباس رضى الله عنه ، وفى سنة تسع وثلاثين حج بالناس أميرا شيبة بن عثمان رضى الله عنهما اصطلح الناس عليه فحج بهم فيها أميرا من جانبهم ،ذلك أن معاوية ابن أبى سفيان أرسل يزيد بن سحيرة الرهاوى فى ثلاثة آلاف فارس ليقيم للناس الحج من جانبه ، ويأخذ له البيعة بمكة ، فوجد على ابن أبى طالب ، أرسل عبد الله بن عباس أميرا من جانبه وهو خليفة ليقيم للناس الحج ، فتنازعا ولم يسلم أحدهما لصاحبه ، ووقع الصلح بينهما ، على أن كلا منهما يعتزل هذا الامر ويختار الناس من يقيم لهم حجهم ، فاختاروا شيبة بن عثمان لهذا الامر واصطلحوا عليه ، فأقام للناس الحج فيها وفى سنة أربعين حج بالناس المغيرة ابن شعبة حين كان الاختلاف بين على ومعاوية ، وفى سنة

احدى واثنين وأربعين حج بالناس أميرا عقبة بن أبى سفيان بأمر شقيقه معاوية ، وفى سنة ثلاث وأربعين حج بالناس أميرا مروان بن الحكم الأموى (١) أمير مكة ، وفى سنة أربع وأربعين حج بالناس معاوية ابن أبى سفيان (٢) رضى الله عنه ومعه منبر صغير ثلاث درج ، وخطب عليه ، وهو أول من خطب بمكة على منبر وكان الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون على أرجلهم قياما يوم الجمعة ، فى وجه الكعبة ، وفى سنة خمس وأربعين حج بالناس أميرا مروان بن الحكم السابق ، وفى سنة ست وسبع وأربعين حج بالناس أميرا عقبة ابن أبى سفيان السابق أخى معاوية، وفى سنة ثمان وأربعين حج بالناس أميرا سعيد بن العاص الأموى أمير المدينة ، وفى سنة خمسين واحدى وخمسين حج بالناس معاوية ابن أبى سفيان ، وفى سنة اثنين وثلاث وخمسين حج بالناس أميرا سعيد بن العاص الاموى السابق ، وفى سنة أربع وخمسين حج بالناس أميرا مروان بن الحكم الأموى السابق ، وفى سنة خمس وخمسين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان السابق ، وفى سنة ست الى سنة ثمان وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة ، وفى سنة تسع وخمسين حج بالناس أميرا عثمان بن محمد أبى سفيان الاموى ، وفى سنة ستين حج بالناس أميرا عمرو بن سعيد بن العاص الاموى، وفى سنة احدى وستين حج بالناس ، أميرا الوليد بن عتبة السابق وفى سنة اثنينوستين حج بالناس أميرا عثمان بن محمد بن أبىسفيان السابق ، وفى سنة ثلاث وستين الى سنة احدى وسبعين حج بالناس عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنه ، وفى سنة اثنين وسبعين تولى السلطان عبد الملك بن مروان الا موى، وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال عبد الله بن الزبير ، فتعطل الحج تلك السنة (٣) ولم يحج أمير بأحد ، وحجت القوافل التى جاءت تلك السنة بلا أمير ،

---

(١) بالاصل « الامرى » وصحتها ما اثبتناه .

(٢) كتب عنوان جانبى « أول من خطب بمكة على المنبر » .

(٣) كتب هامش جانبى « ولم يحج أحد فى هذه السنة » .

وفى سنة ثلاث وأربع (١) وسبعين حج بالنـــاس أمـــيرا الحجاج بن يوسف ، وفى سنة خمس وسبعين ، حج بالناس عبد الملك السابق ، وفى سنة ست وسبعين الى سنة ثمانين حج بالنـــاس أميرا سليمان ابن عبد الملك بن مروان السابق ، وفى سنة ثلاث الى خمس وثمانين، حج بالناس أميرا هشام بن اســـماعيل المخزومى ، وفى ســـنة ست وثمانين ، حج بالناس العباس بن الوليد بن عبـــد الملك بن مروان ، وفى سبع الى سنة تسعين ، حج بالناس أمـــيرا عمر بن عبد العزيز الأموى أمير المدينة ، وفى سنة احدى وتسعين حج بالناس الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكسى الكعبة ديباجا لم يرى مثـــله قط ، وفى سنة اثنين وثلاث وتسعين، حج بالناس أميرا عمر بن العزيز وفى سنة أربع وتسعين حج بالناس أميرا سليمان بن عبد الملك ، وفى سنة خمس وتسعين حج بالناس الخليفة الوليد بن عبد الملك السابق، وفى سنة ست وتسعين حج بالناس ، أميرا أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الانصارى أمير المدينة ، وفى سنة سبع وتسعين حج بالناس الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وحملت ملابس جسمه على تسعمائة بعير ، وأنفق فى الحرمين مالا كثيرا ، ووســـع على أهلهما وتصدق ، وعمهما بنواله ، وفى سنة ثمان وتسعين حج بالناس أميرا عبد العزيز بن عبد الله بن خالد الاموى ، أمـــير مكة ، وفى ســـنة تسع وتسعين ، وفى سنة مائة ، حج بالناس أميرا أبو بكر بن محمد ابن حزم الانصارى السابق، وفى سنة احدى ومائة حج بالناس أميرا عبد العزيز بن عبد الله بن خالد السابق أمـــير مكة ، وفى سنة اثنين وثلاث ومائة ، حج بالناس أميرا عبد الرحمن بن الضـــحاك بن قيس الفهرى ، وفى سنة أربع ومائة حج بالناس أمير الحرمين عبد الواحد ابن كعب بن عمرو بن منيع بن عباد بن عوف بن غضل بن معاوية ، ابن هوازن النصرى بالنون المشددة ، وسكون الصاد المهملة ، وفى سنة خمس ومائة الى سنة احـــدى عشر ومائة ، حج بالناس أمـــيرا

---

(١) بالاصل وأربعين وصحتها ما أثبتناه .

محمد بن هشام المخزومى أمير الحرمين وكان خالا لهشام بن عبد الملك، وفى سنة اثنى عشر ، وثلاثة عشر ومائة ، حج بالناس أميرا (١) محمد بن هشام المخزومى السابق ، وفى سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد صاحب البدع الشنيعة ، والافعال الخبيثة الفظيعة(٢) وفى سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس أميرا خالد بن عبد الملك ابن الحارث بن الحكم بن العاص الاموى ، أمير مكة ، وفى سنة ثمانية عشر ومائة الى سنة أربع وعشرين ومائة حج بالناس أميرا محمد بن هشام المخزومى السابق وفى سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس أميرا ، يوسف بن محمد الثقفى أمير الحرمين ، وفى سنة ستة وعشرين ومائة الى سنة ثمان وعشرين ومائة ، حج بالناس أميرا محمد بن عبد العزيز الاموى السابق ، وفى سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين عبد الواحد بن سليمان ، وفى سنة ثلاثين ومائة حج بالناس أميرا الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدى وفى سنة اثنين وثلاثين ومائة ، حج بالناس أميرا أبو سليمان داوود ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان عم أمير المؤمنين أبو العباس السفاح (٣) وهو أول من حج من بنى العباس ، وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس أميرا زياد بن عبيد بن عبد الدار الحارثى ، وفى سنة أربع وثلاثين ومائة ، حج بالناس أميرا عامل الكوفة عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس عامل البصرة سليمان على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة ست وثلاثين ومائة، حج بالناس أميرا أبو جعفر المنصور محمد بن على بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب ، وتوفى أخوه السفاح وهو غائب فى الحج فقبل له الخلافة ، عمه عيسى ، عقب وفاة أخيه وأخذ له البيعة ،

(١) بالاصل « أمير » وصحتها ما أثبتناه .
(٢) بالأصل « النطيعة » وصحتها ما اثبتناه .
(٣) كتب عنوان جانبى « أول من حج من بنى العباس أبو سليمان داود بن على بن عبد الله بن عباس .

وهو فى الحج ، فحضر واستقر له الامر على حاله ، وفى سـنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس أمـيرا اسماعيل بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين أبو الخلفا من بنى العباس أبو جعفر المنصور ، ووسـع الحرم ، وأعطى اشراف القرشيين ، كل واحد ألف دينار ، ولم ينزل أحـد من أهـل الحرمين الا أعطاه ، وغطى (١) قواعد قريش صفائح الذهب والفضة، وكساهن ورخم الحجرة الشريفة ، وهو أول م نرخمها (٢) وذهب البيت المقدس وأعطى أهله ، وأنعم عليهم ، وتفضل وتكرم وأوصل اليهم كل خـير ثم ذهب الى الشام ، وحصل لاهلها منـه غاية الاكرام ثم ذهب الى بغداد دار الخلافة ، وفى سنة احـدى واثنين وأربعـين ومائة حج بالناس اسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس .

وفى سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور الحجة الثانية بعد الخلافة ، وأعطى أهل الحرمين ، ووسـع عليهم بجزيل العطاء ، وفى سنة أربع وأربعين ومائة ، حج بالناس أمـيرا عامل دمشق وحمص ، وفى سنة خمس وأربعين ومائة حج بالنـاس السرى بن عبـد الله بن الحـارث بن العبـاس الهاشمى أمير مكة والطـائف (٣) وفى سـنة ست وأربعـين ومائة حج بالنـاس أميرا عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة سبع وأربعين ومائة حج بالنـاس أمير المؤمنين آو جعفر المنصور الهاشمى وهى الحجة الرابعة بعد الخلافة (٤) وفى سـنة ثمان وأربعين ومائة حج بالناس أمـيرا ولده جعفر بن أبى جعفر

---

(١) بالأصل « واعطى » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) بالأصل « رخمة » وصحتها رخمها لتستقيم العبارة .

(٣) بالأصل « الظايف » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) كتب عنوان جانبى « الثالثة » وهو يشير الى أن الخليفة المنصور حج كما أثبت المؤلف ثلاث مرات فى سنة ١٣٩ هـ ، سنة ١٤٣ هـ ، سنة ١٤٧ هـ فتكون حجة سنة ١٤٧ هـ هى الثالة فعلا أما الرابعة فقد كانت فى سنة ١٤٨ هـ والتصويب من الذهب المسبوك ص ٣٧ .

المنصور ، وفى سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس أميرا أمير مكة والطائف محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة خمسين ومائة حج بالناس أميرا عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد العباسى ، وفى سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور وهى الحجة الخامسة بعد الخلافة (١) ، وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس أميرا المهدى بالله محمد بن عبد الله بن المنصور العباسى وفى سنة أربع وخمسين ومائة ، حج بالناس أمير مكة والطائف محمد ابن ابراهيم بن محمد بن على العباسى .

وفى سنة ثمان وخمسين ومائة ، خرج الخليفة أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور للحج بالركب ، فلما قارب مكة أرسل جماعة من طائفته ، يقال لهم الخشابة لصلب سفيان الثورى وتعليقه على الأخشاب التى ينصبونها لذلك بالمسجد الحرام قبل دخول الخليفة الى مكة ليمر تحته وهو مصلوب ، فلما جاءوا ونصبوا الخشب لتعليقه نودى يا سفيان ان أمير المؤمنين أمر بقتلك وتعليقك ، فاذا رأسه فى حجر الفضيل بن عياض ، ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة ، فقالوا له يا أبا عبد الله ، اتق الله فينا ولا تشمت بنا الأعداء ، فقام رضى الله عنه ، وتقدم الى أستار الكعبة وتعلق بها ، وقال برئت منك ، ان دخلك أبو جعفر ، فاستجاب الله تعالى دعاه ، ولم يدخلها ومات أبو جعفر المذكور (٢) قبل دخوله مكة بمكان يقال له بئر ميمون (٣) وحمل ميتا الى مكة ودفن بالمعلاة (٤) وحج بالناس

---

(١) كتب عنوان جانبى « الرابعة » والأصح أنها الحجة الخامسة كما ذكر المؤلف . (٢) كتب عنوان جانبى « وفاة المنصور » .

(٣) وقد كانت وفاة المنصور فجأة فقد كبابه فرسه فوقع ومات لساعته .

(٤) المعلاة أو المعلى هى مقبرة مكة خارج بابها الشرقى ، وفيها ضريح السيدة خديجة زوجة الرسول عليه السلام ، وفيها كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين .

يزيد بن منصور بن سند الحميرى خال المهدى .

وفى سنة ستين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين المهدى بن عبد الله بن المنصور ، وفى سنة احدى وستين ومائة حج بالناس أميرا المهدى موسى بن المهدى أمير المؤمنين ، وفى سنة اثنتين وثلاث وستين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور ووسع الحرم ، حتى صارت الكعبة وسط المسجد الحرام(١).

وفى سنة خمس وستين ومائة حج بالناس أميرا صالح بن أبى جعفر المنصور ، وفى سنة ست وسبع وستين ومائة ، حج بالناس أميرا ابراهيم بن يحيى العباسى السابق ، وفى سنة ثمان وستين ومائة ، حج بالناس أميرا على بن محمد المهدى ، وفى سنة تسع وستين ومائة حج بالناس أميرا سليمان بن أبى جعفر المنصور .

وفى سنة سبعين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد ابن المهدى بن محمد المنصور ، وهى الحجة الأولى بعد الخلافة ، وكان « قد » (٢) حج فيها (٣) ماشيا وفرق بالحرمين أموالا كثيرة وعمهم بالهدايا (٤) وكان قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قبل أن يتولى الخلافة ، وقال له يا هارون ان هذا الأمر صائر اليك فى هذا الشهر ، فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ، فلما تولى

---

(١) ينسب الى المهدى أنه أول من أمر بنزع كسوة الكعبة سنويا خوفا من تهدم الاركان عندما تترك الكسوات القديمة عليها وتلبس فوقها الكسوات الجديدة عاما بعد عام .

المقريزى : الذهب المسبوك ص ٤٤ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتقسيم العبارة .

(٣) قدم وأخر .

(٤) كتب عنوان جانبى « أول حج هارون الرشيد » وقد حج الخليفة هارون الرشيد عشر حجات ، وكان يغزو سنة ويحج سنة ، وفى احدى حجاته حج ماشيا من المدينة الى مكة ، وقد اشتهر بكثرة عطائه لأهل الحرمين ، وصحبته للفقهاء فى حجة ، وتقديمه الكسوة الفاخرة للكعبة الشريفة فى سنوات حجه .

الخلافة فعل ذلك كله ، امتثالا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل ان الحجة التى مشى فيها كانت سنة سبع وسبعين ومائة (١) ، وفى سنة احدى واثنين وسبعين ومائة حج بالناس أميرا عبد الصمد بن على العباسى .

وفى سنة ثلاث الى سنة ست وسبعين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين هاون الرشيد ، وأحرم من بغداد فى حجته الثانية بعد الخلافة ، ولم يقم بمكة فى الحجة الثالثة للوبا الذى كان بها فطاف حال الدخول يوم التروية وسعى ولم ينزل عن مركوبه ، وذهب الى عرفات ، وعاد بعد النحر مكة لطواف الزيارة فقط ، فطاف ثم خرج منها مسرعا (٢) وفرق مالا كثيرا على الناس ، وفى سنة سبع وثمان وسبعين ومائة حج بالناس أمير مكة محمد بن ابراهيم العباسى السابق ، وفى سنة سبع وسبعين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد وهى الحجة السادسة بعد الخلافة ، ومشى فيها من مكة الى عرفات ، وشهد المشاهد كلها ماشيا ، وفيها اعتمر شكرا لله على قتل الوليد بن طريف (٣) وعاد الى المدينة المنورة ، وأقام بها زمان الحج ، وفرق فيها أموالا كثيرة ، ثم حج ورجع من طريق البصرة ، وفى سنة ثمانين ومائة حج بالناس أميرا محمد بن ابراهيم العباسى .

وفى سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد وهى الحجة السابعة (٤) بعد الخلافة ، وفى سنة اثنين وثمانين ومائة حج

---

(١) اختلف فى تحديد الحجة التى مشى فيها الرشيد فقد ذكر المقريزى فى الذهب المسبوك ص ٤٩ أن الرشيد حج ماشيا فى عام ١٧٩ هـ .

(٢) قدم واخر .

(٣) بالأصل « ظريف » وصحتها ما أثبتناه والوليد بن طريف الشارى هو آخر الخوارج من تغلب ، وقد خرج على الرشيد ، وأخذ أرمينية وعاث فسادا فى بلاد الجزيرة، فأرسل اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى بحملة تغلبت عليه

(٤) بالاصل «السابقة» وصحتها ما اثبتناه

بالناس أميرا موسى بن عيسى بن محمد العباسى ، وفى سنة ثلاث وثمانين ومائة ، حج بالناس أميرا العباس بن موسى الهادى ، وفى سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم بن المهدى السابق .

وفى سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وهى الحجة الثامنة (١) بعد الخلافة .

وفى سنة ست وثمانين حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد وهى الحجة التاسعة (٢) وفيها حج معه أولاده والفقهاء والعلماء والقراء ، وأنفق بمكة أموالا عظيمة حتى بلغ عطاؤه فيها ألف ألف دينار ، وخمسين ألف دينار .

وفى سنة سبع وثمان وثمانين حج بالناس أميرا عبد الله بن العباس بن محمد بن على العباسى .

وفى سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد وهى الحجة العاشرة (٣) بعد الخلافة .

وفى سنة تسعين ومائة حج بالناس أميرا عيسى بن موسى الهادى ، وفى سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس أميرا الفضل ابن العباس بن محمد بن على العباسى ، وفى سنة اثنين وتسعين ومائة حج بالناس أميرا عيسى بن موسى الهادى .

وفى سنة ثلاث وأربع وتسعين ومائة ، حج بالناس أميرا داود ابن عيسى بن موسى العباسى ، وفى سنة خمس وتسعين حج بالناس أميرا العباس بن موسى بن عيسى ، وفى سنة ست الى سنة ثمان وتسعين ومائة حج بالناس أميرا العباس بن موسى بن عيسى الهاشمى وفى سنة تسع وتسعين ومائة استولى أبو السريا بن منصور الشيبانى

---

(١) بالأصل « التاسعة » وصحتها ما أثبتناه حسب ترتيب المؤلف .

(٢) بالأصل « العاشرة » وصحتها ما أثبتناه .

(٣) بالأصل « الحادية عشر » وصحتها العاشرة .

داعية بن طباطبا العلوى ، وولى الحسين بن الحسن بن الأفطس مكة المشرفة وجعل اليه موسم الحج وأن يحج بالناس فسار الى مكة يريد ذلك ، فلما بلغ ذلك عاملها داود بن عيسى جمع أصحابه « من » (١) بنى العباس فى أموالهم والعبيد ، واستعدوا لحرب من يريد مكة من الطالبيين ، واستمروا على المحاربة حتى اجتمعوا بعرفة ، وزالت الشمس ، وحضرت الصلاة ، فتدافعها قوم من أهل مكة ، فتقدم رجل من آحاد الناس ، وصلى بهم الصلاتين بلا خطبة ، ودفعوا الى منى بلا امام يحج بهم على العادة .

وفى سنة مائتين حج بالناس أميرا أبو اسحاق المعتصم محمد ابن هارون الرشيد العباسى ، وفى سنة احدى ومائتين حج بالناس أميرا اسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى ، وفى سنة اثنين ومائتين حج بالناس أميرا ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق العلوى .

وفى سنة ثلاث ومائتين حج بالناس أميرا سليمان بن عبيد الله ابن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، وفى سنة أربع الى سنة ست ومائتين ، حج بالناس أمير الحرمين عبد الله بن الحسن ابن عبد الله بن عباس .

وفى سنة سبع ومائتين حج بالناس أميرا أبو عيسى بن هارون الرشيد ، وفى سنة ثمان ومائتين حج بالناس أميرا صالح بن هارون الرشيد العباسى ومعه زبيدة ابنة جعفر ، وفيها حصل سيل عظيم بمكة ، وأحاط بالكعبة ، حتى قلع الحجر الأسود والباب ومقام (٢) ابراهيم ، وهدم من مكة ، أكثر من ألف دار مشرفة على الوادى ، ومات فيه مايزيد على ألف انسان .

وفى سنة تسع الى سنة احدى عشر ومائتين حج بالناس أميرا والى مكة صالح بن العباسى، وفى سنة اثنى عشر ومائتين حج بالناس أمير المؤمنين الخليفة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد ، ثلاث عشر

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لضبط العبارة .
(٢) بالأصل « قام » وصحتها مقام .

ومائتين حج بالناس اسحاق بن العباس بن محمد ، وفى سنة أربعة عشر ، خمسة عشر ومائتين حج بالناس أميرا عبد الله بن عبيد الله ابن العباس ، وفى سنة ستة عشر ، وسبعة عشر ومائتين حج بالنـــاس أميرا سليمان بن عبد الله بن ســليمان المعـــروف بقعاقيع ، وكان فصيحا خطيبا عالما ، كيسا فطنا لبيبا ، وفى سنة ثمانين وتسعة عشر ومائتين ، حج بالناس أميرا أمير مكة صالح بن العباسى ، وفيها وصل طاهر بن عبد الله بن طاهر حاجا فى عدد كبير من الجند ، ومعه قفل فيه ألف مثقال من الذهب ، قفل به البيت الشريف ، ونزع القفل الاول الذى كان لعيه مطليا ، ويقال أن (١) الحجاج وضعه حال امارته على مكة وفى سنة عشرين ومائتين حج بالناس أميرا أمـــير مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، وفى ســـنة ثلاث وأربع وعشرين ومائتين حج بالناس أميرا صالح بن محمد بن داود بن عيسى •

وفى سنة « خمس » (٢) وست وعشرين الى سنة خمس وثلاثين ومائتين حج بالناس أميرا محمد بن داود بن عيسى العباسى ، وفى سنة ستة وثلاثين ومائتين حج بالناس الخليفة المنتصر بالله محمـــد ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أمير المؤمنين بن هارون الرشـــيد •

وفى سنة سبع « وثلاثين » (٣) الى سنة أربعـــين ومائتين حج بالناس أمير مكة عبد الله بن محمد بن داود بن موسى ، وفى ســـنة احدى واثنين وأربعين ومائتين حج بالناس أميرا عبد الله بن محمد ابن داود ، وفيها حج ابراهيم بن سعد الانبارى من البصرة ، على عجلة تجرها الابل ، وكان ذلك من أعجب ما رآه الناس فى الحج •

وفى سنة ثلاث الى سنة ست وأربعين ومائتين ، حج بالنـــاس

(١) بالأصل « أنه » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم النص .

أميرا محمد بن طاهر ، وحمل معه ثلثمائة ألف دينار ، ومائة ألف لما أمرت به أم المتوكل من اجراء الماء من عرفات الى مكة (١) وفيها أمر المتوكل أنه لا يقاد عند المشعر الحرام ، وجميع المشاعر الا الشمع وكان قبل ذلك يوقد بالزيت والنفط .

وفى سنة سبع « وأربعين » (٢) الى سنة خمسين ومائتين حج بالناس أميرا والى مكة جعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى العباد، وفى سنة احدى وخمسين ومائتين لم يقف أحد بعرفة لا ليلا ولا نهارا وذلك لخروج خارجى بمكة وهو اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وأظهر فى مكة الفساد والحرب ، فهرب عاملها ونهب اسماعيل المذكور داره ، وحصل منه بمكة مزيد الفساد وقتل الجند ، ووافى الناس بعرفة ، فهرب الناس الى مكة ولم يقف أحد من الحجاج ، وانما وقف هو وأصحابه (٣).

وفى سنة اثنين وثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس أميرا كعب

---

(١) أم المتوكل هى السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد التى رأت فى حجها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناء الشديد والاهوال الكثيرة لقلة الماء فأمرت باجراء الماء الى مكة من عين حنين التى توجد فيما وراء عرفه وقد اهتمت بهذا العمل الجليل اهتماما كبيرا وأرسلت اليه العمال من جميع الاطراف فبنوا لهذا الماء مجرى عظيما وأوصلوا به مجرى آخر وسيروا اليه سبع قنوات أخرى من الجهات التى تسقط اليها السيول ، حتى تساعدماء المجرى الاصلى الذى وصل الى جنوب منى ونقر له هناك بئر كبير فى الصخر يصب فيه عرف ببئر زبيدة، ومن هذا المجرى امتد فرعان واحد الى عرفات والآخر الى مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج ولم يعرف الناس قيمة هذه العين المباركة الا فيما بين سنة ٩٣٠ هـ و سنة ٩٧٠ هـ فانها أهمل أمرها فى هذه الفترة فتهدم بنيانها ، وسدت منافذها ، وانقطع ماؤها ، ولكن السلطان سليمان أمر فى سنة ٩٦٩ هـ باصلاح العين المذكورة ، فتم حفر القناة وتنظيف فروعها ، وبناء ما تهدم من مجراها ، وقد أمر السلطان أيضا بتوصيلها الى مكة فتم ذلك فى سنة ٩٧٩ هـ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) كتب عنوان جانبى « فساد فى هذه السنة » .

البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور • وفيها حصل سيل عظيم بمكة ، أحاط بالكعبة وبلغ قريبا من الركن الاسود ، وهدم الدور ، وذهب بأمتعة الناس الى أسفل مكة وملأ المسجد الحرام ترابا• وأمر أمير مكة بتنظيفه (١) •

وفى سنة خمس « وسبعين » (٢) الى سنة احدى وثمانين، ومائتين حج بالناس أميرا محمد بن عبد الله بن محمد بن داود العباسى وفيها حج أبو بكر قاضى بغداد يوسف بن يعقوب ، ومعه مال أرسله المعتضد بالله بن الناصر لدين الله بن جعفر المتوكل على الله العباسى ، لعمارة ما اختل من بطن الكعبة الشريفة ، ومن المسجد الحرام ، وبعمارة دار الندوة (٣) مسجدا وتنظيف المسجد الحرام ، والمسعى والوادى غير ذلك •

وفى سنة اثنين وثمانين الى سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس أميرا محمد بن هارون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور •

وفيها صلى الناس العصر بعرفة أيام الصيف فى شدة الحر ، فهبت ريح باردة عقب ذلك ، فجمد الماء ، ولبس الناس الفراء من شدة البرد •

وفى سنة تسع وثمانين الى سنة أربع وتسعين حج بالناس

---

(١) كتب عنوان جانبى « سيل » .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .
(٣) دار الندوة : كانت دار الندوة تقع فى وسط الحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية ، وهى من انشاء قريش ، وكانت دارا لاجتماعاتها وتبادل الرأى ، بين زعمائها ، ثم أصبحت محلا لنزول الخلفاء والأمراء فى حجهم فى صدر الاسلام ، ولكن أهمل أمرها فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، حتى أخذ يتهدم بناؤها ، فكتب فى ذلك الى الخليفة المعتضد العباسى فأمر بهدمها فى سنة ٢٨١ هـ وبنائها مسجدا يلتصق بالحرم الشريف ، وقد جعلوا فيها قبة عالية ، ولها قبلة الى الكعبة ثم غير شكلها وانتهى الأمر بهدمها فى سنة ٩٤٧ هـ وادخالها فى بناء المقام .

أميرا الفضل بن عبد الملك العباسى وفى رجوعه من الحج خرج عليهم ما يزيد على العشرين (١) ألف انسان وأخذوا من الاموال ما يزيد على مائة ألف دينار (٢) ولما بلغ ذلك المكتفى بالله عظم عليه ذلك وأرسل اليهم جيشا عظيما أحاط بهم ذلك الجيش من كل جانب حتى قهروهم وقتلوه وأصحابه جميعا .

وفى سنة خمس وتسعين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك وفيها فى يوم عرفة ، وقت صلاة الظهر ، وصل الخبر بوفاة أمير المؤمنين المكتفى بالله ، وبيعة المقتدر بالله ، وأنه أرسل لأهل الحرمين والمجاورين بهما ، وأرباب (٣) وظائفهما ثلثمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف دينار ، وأربعمائة وعشرين دينار تفرق عليهم ، وأمر أنه فى كل سنة يحمل ذلك « اليهم » (٤) واستمر ذلك الى وفاته وفيها أصاب الحجاج فى العود عطش شديد (٥) مات فيه خلق لا تحصى حتى أن أحدهم كان يبول فى كفه ويشربه من شدة العطش .

وفى سنة ست وتسعين الى سنة اثنين وثلثمائة حج بالناس أميرا الفضل ابن عبد الملك العباسى السابق وفيها خرجت الاعراب من الحاجر على الحجاج وقطعوا عليهم الطريق ، وأخذا ما معهم من الامتعة ، ومن الاموال والجمال ما أرادوا (٦) وأخذوا مائتين وخمسين امرأة من الحرائر سوى المماليك ، والاماء .

---

(١) كتب عنوان جانبى خروج القرامطة على الحج .

(٢) ظهر القرامطة فى العراق فى القرن الثالث الهجرى — التاسع الميلادى وهم ينتسبون الى محمد بن الحنفية ، ويكفرون من لم يكن على مذهبهم وأول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى ، وقد بنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة وأراد أن ينقل الحج اليها ، لذلك كان يقصد الطرق الموصلة الى مكة ويفتك بحجاج بيت الله الحرام ، فانقطع الحج فى أيامه فى أيامه فى أعوام كثيرة عن أعمال القراطمة وأهدافهم راجع :

دائرة المعارف الاسلامية ح ١٤ ص ٣٥٤ ، محمد لبيب البتانونى: الرحلة الحجازية ص ١٠٧ .

(٣) بالأصل « والارباب » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٥) كتب عنوان جانبى « عطش » .

(٦) كتب عنوان جانبى « خروج العرب على الحجاج » .

وفى سنة ثلاث الى سنة عشر وثلثمائة حج بالناس أميرا اسحاق ابن عبد الملك بن عبيد الله بن العباس ، واعترض الحجاج أبو طاهر سليمان عند عودتهم [١] وأسروا الحاج ثم أطلقوه ، ونهبوا الحجاج، وقتلوا منهم خلائق لا يحصون وفعلوا من القبائح ما لا يذكر .

و فىسنة اثنين « وعشر » [٢] وثلثمائة ، حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبيد الله العباسى السابق ، واعترض الحجاج أيضا أبو طاهر القرمطى واستباح أموالهم ، وســاق جمالهم وحريمهم ، وأسروا أمير الركب يومئذ أبو الهيجا بن حمدان ، وقتل من الحجاج ما يزيد على مائتى ألف رجل ، ومن النساء ما يزيد على الثلثمائة ، وأسروا أمثال ذلك ، وتركوا باقى الحجيج مــع الاطفــال بالبرية ، فهلكوا جوعا وعطشا ، وفى سنة ثلاثة عشر وثلثمائة ، خــرج بالحاج الحسن بن الحسن عبد العزيز السابق ، ورجع من العقبة ، واستخلف على الحاج ابن أخيه أبا طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز ، فاعترضهم القرمطى أيضا [٣] لكن جعل عليهم مالا أخذه منهم ، وخلى بينهم وبين الطريق ، وقيل ارجعوا ولم يحج أحد تلك السنة [٤] .

وفى سنة أربعة عشر وخمسة عشر وثلثمائة حج بالناس وكانوا قلائل جدا من مكة الحسن بن عبد العزيز العباسى السابق ذلك أن حج العراق رجع من الطريقخوفا من القرمطى ، وتأخر غيره عن الحج، فلم يحج أحد من غير مكة .

وفى سنة« ستة » [٥] عشر وثلثمائة لم يحج أحد منسائر الآفاق، وحج بالناس من مكة عبد الله بن عبد الله بن سليمان بن محمد الاكبر أمير مكة .

---

(١) أبو طاهر سليمان أى زعيم القرامطة .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال العبارة .
(٣) كتب عنوان جانبى « ذكر أبو طاهر الشقى » .
(٤) كتب عنوان جانبى « ذكر فساد العرب » .
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين لتوضح الجملة .

وفى سنة سبعة عشر وثلثمائة لم يخرج للحج سوى محمل بغداد، فلما دخل بالحج مكة ، اعترضه أيضا الشقى اللعين عدو الله أبو طاهر القرمطى السابق ، فدخل المسجد الحرام والناس طائفون بالبيت الشريف راكبا[١] فرسه شاهرا سيفه ، وهو سكران ، وصغر لفرسه، فبال عند البيت الشريف ، وأمر أصحابه بقتل الطائفين بالكعبة ، فبالغوا فى قتلهم ، وأسرفوا حتى ملأوا زمزم من رءوسهم ثم فرشوا القتلى فى المسجد الحرام ، حتى امتلأ منهم ، وضرب الحجر الاسود بدبوس فتكسر ، ونهب دور مكة ، وهتك حرمة الكعبة ، وفرق كسوتها، وأموالها على أصحابها ، وقلع بابها وأمر بقلع الميزاب[٢] فطلع رجل من أصحابه ليقلعه فرمى بسهم من أبى قبيس ، فسقط على رأسه، ومات وخرج « أبو طاهر »[٣] من المسجد فقتل جميع من رآه بمكة من الحجاج وغيرهم حتى امتلأت الطرقات من القتلى وفعل ما لايحصى مما يطول ذكره .

وفى سنة ثمانية عشر وثلثمائة حج بالناس أمير مكة سليمان ابن على بن عبد الله العباسى على خوف من القرمطى، وكان أمير الحاج يونس الورقانى فخرج من بغداد وسار فى غير الطريق المعتاد خوفا منه ، وفى سنة تسعة عشر وعشرين وثلثمائة حج بالناس أميرا قاضى

---

(١) قيل أن القرامطة قتلوا فى هذا العام فى مكة وشعابها نحو ثلاثين الفا ، وأخذ أبو طاهر معه عند عودته من مكة الحجر الاسود وبقى مكانه خاليا يتبرك الناس بمحله ، وقد هدم فى هذا الهجوم الشنيع قبة زمزم ، ونهب المجوهرات الثمينة التى كانت موجودة فى خزينة بيت الله الحرام .

(٢) الميزاب أو المزراب يخرج من وسط الحائط الشمالى الغربى للكعبة وكان يقال له ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج وضعه على سطحها حتى لا تقف عليه مياه الامطار ، وكان من نحاس فغيره السلطان سليمان القانونى سنة ٩٥٩ هـ بآخر من الفضة ، وجدد فى سنة ١٠٢٤ هـ فى عهد السلطان أحمد بغيره من الفضة المنقوشة بالميناء الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية وفى سنة ١٢٧٠ أرسل اليها السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب ثم تغير فى عهد السلطان عبد العزيز بآخر .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

مكة ، ومصر عمر بن الحسن بن عبد العزيز العباسى عن أبيه ، ولم يحج [١] أحد من العراق ولا من غيره خوفا من القرمطى •

وفى سنة عشرين الى سنة ست وعشرين وثلثمائة كان أمير الحاج يونس الورقانى الخادم على القوافل ، ولم يتعرض له القرمطى وحج بالناس قاضى مكة • الحسن بن عبد العزيز السابق •

وأرســل الخليفة يسأل القرمطى فى الكف عن الحجاج ، ورد الحجر الاسود ، فأجاب فى الكف عن الحجاج ولم يرد الحجر الاسود، واستمر عنده ، وبطل الحج من العراق وبغداد سنين •

وفى سنة سبع الى سنة تسع وعشرين وثلثمائة حج بالناس أبو على عمر بن يحيى ابن الحسن بن زيد بن الخطاب أبى طالب ، وفيها لــم يدخل الحاج المدينة ، لأجل طالبى خرج من ناحيتها وخاف الحجاج منه•

وفى سنة ثلاثين الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة حج بالناس عمر بن يحيى العلوى •

وفيها عاد الحجر الاسود الى مكة [٢] ، ووضع مكانه وكانت مدة اقامته عند القرامطة اثنين وعشرين ســنة الا أربعة أيام بعــد موت أبى طاهر القرمطى الذى أخذه ، وتولية أخيه أحمد بن أبى ســعيد القرمطى •

ولمــا عاد الحجر [٣] عاد على قعود صغير هزيل فتسمر تحته ،

---

(١) كتب عنوان جانبى « لم يحج أحد فى هذه السنة » .

(٢) الحجر الاسود هو حجر مصقول بيضاوى غير منتظم ، ولونه أسود يميل الى الاحمرار وفيه نقط حمراء ، وتعاريج صفراء وهى أثر لحام القطع التى كانت انفصلت منه وقطره نحو ثلاثين سنتى مترا ويحيط به ازار من الفضة ١٠ سم .

(٣) بعد وفاةأبو طاهر القرمطى رأى قومه أن من المستحيل تحويل الحج عن الكعبة الى بلادهم ، فقام سنبر بن الحسين القرمطى برد الحجر الى مكة ، وقد أحاطه بـبرواز من الفضة لضبط بعض القطع التى كانت قد تكسرت منه حين خلعه ، ووضع فى مكانه على الحالة الموجود عليها الى الآن.

وحين أخذوه تفسخ تحته ، ومات أربعون بعير من أحسن ما يكون من الابل ، وفى سنة أربعين وثلثمائة حج بالناس أميرا أحمد بن الفضل ابن العباس ، وعارضه أهل مصر أصحاب ابن طفج أمير الحج المصرى من جانب كافور الاخشيدى ، مع عمر بن الحسين بن عبد العزيز العباسى ، وصلى أحمد ابن الفضل السابق وخطب على صناديق سوق المصريين بعرفة ، عوضا عن المنبر ، وكان أمير الحاج من بغداد عمر ابن يحيى العلوى ، فوقع بينه وبين أمير الحاج المصرى المذكور حرب شديدة ، وقتال وظهر ناموس الحاج المصرى (١) ونصرته عليه ، وهو أول ظهور ناموس الحج المصرى ، وقيامه بمكة المشرفة وظهور أمره، واشتداد كلمته وسطوته •

وفى سنة احدى وأربعين ، واثنين وأربعين وثلثمائة ، حج بالناس أميرا أحمد بن الفضل العباسى ، وكان بين أمير الحج المصرى والعراقى فى تلك السنة حرب شديد ، بسبب الخطبة وظفر بها العراقى فى تلك السنة •

وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة حج بالناس أميرا محمد بن عبد الله العلوى ، وحصل بين أمير الحاج المصرى والعراقى حروب شديدة ، وقتال بسبب الخطبة ، وظفر بها العراقيون أيضا ، ثم بعد ذلك ظفر « بها » (٢) ابن طفج أمير الحاج المصرى وخطب لمعز الدولة بمصر فى مكة ، والحجاز ، ولركن الدولة ، وبعدها لابن طفج ، ومنع أصحاب معز الدولة أصحاب الاخشيدى عن الصلاة بمنى والخطبة ، ومنع أصحاب الاخشيدى ، أصحاب معز الدولة عن دخول مكة ، وعن الطواف •

وفى سنة أربع الى سنة تسع وأربعين وثلثمائة حج بالناس أميرا من مصر ابن طفج السابق ، وفى رجوع الحاج باتوا فى واد فنزل بهم سيل أخذهم جميعا بأحمالهم وجمالهم وأثقالهم حتى ألقاهم فى البحر •

---

(١) كتب عنوان جانبى « أول ظهور ناموس الحج المصرى » •
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة •

وفى سنة خمسين وثلثمائة لم يحج أحد من مصر ، ولا من الشام، ولا من العراق ، وانما حج نفر من اليمن ، ونهب حج خراسان ، ولم يصل ورجع بدون حج ، وفى سنة ثمان وخمسين الى سنة ثلاث وستين وثلثمائة حج بالناس محمد بن عبد الله العلوى ، وفى سنة أربع وستين وثلثمائة بالناس فيها صالح بن محمد بن على ، وفى سنة خمس وستين وثلثمائة حج بالناس فيها [1] أبو منصور محمد بن يحيى العلوى السابق .

وبطل الحاج من العراق لاضطراب الحال ، وفى سنة سبع وستين وثلثمائة كان أمير الحاج باديس ابن ريرى الصنهاجى وفيها هجم عليه اللصوص ، وقالوا له ندفع لك خمسين ألف درهم ولا تتعرض لنا فى الموسم فقال لكم ذلك [2] ولكن تجمعوا أصحابكم حتى يكون العقد معكم جميعا فاجتمعوا وكانوا نيفا وثلاثين نفرا ، فقطع أيديهم جميعا ، وأراح الحجاج من سرقتهم ، وفى سنة ثمان وستين الى سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، كان أمير الحاج أبو الفتح محمد بن عمر بن يحيى ، وفى سنة اثنين الى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة كان أمير الحاج أبو عبد الله محمد بن أحمد العلوى . وفى هذه السنة حج العراقى أيضا بعد انقطاعه من سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، وفى سنة تسع وسبعين الى سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، كان أمير الحاج أبو عبد الله أحمد بن محمد العلوى السابق ، ولكن فى سنة خمس وثمانين وثلثمائة أحدث على الحجاج للعربان تسعة آلاف دينار ، فى كل سنة تدفع لهم برسم خفارة الطريق [3] تجهز صحبة أمير الحاج الى سنة ثلاث وأربعمائة استتقام حال الطريق وفى سنة تسعين الى سنة أربع وتسعين وثلثمائة ، كان أمير الحاج أبو الحارثة محمد ابن محمد بن عمرو بن يحيى العلوى لكن فى سنة تسعين أثار الزنادقة [4] على الحاكم العبيدى

---

(١) قدم وأخر .
(٢) كتب عنوان جانبى « هجوم اللصوص » .
(٣) كتب عنوان جانبى « أول حدوث الخفارة للعربان » .
(٤) كتب عنوان جانبى « واقعة الزنادقة » .

صاحب مصر بنش قبر النبى صلى الله لعيه وسلم وصحابته، وحملهم الى مصر ، وزينوا له ذلك وقالوا متى حصل هذا الامر الى مصر تشد الناس رحالهم من أقطار الارض الى مصر (١) وتكون منقبة(٢) عظيمة يعود جمالها على مصر وساكنيها ، فدخل ذلك على عقل الحاكم وأرسل الى « أبى » (٣) الفتوح أمــير مكة يأمره بذلك ، فسار حــتى دخل المدينة ، وأزال امارة بنى مهنا من بنى الحسين لمــا بلغه عنهم من الطعن فى نسب الفاطميين ، وجلس أبو الفتوح فى المسجد ، ومعه جماعة من أهلها ، لانه كان قد بلغهم ما جاء بسببه (٤) ، وحضر بالمجلس قارىء يعرف بابن الركبانى حسن الصوت فقرأ بين يدى أبى الفتوح فى ذلك المجلس وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقــاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهــم ينتهون ألا تقــاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهمفالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين الآية (٥) .

قال فماج النــاس ، وكادوا أن يقتلوا أبا الفتوح ، ومن معــه من الجند ، وما منعهم عن الاسراع بذلك الا أن البلاد كانت للحاكم، ولمــا رأى أبو الفتوح ما الناس عليه قال لهــم الله أحق أن يخشى ، والله لا أتعرض لشىء من ذلك ويفعل الحاكم بى ما أراد ، ثم اســتولى عليه ضيق الصدر وكثرة الوسواس والافكار فيما يجيب به الحــاكم عن التخلف عن فعل ذلك ، فما غربت الشمس ، حتى أرسل الله ريحا

---

(١) هذه ثانى محاولة بعد القرامطة لتحويل الحج من بيت الله الحرام بمكة الى أماكن أخرى وقد فشلت جميع المحاولات التى بذلت فى هذا المجال.

(٢) بالأصل « منفعة » وصحتها ما أثبتناه .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين تمشيا مع سياق الكلام .

(٤) كتب عنوان جانبى « بمنه تعالى قد خاب سعى هذه الفئة الباغية فبئس ما سولت لهم أنفسهم ، وما كانوا ليزيلوا أشرف بقعة أراد الله تشريفها به صلى الله عليه وسلم واختارها له » .

ح . ع أى من تعليق الشيخ حسن العطار .

(٥) سورة التوبة آية رقم ١١

كادت الارض أنتزل زل منها ، ورجرجت بأثقالها [١] والخيل بسروجها تدحرج كالكرة على وجه الارض ، وهلك خلق كثير ، وانفرجهم ابن أبى الفتوح ، بقيام هذا العذر للتخلص [٢] من «أمر» [٣] الحاكم ، وأرسل سريعا خبر هذه [٤] الرياح التى شاعت فى الآفاق ، وأن ذلك وقع عند ارادة فعل هذا الامر ،وكان المانع من ذلك [٥] الفعل .

ومن العجب أيضا أن ذلك الامير فى سنة أربع وتسعين أراد ترك زيارة المدينة ، واحتج بأن العربان فى طريقها تطلب عوائدها وقد نفذ ما معه فعند ذلك سمعوا دويا من بعيد [٦] كأنه عنق طائر قاصد الحج من المدينة الى أن وقف بأعلى الجبل وقرأ ما كان لأهل المدينة ، ومن حولهم أن يتخلفوا عن رسول الله فضجت الركوب [٧] ولوت أعناق رواحلها نحو المدينة ، وفى سنة خمس تسين ثلثمائة ، كان أمير الحاج جعفر بن شعيب السلار ولحق بالناس [٨] عطش شديد فى رجوعهم من الحج ، حتى هلك خلق لا تحصى .

وفى سنة ست وتسعين وثلثمائة وسنة سبع وتسعين وثلثمائة ، كان أمير الحج جعفر ابن شعيب السابق، وبعث الحاكم صاحبمصر [٩] كسوة الكعبة ، ومالا جزيلا للحرمين وفى سنة ثمان الى سنة أربعمائة كان أمير الحاج ليل بن الحارث العلوى وفى سنة احدى وأربعمائة كان أمير الحاج أبو الفتوح أمير مكة وخرج فى تلك السنة عن طاعة الحاكم العبيدى صاحب مصر ، ودعى للمقتدر بمكة ، وخطب له .

---

(١) بالأصل « بأقنابها » وصحتها ما اثبتناه .
(٢) بالأصل « من التخلص » وصحتها للتخلص .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .
(٤) بالأصل « هذا الرياح » .
(٥) قدم وأخر .
(٦) كتب عنوان جانبى « نادرة » .
(٧) يحرص الحجاج دائما على زيارة المدينة المنورة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بالروضة المطهرة .
(٨) كتب عنوان جانبى « عطش » .
(٩) كتب عنوان جانبى « الفاطميون » .

وفى سنة اثنين وثلاث ، وأربع وخمس وأربعمائة كان أمير الحاج أبو الحسن محمد وهلك من الحج خلق كثير[(١)] وكان الحاج عشرين ألفا فلم يسلم منهم ستة آلاف واشتد بهم العطش حتى شربوا أبوال الجمال وأكلوا لحمها « وفى سنة » [(٢)] ست وسبع وثمان وأربعمائة حج بالناس أميرا عمر بن مسلم بن محمد بن عبد الله العلوى .

وفى سنة تسع الى سنة ثمانية عشر وأربعمائة كان أمير الحاج أبو الفتوح السابق .

وفى سنة تسعة وأربعمائة لم يخرج من مصر حج[(٣)] خوفا من العربان الى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، لكن حج بالناس فى ذلك أبو الفتوح أمير مكة السابق ، وفيها توفى الى رحمة الله تعالى ، وولى ولده يشكر بعده .

« ومن سنة » [(٤)] خمس وعشرين الى سنة ست وأربعين انقطع حج مصر والعراق وغالب الناس ، وحج بالناس أميرا يشكر بن أبى الفتوح ، وفى سنة سبع وأربعين الى سنة ثلاث وخمسين لم نقف على من حج بالناس وفيها مات أمير مكة يشكر بن أبى الفتوح ، وتولى امارة مكة عبولة .

وفى سنة خمس وخمسين وأربعمائة دخل الصليحى على بن محمد الصليحى صاحب اليمن[(٥)] مكة المشرفة ، واستولى عليها ، وحج بالناس

---

(١) كتب عنوان جانبى « الهالك من الحج » .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .
(٣) كتب عنوان جانبى « لم يخرج من مصر حج » .
(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال العبارة .
(٥) على بن محمد الصليحى كان أبوه على قضاء اليمن وكان سنيا ولكن ابنه على صحب داعى الشيعة باليمن أى داعى الدولة الفاطمية ، ومال الى مذهب التشيع ، وصار ضليعا فى هذا المذهب ، ثم ثار فى سنة ٤٢٩ ودعا للامام المستنصر بالله بن الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين بالقاهرة ، وملك اليمن كله ، وكانت قاعدة ملكه صنعاء . وحج سنة ٤٥٥ وملك مكة . ونشر بها العدل ، وأكثر فيها من الاحسان ، ومنع المفسدين ، ورخصت

فيها ، وكسى البيت الشريف ثيابا بيضا حريرا ، وحجت معه زوجته المسماة بالحرة المدبرة لملكته وكانت مستولية عليه بحيث أنه «كان»(١) يخطب لها على المنابر فيقال بعد الدعاء له وأدام أيام الحرة الكاملة السيرة كافلة المؤمنين ، وكان لها صدقات كثيرة ، وتفضلات حافلة شهيرة .

وفى سنة ست ، وسبع « وخمسين »(٢) وأربعمائة حج بالناس أميرا أبو الغنائم المعمر ، أبو محمد بن عبيد الله ، ومنع الصيلحى ، الحج من اليمن فغلت الاسعار وزادت البلية ، وفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، حج بالناس نور الهدى أبو طالب الحسين ابن نظام الزينبى ، وفى سنة تسع وخمسين الى سنة اثنين وستين ، حج بالناس أبو الغنائم المعمر أبو محمد السابق ، وفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، حج بالناس الشريف نور الدين أبو طالب المكى القرشى ، وخطب للقائم بأمر الله ، وقطع خطبة المصريين ، وكانت الخطبة تقام لهم من مائة سنة الى هذا الوقت .

وفى سنة أربع وستين الى سنة ست وستين وأربعمائة حج بالناس أبو الغنائم السابق ، وكسيت فيها الكعبة من الديباج الاصفر ، كساها محمود بن سبكتكين صاحب الهند ، وفى سنة سبع وستين الى سنة ثمان وسبعين وأربعماية كان أمير الحاج المعروف بالطويل وهو أول تركى ولى امارة الحاج وفى هذه السنة خرج قوم على الحاج المصرى ، وقتلوا غالبهم ولم يحج وفى سنة سبع وسبعين الى سنة خمس وثمانين كان أمير الحاج نجم الدين الحسانى التركى ، وفى سنة ست الى سنة ثمان

بها الاسعار لكثرة ما جلب اليها بأمره ، فأحبه الناس حبا زائدا ، وكسى الكعبة الديباج الابيض وهو شعار الدولة الفاطمية وأقام بها دعوتهم وقد قتل فى عام ٤٧٣ هـ .

عن ترجمة أنظر .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ح ٥ ص ٧٢ ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٦٠ — ٦٣ .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال العبارة .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

وثمانين وأربعمائة انقطع الحاج لاختلاف السلاطين ، وفى سنة تسع وثمانين الى سنة سبع وتسعين وأربعمائة كان أمير الحاج جارتكين وفيها غرق الحجاج بأحمالهم وجمالهم وأثقالهم من سيل نزل بهم فى بعض الاودية ، وما نجا منه الا من تعلق برءوس الجبال * •

وفى سنة ثمان وتسعين الى سنة احدى وخمسمائة كان أمير الحاج أحمد بن على من أقارب سيف الدولة •

وفى سنة اثنين الى سنة خمس وخمسمائة كان أمير الحاج قاتاز التركى وفى سنة ست وخمسمائة (١) كان أمير الحاج نظر الخادم •

وفى سنة سبع وخمسمائة كان أمير الحاج يمن الخادم وفى سنة ثمان الى سنة ثلاثة عشر وخمسمائة كان أمير الحاج نظر الخادم السابق•

وفى سنة أربعة عشر وخمسمائة منع الافضل بن أمير الجيوش وزير الديار المصرية الناس أن يحجوا ، وقطع الميرة عن أهل مكة ، فغلت الاسعار ، وكان الافضل كتب الى أشراف مكة يلومهم ، على فعل أمير مكة قاسم بن هاشم الحسينى لتعرضه للحجاج بالقتل والنهب ، فأرسل الشريف قاسم المذكور يعتذر اليه ، والتزم برد الاموال الى أربابها وكل من قتل من التجار يرد ماله لورثته ، ووفى بذلك ، وأعاد الاموال فى السنة التى بعدها •

وفى سنة خمسة عشر وخمسمائة كان أمير الحاج نظر الخادم السابق ، وفيها توفى أمير مكة قاسم المذكور ، وولى بعده ابنه فأحسن السياسة ، وأسقط المكوس •

وفى سنة ثمانية عشر وخمسمائة كان أمير الحاج اقبال الشرابى ، وفى سنة تسعة عشر الى سنة سبع وعشرين وخمسمائة كان أمير الحاج

---

* يمثل هذا السيل مثلا واضحا للشدائد التى كان يواجهها الحجاج من الطبيعة القاسية .

(١) بالأصل « سبع وخمسمائة » وصحتها ما أثبتناه .

كرمان التركى ، أحد مماليك جمال الدولة وفى سنة تسع وعشرين وثلاثين وخمسمائة (١) لم يخرج من مصر ولا غيرها حاج وانما حج ناس قلائل متجردين وفى سنة احدى وثلاثين الى سنة تسع وثلاثين كان أمير الحاج نظر الخادم السابق وكان بينه وبين أمير مكة هاشم وحشة أفضت الى نهب الحجاج (٢) وأهل مكة وهم بالمسجد يصلون •

وفى سنة أربعين الى سنة أربع وخمسين وخمسمائة كان أمير الحاج قانماز الاغوانى التركى مملوك نظر الخادم ، وحصل للحجاج فى هذه المدة فتن وشدائد ومحاربات ، ونهب أموال ولحقهم فى بعضها العطش الشديد ، وفى بعضها غلو الاسعار ، وفى بعضها شدة المصادمات والمحاربات ، ولما خرجوا من مكة الى المدينة بلغهم أن العرب قد اجتمعت وقعدت على الطريق يرصدون الحجاج لنهبهم فعدل بهم الامير المذكور عن الطريق (٣) وفيها حج الحافظ عبد الرحمن ابن الجوزى ، وخطب ووعظ بالمسجد الحرام مرتين •

وفى سنة خمس الى سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، كان أمير الحاج برغش التركى ، وحصل بين أهل مكة والحجاج فتن عظيمة وجمعوا جموعا لقتل الحجاج ، ونهب أموالهم ، وأتوا لهم بمنى ووقع بينهم المحاربات ، ومنعوا بعض الحاج من الوقوف ، ونهبوا الجمال ورجع من منى بدون الوقوف خلائق ولم يحجوا فى ذلك العام ، وكذلك فى يوم النحر ، منعوا الدخول الى البيت ، ومنعوا خادم الكعبة من تعليق أستار الكعبة ، وحصل متاعب شديدة للحجاج •

لكن فى سنة ست وخمسين حج السلطان نور الدين محمود بن زنكى

---

(١) كتب عنوان جانبى « لم يخرج حج » .
(٢) كتب عنوان جانبى « نهبت الحاج » .
(٣) كتب عنوان جانبى « عدول عن الطريق من شدة المحاربة » .

الشهيد (١) فلما سمع أمير مكة قاسم بن هاشم بقدوم « السلطان » (٢) صادر (٣) تجار مكة وأعيانها ، ونهب أموالهم ، وهرب عند قرب دخول الحجاج ، خوفا من السلطان المذكور ، وفى سنة ثمان وخمسين الى سنة خمس وستين وخمسمائة كان أمير الحاج برغش الكبير ، وحصل للحجاج فى بعض هذه السنين عطش شديد ، وغلاء عظيم وفشا فيهم الوباء ، ولميزوروا النبى صلى الله لعيه وسلم ، لانتشار الوباء فيهم (٤) وفى بعضها خرج أمـير الحاج من مصر ، ولم يخـرج معه سوى جماعته لاشتغال الناس بما حـدث عندهم من محـاربة السلاطين لبعضـهم بعضـا (٥) .

وفى سنة ست وستين الى سنة اثنين وثمانين وخمسمائة كان أمير الحاج طاشتكين المستنجدى ، وحصل فى هـذه السنة للحجـاج فتن

---

(١) السلطان نور الدين محمود هو ابن أتابك عماد الدين زنكى كان جده آق سنقر مملوكا تركيا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى، وقد انفصل هذا الجد . بحلب ثم ولى ابنه عماد الدين الموصل وأخذ الرها وقد ولد ابنه نور الدين فى ١٧ شوال سنة ٥١١ هـ وقد تولى حلب بعد قتل أبيه ، واجتهدفى قتال الفرنج وافتتح عدة حصون بالشام ، ثم ملك دمشق وأنشأ بها المدارس والمساجد والبيمارستان ، وعمرها ، وقد استنفذ من الفرنج عـدة معـاقل .

وقد بالغ فى الاحسان لأهل مكة والمدينة وبعث العساكر لحفظ المدينة المنورة وأقطع أمير مكة اقطاعا وأقطع أمراء العربان اقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز وأكمل سور المدينة واستخرج لها العين ، فدعى له بالحرمين ، وقد بعث أسد الدين شيركوه بحملة الى مصر فأنقذها من الافرنج ، وقد ملكها شيركوه ودعا له على منابر القاهرة وقد توفى نور الدين فى ١١ شوال سنة ٥٦٩ بدمشق بعد ما حج فى سنة ٥٥٦ هـ عن تاريـخ نور الدين انظر :ـــ

ابن واصل مفرج الكروب ، نشر الشيال ح ١ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتكمل العبارة .

(٣) بالأصل « صار » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) كتب عنوان جانبى « شدائد » .

(٥) كتب عنوان جانبى ـــ فتن ومحاربات .

ومحاربات ونهب ، وفى بعضها لم يحج أحد [١] فى مصر ، وفى بعضها لم يتمكن أحد من دخول مكة بعد الوقوف ، وانما حصل الوقوف فقط، ورجعوا بدون اتمام أعمال الحج ، وفى بعضها أقاموا بمكة بعد النزول يوما واحدا وخرجوا منها هاربين من أمير مكة وكان فى سنة ثلاث وسبعين أبطل السلطان صلاح الدين [٢] المكوس التى كانت تؤخذ من الحجاج من طريق البحر الى مكة ، وهى عن كل انسان سبع دنانير ونصف ، وعوض أمير مكة عن ذلك ألفى دينار وألفى أردب من القمح، واقطاعات بصعيد مصر ، وأزال هذه البدعة القبيحة جزاه الله عن الحجاج خيرا .

وفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان أمير الحج شمس الدين المعروف بابن المقدم أحد أكابر الامراء الكبراء ، وفى سنة أربع وثمانين الى سنة سبع وثمانين ، وخمسمائة ، كان أمير الحاج طاشتكين السابق، وفى سنة ثمان وثمانين وتسع وثمانين ، كان أمير الحاج سنقر مملوك الناصرى الخليفة ، وفى سنة تسعين وخمسمائة كان أمير الحاج سنقر الناصرى ووقع بمكة أمطار وسيول ، سال فيها وادى ابراهيم ، وفى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة كان أمير الحاج الشريف اسماعيل ابن تغلب الجعفرى ،ووقع بعد خروجه من مكة هبوب ريح أسود [٣] عم

---

(١) يتضح من ذلك أن الاضطرابات السياسية التى كانت تقع فى الوطن العربى كانت تحول بين المسلمين وبين أداء فريضة الحج أو عدم اتمام مناسكه .

(٢) طريق البحر المقصود به طريق قوص — عيذاب — القصير ثم الابحار منه الى جده . وقد كان الحجاج يعاونون من كثرة المكوس التى يدفعونها فى هذا الطريق فقد كان يسكن فى عيذاب حاكمان حاكم من طرف شيخ قبائل البجة وآخر تابع لحاكم مصر ، وكانا يأخذان عوائد مرور عشرة جنيهات عن كل حاج مغربى ، وسبعة على الحجاج الآخرين ، وكانا يقتسمان كل مايتحصل منها مناصفة ، هذا عدا المكوس التى كانت تؤخذ من الحجاج عن طريق مكة فأمر صلاح الدين الايوبى بابطال جميع هذه المكوس وعوض المسئولين عنها سواء فى مكة أو فى صحراء عيذاب فخفف على الحجاج كثيرا من العناء .

(٣) كتب عنوان جانبى « ريح » .

الدنيا ، ووقع على الناس فيها رمل أسود ، وسقط من البيت الشريف قطعة من الركن الميانى [١] وتجرد من كسوته مرارا لتمزيق الريح لها والقائها بالمسجد الحــرام .

وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى سنة خمس كان أمير الحاج سنقر الناصرى المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة ، وفى سنة سـبع وتســعين الى سنة ســتمائة كان أمير الحــاج مجـير الدين طاشتكين المستنجدى ، وفى سنة احدى وستمائة الى سنة ست وستمائة كان أمير الحاج ياقوت الرومى الناصرى وحج معه أبو المظفر يوسف بن الجوزى . وفيها قتل الشريف قتادة صاحب مكة امامى الشافعية والحنفية بالمسجد الحرام ، ونهب اليمانيون الحجاج المصرى ، والشامى ، وكانت محنــة عظيمة ، وفى سنة سبع وستمائة ، كان أمير الحاج الامير محمد بن مجاهد الدين بن ياقوت الناصرى ولاه أبوه امارة الحاج وكان صغير الســن ، فأرسل معه أبو فراس بن جعفر أبو نواس الحلبى وفيها وقعت فتنــة عظيمة بين جماعة الاشراف وجماعة أير الحاج بمنى [٢] وعرفة ونهبت الحجــوج الثلاث المصرى والشــامى والعــراقى ، وقتل فيها خلق لا يحصون ، حتى منعوا الحجاج من دخول مكة بعد أيام منى ، واشتد الخوف على الحجاج ، وكثر فيهم التعب ، وفى سنة تسع الى سنة أربعة عشر وستمائة كان أمير الحاج أبو قباش حسام الدين وفيها حصــل بمكة [٣] غلاء عظيم ، حتى أبيع كل ربع من الحبوب بدينار .

وفى سنة خمسة عشر الى سنة سبعة عشر وستمائة كان أمــير الحاج أبو قباش الناصرى ، واتفق للحجاج فى زمانه محن كثيرة ، منها

---

(١) يسمون زوايا البيت الحرام الخارجة بالاركان فالشمال منهــا يسمونه بالركن العراقى لأنه الى جهة العراق ، والغربى يسمونه الشامى لأنه متجه الى الشام ، والقبلى يسمونه الركن اليمانى لاتجاهه الى اليمن والشرقى ويسمونه بركن الحجر لأن فيه الحجر الاسود .

(٢) كتب عنوان جانبى « فتن بين الاشراف وأمير الحج » .

(٣) كتب عنوان جانبى « محن بالحج » .

القتل لجماعة ، وموت جماعة بالمسعى من شدة الزحام ، وقيام الاشراف على الحجاج .

وفى سنة ثمانية عشر الى ستة وعشرين وستمائة كان أمير الحاج شجاع الدين بن طغتكين ، وفى سنة سبع وعشرين الى سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة كان أمير الحاج أبو قباشى السابق ، ووصل للكعبة كسوة من بغداد . وفى سنة أربع وثلاثين الى ثمانية وثلاثين وستمائة كان أمير الحاج داودار المعتصم ، و فىسنة تسعة وثلاثين ، وأربعين وستمائة انقطع الحاج (١) ولم يحج أحد ، من مصر ، ولا من الشام وانما ورد بعض قوافل من النواحى ، وحجوا بدون أمير .

وفى سنة احدى وأربعين وستمائة جهز المعتصم بالله الحاج الى مكة مع والدته وكان أمير الحاج فيها دوادار السابق ، وكانت سنة عظيمة ، كثيرة الجمال ، والرخاء والامن ، والمياه والخيرات والصدقات .

وفى سنة اثنين ، ثلاثة وأربعين وستمائة لم يحج أحد من مصر ولا من غيرها ، وانما وصل الى لمكة قوافل من النواحى وتعرت الكعبة من كسوتها لهبوب ريح شديدة مزقتها قطعا قطعا ، وأراد صاحب اليمن (٢) أن يكسوها منه اله ، فمنعه شيخ الحرم يومئذ منصور البغدادى ، وقال له هذا شىء لا يكون الا من عند الخلفاء العباسيين وما كان عند شيخ الحرم مال فاقترض ثلثمائة مثقال من الذهب ، واشترى ثيابا بيضاء ، وصبغها بالسواد * ، وركب عليها طرازها

---

(١) كتب عنوان جانبى « لم يحج أحد » .

(٢) المقصود به الملك نور الدين عمر بن على أول ملوك الرسوليين باليمن وتمثل محاولة الملك اليمنى هذه صورة من النزاع الخفى الذى كان يدور بين ملوك الرسوليين باليمن وملوك الايوبيين ثم المماليك فى مصر .

* صبغ شيخ الحرم الكسوة التى أعدها بالسواد أى اللون الاسود لأنه شعار الخلافة العباسية القائمة وقتذاك .

القديم ، الذى كان بكسوتها السابقة الممزقة وكساها به (١) .

و فى سنة أربع وأربعين الى سنة تسعة وأربعين وستمائة لم يحج أحد من مصر ولا من غيرها لانتشار الفتن والقتل بخروج الزيدى صاحب اليمن (٢) واستيلائه على مكة المشرفة ، وفى سنة خمسين وستمائة قوى أمر الزيدى صاحب اليمن وأقبل وزيره مبارك الدين على بن طاليس فى مائتى فارس من جانبه وتغلب على مكة وأقام للناس الحج ، وكان هو الأمير فى تلك السنة ، ثم أقام بمكة أميرا من جانبه وأظهر المحاربة للأشراف ، واجتمع عليه الاطراف من كل واد .

وفى سنة احدى وخمسين وستمائة الى سنة ثلاث وخمسين كان أمير الحاج مبارك الدين السابق ، وفيها حاصره الاشراف ونزلوا عليه من رؤس الجبال ، ونصبوا معه الحرب فى وسط مكة وقاتلوه حتى انكسر واضهزم هو وأصحابه فتبعوه وأسروه ففدى نفسه ، وكان قد قتل جماعة وسفك دماءهم بالمسجد الحرام ثم ولى مدبرا بجماعته الى صاحب اليمن ، وفى سنة أربع وخمسين الى سنة ثمان وخمسين

---

(١) صاحب اليمن الذى أراد يكسو الكعبة سنة ٦٤٣ هـ هو الملك المنصور عمر بن على بن رسول الكردى الذى ملك اليمن بعد موت الملك المسعود الكردى سنة ٦٢٦ هـ وهو أول ملك من ملوك بنى رسول باليمن، وقد بويع له بها سنة ٦٢٩ وخطب له فيها بمكة أيضا ودامت مملكته الى أن قتل فى سنة ٦٤٧هـ .

أنظر ترجمة الرسولى عمر بن على وكيف آل اليه ملك اليمن بعد الايوبيين فى : —

الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية .

(٢) هو الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن على ابن رسول ، قام بعد أبيه بملك اليمن فى سنة ٦٤٧ هـ .

وستمائة لم يحج أحد من سائر الجهات سوى حجاج الحجاز (١) ، والقاضى بدر الدين بن جماعة فانه سافر من طريق البحر (٢) وكان أمير الحاج فى تلك السنة أمير مكة ، وذلك من الخوف من الفتن القائمة من صاحب اليمن ، ومحاصرته لمكة وأهلها .

وفى سنة تسع وخمسين وستمائة كان أمير الحاج علم الدين عتيق الأمير شمس الدين ، وفيها حج الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن (٣) وتصدق فى طريقه برا وبحرا بمال كثير لا يحصى وكان يسير فى البر والمراكب تسير فى البحر تجاهه بالأطعمة ، والزاد والاموال ، ودخل مكة فى عساكر وجنود ، ملبيا خاشعا متواضعا لما رأى الجنب والرأس ، حتى قضى ما يجب عليه من أعمال الحج ، ووقف عند الصخرات بعرفات ، وكسا الكعبة الشريفة ولم يكسها أحد قبله بعد الخلفاء العباسيين ،وكان انما تجعل كسوته عليها بعد سفر الحاج مراعاة لصاحب مصر ، وانفرد بكسوتها فى بعض السنين ، وقام مع ذلك بمصالح الحرم وأهله ، ومكثت عدة أيام تصرف صدقاته بمكة

---

(١) كانت العراق فى هذه السنوات مهددة بخطر الغارات المغولية . وانتهى الامر بدخول المغول بغداد والقضاء على الخلافة العباسية بها سنة ٦٥٦ هـ وهذا هو السبب فى انقطاع الحاج فى تلك السنوات .

(٢) من طريق البحر اى من السويس الى جدة بالمراكب الشراعية وكان هذا الامر لا يتاح الا لأثرياء القوم أما معظم الحجاج فكانوا يسافرون عن طريق قوص — عيذاب — القصير ثم الى جدة .

(٣) الملك المظفر يوسف هو ابن الملك المنصور نور الدين عمر وقد تولى حكم اليمن بعد وفاة أبيه فى سنة ٦٤٧ ، وقد اشتهر بكثرة صدقاته لأهل الحرمين ، ونثره الذهب والفضة على الكعبة ، وعنايته بتقديم كسوة فاخرة لها ، وكان أول من كسى الكعبة بعد قتل الخليفة المستعصم والقضاء على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ووضع بذلك تقليد هام وهو تقديم الكسوة من ملوك اليمن للكعبة ، والخطبة لهم على منابر مكة حتى يبطل ذلك الظاهر بيبرس السطان المملوكى فى عام سنة ٦٦٧ هـ فقد منع أمراء مكة بأمر من الظاهر ملوك اليمن من تقديم الكسوة للكعبة ، ومنعوا الخطبة لهم .

حتى وصلت صدقاته لكل منزل بمكة ، وعمت جميع من بها من أهلها، وغيرهم من الحجاج على اختلاف أنواعهم .

وجهز من ماله أيضا الحج المصرى تلك السنة فى الرجعة بالزاد والراحلة لفناء ما كان معهم من الزاد ولموت الرواحل ، وكسا جميع رؤساء الحرم ، وعلمائه ، ونثر علىالبيت الذهب والفضة ، ثم خرج بمن معه ناظرا البيت مودعا له مع غاية التواضع والخشوع ، واستمر يخطب له بمكة الى أن مات (١) وكان قبلموته أرسل للكعبة بابا فوصل بعد موته ، واستمر عليها الى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة « حين » أرسل الناصر محمد بن قلاون الصالحى بابا غيره وأمر بوضعه فوضع وأخذ بنو شيبة الباب الأول وكانت حليته ستين رطلا من الفضة ، ولكنهم ابقوا القفل الذى كان على الباب الاول على الباب الثانى ويقال أنه موجود الى الآن ، وفى سنة ستين وستمائة انقطع الحاج من سائر الآفاق ، ولم يرفع لاحد راية بعرفات وقت الوقوف .

وفى سنة احدى وستين وستمائة ، وسنة اثنين وستين وستمائة كان أمير الحاج محمود بن عبد الله أحد مماليك الظاهر (٢) ، وفى سنة ثلاث وأربع وستين ، وخمس وست وستين وستمائة كان أمير الحاج الامير الحلى من جانب الظاهر بيبرس ، وتصدق بصدقات كثيرة على أهل مكة وفيها أرسل المظفر صاحب اليمن بكسوة للبيت والحجرة وما يزيد على مائة ألف دينار لعمارة الحرم ، وحلية باب الكعبة بصفائح الذهب والفضة وعمارة مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى سنة سبع وستين وستمائة كان أمير الحاج السلطان الظاهر

---

(١) كان موضوع الخطبة لبنى رسول على منابر مكة يتسبب دائما فى قيام النزاع بين سلاطين المماليك وبين ملوك بنى رسول ، وكانت الخطبة تتم أولا على منبر مكة لسلطان مصر ثم بعده لملك اليمن .

(٢) كتب عنوان جانبى « الظاهر بيبرس البندقدارى » .

بيبرس (١) وكان صحبته أمراؤه وأجناده ومماليكه فقط ولم يصحب معه أحدا من غلام ولا عكام (٢) الا الأمراء والخاصكية الذين معه ، وقال الصغير يخدم الكبير ، وكل من عرف صنعة فعلها ، ولم يخرج من مصر ، حتى مضى من شهر القعدة خمســة وعشرون يوما وكان قد قدم أمامه فى كل منزلة من المنازل (٣) ما يحتاج اليه من العلائق (٤) والأزواد والخيول والجمال ، فاذا وصل منزلة منها نزل ما كان معه من ذلك بتلك المنزلة ، وأخذ (٥) مافى الاخرى من خيل وجمال ، وطعام وعليق ولم يزل على ذلك ، حتى دخل مكة ثامن الحجة ، فركب السلطان هو وجميع الامراء ، الخيل البلق ، ودخل على هذه الحالة فأنكر شريف مكة ذلك ، وقال هؤلاء قوم أعراب فسالمهم فقالوا له هذا الذى قد قلت

---

(١) السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل وقد عمل فى البداية مملوكا ثم ارتقى حتى ملك مصر بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز فى سنة ٦٥٨ هـ واستمر ملكا لمصر حتى توفى بدمشق فى ٢٧ من المحرم سنة ٦٧٨ هـ .

عن ترجمة الملك الظاهر بيبرس انظر :

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك نشر محمـــد مصطفى زيادة ح ١ ص ٥٧٣ — ص ٥٨٣ .

وقد اشتهر هذا السلطان بجهاده ضد المغول وانتصاره عليهـــم . والقضاء على شرهم الذى كان يتهدد الاسلام والمسلمين .

(٢) العكام : أو مقدم العكامة : موظف من موظفى قافلة الحـــاج واختصاصه العناية بالحلوى المرتبة للعربان على طريق الحاج ، وأهل مكة والمدينة من سكر خام ، وسكر أبيض وسكر نبات ، وشراب ، وحـــلوى، مربات .

(٣) ينسب الى السلطان الظاهر بيبرس أنه أول من حول طـــريق الحج من عيذاب وقوص جنوبا الى طريق البر عن طريق العقبة شمالا ، وأنه أمر باعداد محطات « منازل » لاستراحة الحاج وتزويده بالمؤن والذخائر على طول الطريق من القاهرة الى مكة .

(٤) العلائق : أى الغلال اللازمة لقافلة الحاج وكانت تلك الغـــلال ترسل سنويا من مصر لهذا الغرض وتحفظ فى القلاع الهامة فى العقبـــة ، وينبع ، ورابغ وغيرها .

(٥) بالأصل « واحد » وصحتها ما أثبتناه تمشيا مع سياق الكـــلام

فى حقه لا يأتينى الا على الخيل البلق ، هذا صاحب مصر وأمراؤه ، فان شئت فاقتل الكل فعند ذلك نزل عن فرســه ، وتقــدم بين يدى السلطان وقال : العفو يا مولانا السلطان ثم اشهد على نفسه أنه بعد ذلك اليوم لا يأخذ من الحجاج شيئا المصرى ، والشامى وتوابع ذلك اكراما للسلطان ، وأنه ترك جميع ما كان يأخذه منهم وما كان يأخذه الجبــاة من المكوس (١) من كل تاجر ما يكون معــه من التجــارة ، ويأخذونه من غير التجار ، ومن لا تجارة معه • على كل حمــل قدرا معينا ، ولا يتجاوز أحد قبر أبى لهب بدون أخذ ما عليه من المعتاد ، سواء كان صاحب المحمل غنيا أو فقيرا ، ولاجل ذلك كان الحج قد انقطع من مكة لشدة الظلم والخوف من الاشراف •

وتصدق السلطان بمال كثير على الفقــراء والمحــاربين وفرق الكساوى الكثيرة على أهل الحرم ، ودفع لخواصه مالا كثيرا يفرقونه على أهل الحرم سرا ، وعلى ذوى الحاجات والبيوت فى بيوتهم ، ولم يجعل له صاحبا ، ولم يصحب معه فى طواف ولا سعى خادما بل صار كواحد من الناس فى طوافه وسعيه وصلاته وزيارته ، وغسل الكعبة مع خدمتها كواحــد منهم (٢) وجلس على باب الكعبة يأخــذ بأيدى

---

(١) المكوس جمع مكس وهى يعنى كل ما يحصل من الاموال أى الضراب للسلطان أو لموظفى الدولة خارج الضريبة الشرعية ، وقد عرفت أموال المكوس باسم المــال الهلالى ، وأشير اليها باسم المكوس منــذ الدولة الفاطمية ، من أنواعها ما كان يؤخذ فى الموانى البحرية على المتاجر الواصلة من الخارج ، ومنها ما كان مقررا بالقاهرة على مختلف المحاصيل والمصــنوعات والاماكن وقد عرفت هــذه المكوس فى العصر العثمــانى بمصر باسم « الحمايات » عن المكوس فى العصر الاسلامى :

أنظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار ح ١ ص ١٠٣ ، ح ص ١٢١ ، القلقشنوى : صبح الاعشى ح ٣ ص ٤٦٨ ، ص ٤٧١ .

(٢) كان لغسيل الكعبة أهمية خاصة فيقام احتفال كبير يحضره الشريف وأعيان مكة وعظماء الحجيج ، وتغسل أرض الكعبة بماء زمزم بمقشات صغيرة ثم تغسل بماء الورد ثم تضمخ أرضيتها وحوائطها بأنواع العطر والمسك .

الناس عند الدخول للكعبة حتى تعلق رجل من العامةبطرف احرامه*
فقطعه ، وكاد يرمى السلطان الى الارض من على باب الكعبة ، وهو
مشـــغول بمساعدة غـــيره ولم يتشوش لذلك ، ولم يتغـــير بل صار
مستبشرا فرحا مسرورا بذلك ، وعلق كسوة الكعبة بيده ، وخواصـــه
وتردد على علماء مكة ، وصلى بها بقصد الزيارة والتماس الدعاء .

وكتب الى صاحب اليمن (١) ينكر عليه أمورا كان يفعلها مع أهل
مكة ، ويقول له هذا كتابى اليك كتبته لك بمكة ، وقد جئتها فى سبعة
عشر منزله (٢) من مصر من غير زيادة ، ولا أعجز عن الوصول اليـــك
فى أقل منها .

وفى سنة ثمان وستين وستماة ، كان أمير الحاج الامير محمـــد
النشيبى ، وجاء بكسوة الكعبة من جانب السلطان الظاهر بيبرس .

وفى سنة تسع وستين ، وسنة سبعين وستمائة لم يحج أحـــد
من مصر (٣) ولم تكس الكعبة لشدة ما حصل بمكة من الفتن والظلم ،
واخافة الواردين ، وقطع الطرقات .

وفى سنة احدى وسبعين الى سنة ثلاث وسبعين لم يحج أحد،
وكان أمير الحاج أمير مكة ، وفيها نهب الحج المغربى .

وفى سنة أربع وسبعين الى سنة ثمانين وستمائة كان أمير الحاج
العنزى ووقف بعرفة يومين للاختلاف .

وفى سنة احدى وثمانين وستمائة ، كان أمير الحاج ناصر الدين
الطنبغا الخوارزمى ومعه كسوة للكعبة ، وفى سنة اثنين وثمانين الى

---

* بالأصل « حزامة » والتصويب من الذهب المســبوك ص ٩١

(١) المقصود الملك المظفر الســابق .
والمقصود باحرامه اى ملابس الاحرام .

(٢) منازل الحج أى محطات الحج المعدة على طـــول الطريق من القاهرة الى مكة .

(٣) كتب عنوان جانبى « لم يحج أحد » .

سنة أربع وثمانين كان أمير الحاج السلحدار ، وفى سنة خمس وثمانين الى سنة سبع وثمانين وستمائة كان أمير الحاج بكتون العلاى من جهة الأشرف (١) قلاوون .

وفى سنة اثنين وتسعين وثلاث وتسعين وأربع وتسعين وستمائة كان أمير الحاج ابن صاحب مصر المجاهد آنص بن العادل كتبغا المنصورى، وحصل لاهل الحرمين رفق كبير ، وشكرت سيرته، وحمدت وأثنى الناس عليه ،وبذل الاموال فى الصدقات على أهل الحرمين .

وفى سنة خمس الى سنة تسعين وستمائة كان أمير الحاج صالح ابن حسام الدين الخاصكى (٢) .

وفى رجب الحرام فى سنة خمس وتسعين وستمائة وقعت فيها صاعقة على منارة المسجد الحرام ، مات فيها المؤذن على بن محمد ابن عبد السلام الكاذرونى عفى الله عنه .

وفى سنة سبع وتسعين وستمائة حج بالناس الخليفة الملقب بالحاكم أبى العباس أحمد العباسى (٣) وهو ثانى خليفة بويع بعد

---

(١) بالأصل « الاشراف » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) الخاسكى أو الخاصكى والمماليك الخاصكية هم الحرس الخاص للسلطان الذين يحيطون به ويحرسونه ، ويلازمونه حتى فى أوقات خلوته انظـر :

خليل بن شاهين الظاهرى : زبده كشف الممالك ص ١١٥ — ١١٦ ،

AyALON : Studies on the Structure of,
The Mamluk Army. in B.S,O.S
Vol. xv, 1953 pp. 268 — 228

(٣) قدم هذا الخليفة الى مصر فى ٢٧ ربيع أول سنة ٦٦٠ هـ فبايعه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ فلم يزل خليفة لا أمر له ولا نهى ولا نفوذ حتى توفى سنة ٧٠١ هـ ، وعندما حج سنة ٦٩٧ هـ رفض أمير مكة أن يدعو له على المنبر ويشير ذلك الى أنه لم يكن لأحد من خلفاء العباسيين بمصر سلطة أو نفوذ .

المعتصم ، وهو أول خليفة عباسى سكن بمصر ، وأول خليفة عباسى حج من مصر •

وفى سنة ثمان وتسعين وستمائة كان أمير الحاج عز الدين أيبك الخازندار ، وفيها حصل للحجاج شدة شديدة من العطش والجوع ، وتشويش بعرفات ، وخوف وفتنة بمكة (١) ونهب خلق كثير ، وأخذت ثيابهم التى كانت عليهم ، وقتل خلق كثير •

وفى سنة تسع وتسعين وستمائة وسنة سبعمائة كان أمير الحاج بكتمر الجوكندار ، وأنفق فى حجه ثمانين ألف دينار ، وجهز لجدة عدة مراكب مشحونة بالأطعمة ، الازواد من جميع الحبوب وغيرها من الحلويات ، والاعسال والزيت ، والسكر ، وما يحتاج اليه الحال فى الاسفار وجهز للينبوع أيضا ثلاث مراكب مشحونة بما ذكر ، ونادى مناديه من كان محتاج لشىء فليحضر وكل من حضر وطلب شيئا أعطاه وفرق على من حضر وعلى من لم يحضر حتى عم أهل الينبوع (٢) وأهل الحرمين خيره واحسانه مالا وطعاما وأداما وغير ذلك فانظر الى فعل هؤلاء الأمراء وعموم خيراتهم ، وانظر الى أمر هـذا الزمان وعموم ضررهم وشرهم (٣) وما كفاهم ما يرسلونه للبيع ، حتى يحجرون على فقراء الحاج ، ويحجرون فى وقت البيع على الناس ، فلا يبيعوا شيئا ، حتى يباع ما أرسلوه لتجاراتهم بأغلا الأسعار وبذلك يحصل

---

(١) كتب عنوان جانبى « خوف وفتن » .

(٢) الينبوع أو الينبع ميناء المدينة المنورة ويقع على البحر الاحمر والمسافة بين المدينة وينبع : ٢٣ كيلو مترا ويحكم ينبع شريف ينتمى الى أشراف مكة وقد كانت ينبع محطة هامة من محطات الحج فى الذهاب والعودة وبها قلعة هامة للحراسة ، وتحفظ بها الغلال والمؤن التى ترسل من مصر سنويا لتزويد قافلة الحج .

(٣) المقصود بهذا الزمان زمن المؤلف أى فى أواسط القرن الثامن عشر حيث استفحل فساد الامراء المماليك وظلمهم للرعية وحيث عاشت
عشر حيث استفحل فساد الامراء المماليك وظلمهم للرعية وحيث عاشت
الثامن عشر فى عهد مراد بك وشريكه ابراهيم بك .

مزيد التضييق على المسلمين ، لانهم لو خلوا سبيل الناس فى البيع لحصل الرفق ،ورخص السعر ، وحصل النفع للمسلمين .

وفى سنة احدى وسبعمائة كان أمير الحاج بيبرس الدوادار المنصورى وفيها خرج الامير بيبرس الجاشنكير (١) ومعه ثلاثون نفرا فى نصف ذى القعدة حتى أدرك الحاج وسار خلفه بمن معه من الامراء دخلوا مكة ، وقضوا حجهم .

وفى سنة اثنين وسبعمائة كان أمير الحاج أقوش الأشرفى ، وفى سنة ثلاث وسبعمائة كان أمير الحاج سلار نائب السلطنة بمصر ، وخرج معه نحو ثلاثين أميرا ، وأرسل الامير سلار فى البحر عشرة آلاف أردب توزع على أهل الحرمين ، وكتب أسماء المجاورين بمكة ، ووفى عنهم جميع ما كان عليهم من الديون ، وأعطى كل واحد منهم بعد وفاء ماعليه من الديون مؤونة سنة ، وفرق جميع ما فى المراكب على أهل الحرمين رجالا ونساء ، وأغنياء وفقراء ، أشرافا وغيرهم ، أحرارا وعبيدا وفعل بالمدينة المنورة كذلك . ولم يسمع بمثل ذلك أبدا .

وفى سنة أربع وسبعمائة كان أمير الحاج عز الدين ايبك الخازندار زوج ابنة السلطان الظاهر بيبرس وفيها خرج معه حجوج كثيرة ، حتى فرقهم فى السير ثلاث فرق ، وجعل على كل فرقة أميرا من جانبه ، لكن حصل للحجاج شدة شديدة ، ومشاق كثيرة من قلة المياه

وفى سنة خمس وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين طقتمر(٢) وكان صعب المراسى ، كافر النفس له اقدام على الجرائم ، وسفك الدماء ، وأفحش فى قتل الخدم (٣) وحصل بينه وبين الأشراف

---

(١) الجاشنكير كلمة فارسية تتكون من لفظين الاول جاشنا ومعناه الذوق والثانى كير ، ومعناه المتعاطى ، وكانت وظيفة الامير الجاشنكير أن يقوم بتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان خوفا من دس السم عليه فيه. القلقشندى : صبح الاعشى ح ٥ ص ٤٦٠ .

(٢) بالأصل « المفر » والتصويب من السلوك ح ٢ ص ٣٥١ .

(٣) بالأصل « الخدمة » وصحتها ما أثبتناه .

وجماعاتهم محاربة عند الجمرة (١) وقتل منهم خلق كثيرون .

وفى سنة ست وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين السلحدار، وفيها وقع بين المصريين ، والحجازين مقتلة ، ونهب وهرب الحجازيون للجبال (٢) وقتل منهم جماعة فى سوق منى تسكينا لفتنة ، وحصل الخوف ، واستقر الحال بعد ذلك .

وفى سنة سبع الى سنة احدى عشر وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين السلحدار ووقع بينه وبين عبيد مكة (٣) وذلك أنهم أفحشوا فى تلك السنة ، فى خطف أموال التجار وغصب بضائعهم بلا ثمن ، وغصب أموالهم ، فأرسل أمير الحاج المذكور للشريف فى ذلك ذلك فلم يمنعهم ، فركب أمير الحاج بمن معه ، ونادى أنه لا يخرج أحد من الحجاج ، وليحفظوا أمتعتهم ، وصار كل من لقيه من العبيد قتله ، وفر جماعة منهم الى الجبل ، فتبعهم واستأصلهم بالقتل مابين عبيد وأشراف ، فطلب شريف مكة ، من أمير الحاج العفو ، والامساك عن القتل ، فأمسك عن القتل عنهم ، وصار الأمر له مادام بمكة، حتى خرج منها .

وفى سنة اثنى عشر وسبعمائة ، كان أمير الحاج مظفر الدين قصدان الرومى ، وفيها حج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك (٤) ومعه أربعون أميرا وستة آلاف مملوكى على الهجن ومائة

(١) كتب عنوان جانبى « محاربة عند الجمرة » .

(٢) كتب عنوان جانبى « محاربة فى منى » .

(٣) كتب عنوان جانبى « نهب وخطف وقتل » .

(٤) الناصر محمد بكقلاوون ولد سنة ٦٨٤ وتوفى سنة ٧٤١ وأقام فى السلطنة ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر تقريبا وحج فيها ثلاث مرات الاولى سنة ٧١٢ هـ وكان فيها مقيما بالكرك بعد أن هرب اليها من مصر لتآمر بيبرس الجاشنكير ضده وتوليه السلطنة بدلا منه ثم استعاد السلطان عرشه ، وحج ثانيا فى سنة ٧١٩ هـ ثم حج مرة ثالثة فى سنة ٧٣٢ هـ وأظهر فى كل المرات تواضعا كبيرا ، وفرق فى أهل مكة مالا عظيما أو أفاض التشاريف على أمراء مكة وأرباب وظائفها وأمير ينبع وأمير خليص .

عن ترجمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنظر :

المقريزى : السلوك ح ٢ ص ١٣٥ وما بعدها .

فارس ، وطاف بالكعبة وعليه احرام من صوف وهو يعرج فى مشيته، وحــوله الأمراء بيــد كبيرهم الطبر عن يمينه وشماله وخلفه . وهو أول حجاته ، وفيها هرب منه أمير مكة خوفا مما كان فعله قبل ذلك ، ورجع بعد خروجه .

وفى سنة ثلاث عشر وأربعــة عشر وسبعمائة كان أمــير الحاج بلبان الشمسى ، وكان قد اتصل بالملك الناصر شكوى الحجاج والتجار من أمير مكة ، فجهز له عساكر وأمراء فلما ســمع أمير مكة هرب ، فولى الناصر غيره امارة مكة .

وفى سنة ستة عشر وسبعة عشر كان أمير الحاج ارغون الدودار الناصرى ، وفى سنة ثمانية عشر وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين أمير مجلس ، وصحبته جماعة من أعيان الامــراء لقتل شريف مكة ، حين زاد فساده وكثرت الشكاية منه .

وفى سنة ستة عشر وسبعة عشر كان أمير الحاج ارغون الدوادار الطواشى ، وفى سنة عشرين وسبعمائة كان أمير الحاج عز الدين أيدمر وفيها حج الملك النــاس محمد بن قلاوون (١) وهى الحجة لاثانية . وصحبته غالب أمرائه وأعيان دولته ، ودخــل مكة وهو على غاية من التواضع والخشوع ، حتى أن القاضى عز الدين بن جماعة (٢) سأله أن يطوف راكبا كما فعل النبى صــلى الله عليــه وسلم ، قال والله لا طفت الا كما يطوف آحاد الناس ، فطاف مع الناس ، كأنه واحــد منهم يزاحمهم ويزاحمونه ، حتى عند الحجر الأسود حال التقبيل ، ولم يزل كذلك حتى أتم حجه ، وغســل الكعبة الشريفة بيده وأبطل سائر المكوس (٣) وعوض أمــير مكة اقطاعا بمصر والشام ، وتصدق

---

(١) كتب عنوان جانبى « حج السلطان الناصر بن قلاوون » .

(٢) القاضى عز الدين بن جماعة : هو قاضى القضاة الشافعى وكانت له مكانة كبيرة فى عهد السلطان الناصر بن قلاوون .

(٣) وقد فعل ذلك من قبل صلاح الدين الايوبى فى عام ٥٧٢ هـ ولكن يبدو أن أمراء مكة كانوا يعودون دائما لتحصيل هذه المكوس من الحجاج .

على أهل الحرمين ، بصدقات كثيرة ، وشكا اليه الناس انقطاع المـــاء من بركة خليص (١) وأن الحاج يجد مشقة لهـــا ، فدفع خمسة آلاف دينار لاجراء الماء من العين اليها ، وجعل ذلك مقررا لصاحب خليص فى نظير تقييده بذلك وخدمتها (٢) واجراء مائها •

وفى سنة احدى وعشرين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين أرغون الدوادار السابق ، وفيها حجت خوند شفا جارية الملك الناصر أم ولده ، وجعل لها أرغون المذكور ثمان عربات على عادة بلاد الترك، فأعجب السلطان ذلك ، فسافرت فيهـــا بالستائر المذهبة المرصعة ، والكاسات تدق وراءها ، وحملت معها الخضروات ، والبقول وســـائر الرياحين ، مزروعة بالأجانات فى الطين • ولم يعهد ســـفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها ويقال ان الســـلطان أنفق عليهـــا ثمانين ألف دينار وستمائة وثمانين ألف درهم ، سوى ما حمل (٣) لها من أمراء مصر والشام من الهدايا والتحف •

وفى ســـنة اثنتين وثلاث وعشرين وسبعمائة كان أمـــير الحاج بيبرس الدوادار (٤) أسقط عن الناس سائر المكوس المتعلقة بالمأكولات وعوض أمير مكة اقطاعا بمصر •

وفى سنةأربع وخمس وعشرين وسبعمائة كان أمير الحاج ايتمش

---

(١) عين خليص هى عين تقع بأرض خليص على طريق الحاج على مقربة من مكة المكرمة ، وقد جرت العادة بدفع مبلغ سنوى الى صاحب خليص ليجرى المـــاء من عير بها الى بركة يردها الحاج ، وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وصار الحاج يجد شدة من قلة المـــاء بخليص ، فأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠ هـ بدفع مبلغ خمســـة آلاف دينار لصاحب خليص سنويا ليجرى المـــاء الى البركة .

(٢) بالاصل « وخدتها » والصحيح ما أثبتناه لتستقيم العبارة .

(٣) بالأصل « ماحل » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) كتب عنوان جانبى « أبطل المكوس وعوض بدله » .
والداودار منصب هام فى الدولة المملوكية فهو حامل الدواة للسلطان عند كتابة المراسيم والمكاتبات .

المحمدى ، وفيها حج ملك التكرور (١) من مصر وصحبته خمسة عشر ألفا ، وحصل بينهم وبين صاحب مكة فتنة عظيمة بالمسجد الحرام ، وكان سلطانهم جالسا ببيته فى شباك مشرف على الحرم فأشار اليهم فكفوا عنهم القتال وامسكوا عن محاربتهم .

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة كان أمير الحاج أرغون الدوادار نائب السلطنة ، وفى سنة سبع وعشرين ، وسبعمائة كان أمير الحاج بهاء الدين أصلم وفيها حصل الحاج ستة ركوب ، فرحل أولهم سادس شوال وآخرهم حادى عشر شوال ، وخرج الامير فى مستهل العقدة .

وفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة كان أمير الحاج شهاب الدين أحمد بن المهمندار .

وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين

---

(١) بلاد التكرور تقع أقصى جنوب بلاد المغرب ، وهى جزء من اقليم غانة الحالى ، واسم ملكهم الذى حج من مصر سنة ٧٢٤ هـ هو منسا موسى، ومنسا بلغتهم معناها السلطان ، ومنسا موسى بن أبى بكر السابق كان ملكا صالحا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وقد عظمت المملكة فى أيامه ، وافتتح الكثير من البلاد ويقال انه لما قدم الى مصر سنة ٧٢٤ قدم معه من المغاربة والخدم عدد كبير ، وقدم للسلطان هدايا طظيمة ، وذهب كثير . فأوصى السلطان أمير الركب الامير ايتمش برعايته ، وقد سار ملك التكرور فى ركب خاص به مرافق للركب المصرى وكان هذا الملك ، مالكى المذهب ، وقد تأخر بمكة بعد الموسم أياما وربما أدت طول اقامته فى مكة وكثرة اتباعه الى اشتباكهم مع أهل مكة ، وقد هلك كثير من اتباعه وجماله بالبرد حتى لم يصل معه فى العودة الا نحو الثلث منهم ، وقد كان معه فى رحلته مائة حمل ذهبا أنفقها كلها واحتاج الى الاقتراض من تجار مصر ، فأقرضوه وعندما عاد الى بلاده رد اليهم ما اقترض وقد انعم عليه السلطان بخيول وجمال ، واشترى كثيرا من كتب فقه المالكية ، وقد تصدق فى الحرمين بمال كثير . عن ترجمة هذا الملك انظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٦ وما بعدها .

المقريزى : السلوك ج ٢ ص ١٤٥

الطواشى أمير مجلس ، وفى سنة ثلاثين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين خاص بك ، وفى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة كان أمير الحاج علاى الدين مغلطاى وتوفى فى رجوعه بعد النزول من العقبة فصيروه وحملوه الى مصر ، ودفن بها .

وفى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة كان أمير الحاج عز الدين أيدمر الخطيرى وفيها حج السلطان محمد بن قلاوون وهى الحجة الثالثة (١) ومعه أكابر وأمراء دولته وأعيان مملكته ، ومعه أيضا سبعون من علماء المذاهب الاربع ، وتلقاه الاشراف من الينبوع ، وعم بصدقاته أهل الحرمين وفيها أواخر الحجة نزلت صاعقة بأبى قبيس ، وقتلت رجلا وأخرى بالخيف وقتلت رجلين ، وأخرى بالجعرافة وقتلت رجلين أيضا مع كثرة الامطار عقب نزولها .

وفى سنة ثلاث الى سنة ست وثلاثين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين طنبغا المحمدى وفيها حصل للحجاج عطش شديد بالوجه(٢) مات منه نحو أربعمائة نفس وفيها حجت أم الحسن الحرة الكاملة أم سلطان فاس ، ومعها خلق كثيرون من المغاربة وكانت فى ركب بمفردها أمام المحمل وكان الرخاء فيها عاما فى سائر الاشياء .

وفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة كان أمير الحاج يشبك الناصرى وتصدق على الحجاج ، والمشاة بالكعك والماء ، وجعل لهم خيمة يستظلون فيها فى النزول ، وعم بصدقاته جميع أهل الحرمين وأرباب

---

(١) كتب عنوان جانبى « الحجة الثالثة للسلطان الناصر » .

(٢) الوجه : ميناء للحجاز ، على البحر الاحمر تبعد عن جدة شمالا بمسافة ٢٤٠ ميلا ، ومنه يتشعب الطريق الى ينبع جنوبا والى المدينة المنورة جنوبا شرقا ، وكان بها قلعة للحراسة ، وكان لقرية الوجه او ميناء الوجه أهمية كمحطة هامة على طريق الحج وكانت تنصب فيه الأسواق ، وتوزع فيه العوائد على العربان ، وقد حرفت كلمة « الوجه» الى « الوش » فوردت على هذه الصورة كثيرا فى مصادر القرن الثامن عشر من ذلك ما ذكره الجبرتى تاريخه ج ١ ، لم يخرج ملاقاة للحاج بالوش أو الأزلم ، وكذلك وردت فى أوضح الاشارات .

البيوت والمجاورين والاشراف ، ولم يترك بمكة والمدينة أحد حتى أسدى له معروفا ، وكان جملة ما فرقه بمكة المكرمة ثلاثين ألف دينار وأربعمائة دينار وفى المدينة مثل ذلك .

وفى سنة أربعين وسبعمائة كان أمير الحاج طنبغا الخضرى وخرج بالحاج فى أربع عشرى شوال ، حتى لا يطول مكث الحاج بمكة رفقا بأهلها وكانت (١) العادة أن يخرج فى سادس شوال ، واستمر الحاج يخرج كذلك الى القريب من هذا الزمان « ثم » (٢) صار يخــرج فى الثامن والعشرين (٣) .

وفى سنة احدى وأربعين الى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين أرغون السابق ، وفى سنة أربع الى سنة ست وأربعين وسبعمائة كان أمير الحاج البرقان ووقع بينه وبين شريف مكة فتنة عظيمة ، مات فيها خلق كثير . وكان الغلاء بمكة بيعت ويبة الشعير بدينار وويبة الدقيق بدينارين ونصف .

وفى سنة سبع الى سنة تسع وأربعين وسبعمائة كان أمير الحاج طقتمر الدوادار وفيها ارتفع سعر الفلفل بعد دخول الحاج مكة ، حتى أبيع الرطل بخمسة وأربعين نصفا ونزل السعر بعد خروجه منها حتى أبيع الرطل بخمسة أنصاف .

وفى سنة خمسين وسبعمائة كان أمير الحاج فارس الدين ، وفى سنة احدى وخمسين كان أمير الحاج سلار أمير سلاح ، وفى سنة اثنين وخمسين وسبعمائة ، كان أمير الحاج بكتمر شاه الدوادار ، وفى سنة

---

(١) بالأصل « وكان » والصحيح ما أثبتناه لتستقيم العبارة .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لوصل الجملتين .
(٣) يقصد المؤلف ظل الحاج يخرج فى ١٦ شوال حتى قرب القرن الثامن عشر ، أما فى هذا القرن فقد غدا الحاج يخرج فى أواخر شــوال كما أشرنا سابقا الا فى بعض الحالات الاستثنائية .

أربع وخمسين وسبعمائة كان أمير الحاج ركن الدين عمر الحاجب ، وفيها حج الخليفة المعتضد بالله أبو بكر العباسى (١) .

وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة كان أمير الحاج عز الدين ازدمر الخازندار ، وفيها انقض كوكب قدر رأس الهلال (٢) وهبت ريح من قبل اليمن ، أظلم منها الحرم ، وفشا منها المرض ، فى النـــاس ، حتى عمر جميع من كان بها لكنه كان سليما .

وفى سنة ست وسبع الى سنة احدى وستين وسبعمائة كان أمير الحاج ارغون أزكى ، وفى سنة اثنين وستين (٣) وثلاث وستين وسبعمائة كان أمير الحاج طيبغا الطويل أمير سلاح .

وفى سنة أربع وستين الى سبعين وسبعمائة كان أمير الحـــاج محمد بن كندس وفيها حج سلطان المغرب عبد الرحيم فى محمل كبير. وفى سنة احدى وسبعين الى سنة سبع وسبعين وسبعمائة كان أمـــير الحاج علاء الدين بن على التركمانى وأمـــره الملك الاشرف أن يتأخر عن الحاج لعمارة « باب الحرورة » بالمسجد الحرام ويعود بالحـــاج سابق الدين الطواشى مثقال مقدم المماليك فتأخر للعمارة ، وعاد مثقال المذكور بالحاج وفى سنة ثمان وسبعين الى سنة ثمانين وسبعمائة كان أمير الحاج بهادر الجمالى ، وفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة ، كان أمير الحاج أبا بكر بن سنقر الجمالى وتوفى بمنزلة عيون القصب (٤)

---

(١) حج الخليفة العباسى بشخصه ولم يتول امارة الحاج ، وهذا دليل على أنه لم يكن للخلفاء العباســيين فى مصر أية ســلطة ، فقــد استخدمهم السلاطين المماليك واستغلوا وجــودهم بمصر لاضفاء المهابة على حكمهم .

(٢) كتب عنوان جانبى « الكوكب » .

(٣) بالأصل « وثلاثين » وصحتها ما أثبتناه تمشيا مع سياق الجملة

(٤) عيون القصب : منزلة أو محطة فى طريق الحج المصرى ببلاد الحجاز بين العقبة والمويلح ، فى مكان يخرج فيه المـــاء بين جبلين فينبت حوله من القصب الفارسى وغيره شىء كثير ولهذا عرفت بعيون القصب. راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧١٠

ورجع بالحج الامير عبد الرحمن بن شيظى بغا الشمس ، وفى سنة سبع وثمانين وسبعمائة كان أمير الحاج أحمد بن الامير يلبغا الخاسكى ، وفيها حج أهل حلب بمحمل معهم على صفة المحامل ولم يعهد ذلك (١) قبلها .

وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة كان أمير الحاج اقبغا المارديني، وفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة كان أمير الحاج قرقماس الطشتمرى الخازندار ، وفيها بالرجعة أصاب الناس سيل فى نفرة حامد ووادى القباب ومات فيه خلق لا تحصى ، وتلفت أموال كثيرة .

وفى سنة تسعين وسبعمائة كان أمير الحاج أقبغا المـــاردينى ، وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج عبد الرحيم بن اقبغا الشمس .

وفى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، كان أمير الحاج عبد الرحيم بن اقبغا الشمس وأصاب الحاج بعجرود (٢) عطش شديد . بيعت فيه الشربة بمائة درهم ، ورجع عن الحج خلق كثـــير بسبب ذلك ، وأصابهم فى رجوعهم مشقات شديدة لسوء سيرته ، وفساد تدبيره .

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج أبا بكر بن سنقر الجمالى ، وحصل للحجاج ضرر كبير من عدم الامن ، وكثرة خطف الاموال بمكة ، وشدة الغلاء والوباء ، واشتدت الفتن ثم فرج فرج الله تعالى على الناس بالصدقات التى أرسلها السلطان برقوق من مصر وكانت من الحنطة الجيدة فتفرقها الناس وفيها تقدم الامام الحنفى على الامام المالكى بالمسجد الحرام فى الصلاة وقد كان المالكى

---

(١) يصور ذلك مدى تنافس البلاد الاسلامية فى تقديم الكســـوة للكعبة الشريفة .

(٢) عجرود : محطة من محطات الحج المصرى توجد جنوب غربى السويس على مسافة عشرين كيلومتر منها ، ومن هناك يرجع المريض والمنقطع والمشيعون .

وعند العقبة يعيد أمير الحاج تفقد الحجاج مرة أخرى حيث تحدث الاعادة الثانية للمنقطعين الذين لا يستطيعون اكمال رحلة الحاج .

يصلى قبله كما ذكر صاحب الاتحاف ، وفى سنة أربع وخمس وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج سيف الدين فارس بن قطلوا شاه ، وفى سنة ست وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج الامير قدير ، وفى سنة سبع وثمان وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج محمد بن الشمس وفيها حج أهل حلب (١) بمحمل معهم وهى المرة الثانية لذلك وفيها جعل طراز الكعبة من حرير أصفر ، وكان قبل ذلك أبيض وسيأتى أن السلطان سليمان ابن عثمان (٢) جعل بدله طراز مزركشا (٣) بالفضة المطلاة بالذهب وأن داود باشا (٤) زاد الفضة فى ثوب المحمل من المخيش ، وأبدل الرصافيات النحاس التى كانت به الفضة الخالصة ، وطلاها بالذهب ، وكذلك جعل أعلام المحمل من المخيش وأعلام المنبر الشريف النبوى ، وكانت قبل ذلك من الحرير الاسود والابيض ، فأبدلها بالمخيش المزركشى بالفضة المطلاة بالذهب .

وفى سنة تسع وتسعين وسبعمائة كان أمير الحاج ميسق الشيخى وكذلك فى سنة ثمانمائة .

وفى سنة احدى وثمانمائة كان أمير الحاج شيخ المحمودى ، وفيها حصل بالطريق مشقة شديدة ، من العطش ، وموت الرجال والجمال، وكثرة الموت بعد ذلك فجأة ، فكان الرجل يمشى بعد ما أكل وشرب ،

---

(١) كتب عنوان جانبى « محمل حلب » .

(٢) المقصود السلطان سليمان المشرع ابن السلطان سليم وقد اشتهر هذا السلطان بكثرة انعاماته لأهل الحرمين ، وكثرة انشاء الآثار بهما وتجديد وتعمير الكثير من مبانى الحرمين ، وحفر الآبار لتوفير المياه للحاج ولأهل الحرمين الشريفين .

(٣) كتب عنوان جانبى « تغيير طراز الكعبة » .

(٤) داود باشا : من أعظم الباشاوات العثمانيين فى مصر ، ومن أطولهم عهدا فقد تولى باشوية مصر لمدة احدى عشر سنة متصلة من ١٥٣٨ م — ١٥٤٩ م وقد اشتهر بالصلاح والتقوى وحبه للعلم والعلماء، وقد اهتم بتأمين طريق الحج بانشاء القلاع ، واقامة أحواض المياه ، واعداد البساتين ومحطات الراحة فى طريق الحج كما اهتم باعداد الكسوة الشريفة اعداد فخما .

فيرتعد ويموت ، أو يشرب ثم يرتعد ويموت ، أو يتنفس فيموت وهو جالس مع أصحابه .

و فى سنة اثنين وثمانمائة كان أمير الحاج ميسق الشيخى السابق، وفيها نزل بمكة سيل عظيم (١) حتى كان عمق المـاء فى المسجد الحرام فوق الخمسة أذرع ، ودخل الكعبة ، وعلا فوق عتبتها أكثر من ذراع، وهدم عمودين من المسجد الحرام بما عليهما ، وهدم دورا كثيرة ، ومات بالهدم خلق كثير .

وفى سنة ثلاث وثمانمائة كان أمير الحاج الامير قطلو بك العلاى وفى سنة أربع وثمانمائة كان أمير الحاج بكباى الازدمرى أحد أمراء الطبلخانات ، وفى سنة خمس وثمانمائة كان أمير الحاج أزبك الرفضانى، وكان بمكة غلاء شديد ، وفى سنة ست وثمانمائة كان أمير الحاج طولون الناصرى ، وفى سنة سبع وثمانمائة كان أمير الحاج كوزل العجمى ، وفى هذه السنة عمرت المقامات الثلاث الشافعى ، والمالكى ، والحنبلى بالمسجد الحرام ، وفى سنة ثمان وتسع وثمانمائة ، كان أمير الحـاج شهاب الدين أحمد بن الامير جمال الدين الاستادار ، وفى سنة عشرة وثمانمائة كان أمير الحاج ميسق الشيخى السابق ، وفى سنة احدى وعشر وثمانمائة ، كان أمير الحاج شـهاب الدين أحمـد بن الامير جمال الدين الاستادار وصرف والده على هذه الحجة أربعين ألف دينار من ماله .

وفى سنة اثنى عشر الى سنة أربعة عشر وثمانمائة كان أمير الحاج ميسـق السـابق .

وفى سنة خمسة عشر ، وستة عشر وثمانمائة كان أمير الحـاج المظفر بن جقمق المؤيدى .

وفى سنة ثمانية عشر وثمانمائة كان أمير الحاج يشبك الدوادار

---

(١) كتب عنوان جانبى « سيل » .

الصغير ، وفى سنة تسعة عشر وثمانمائة كان أمير الحاج ازدمر شاه ، وفى سنة عشرين وثمانمائة كان أمير الحاج يشبك الدوادار وفيها بعد زيارة المدينة (١) هرب أمير الحاج المذكور مع الركب الشامى خوفا من السلطان (٢) أن يصيبه ما أصاب أقباى نائب الشام ، ورجع الحاج بلا أمير .

وفى سنة احدى وعشرين وثمانمائة كان أمير الحاج الامير جلبان أمير آخور ، وفى سنة اثنين وعشرين وثمانمائة كان أمير الحاج تاج الرومى ، وكان بمكة غلاء عظيم (٣) حتى أكل الناس القطط وبعدها أكل بعضهم بعضا ، وخاف الناس من الخروج الى ظاهر المدينة أن يؤكلوا ، وهلك الفقراء وافتقر الاغنياء ، وعدمت الاقوات حتى وصلت الغرارة خمسة وعشرين دينارا من الذهب الفرنجى .

وفى سنة ثلاث وأربع وعشرين وثمانمائة ، كان أمير الحاج عزباى اليوسفى الالفى ، وسار فى الناس سيرا حسنا ، وحمدت الحجاج سيرته ، وشكرت حالته ، وفى سنة خمس وست وعشرين وثمانمائة ، كان أمير الحاج ياقوت الطواشى مقدم المماليك ، وحصل فيها مشقة من كثرة الامطار المتواترة الخارجة عن الحد ، والسيال الهائلة مدة أربعين يوما مع غلاء الاسعار ، حتى أبيع الحمل الدقيق بخمسة وأربعين دينار، وكثر موت الجمال ، ومشى النساء والصغار من أجل ذلك ، واشتد الحر ثم اشتد البرد (٤) ومع ذلك تزايدت الفتن والخوف فى الحج ، وفيها أزيلت كسوة الناصر حسن من داخل الكعبة بكسوة الاشرف برسباى ، جهزها على يد الامير عبد الباسط ، ناظر الجيوش ، وفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة كان أمير الحاج قرا سنقر كاسف الفيوم وحصل بمكة سيل (٥) دخل المسجد الحرام ، حتى قارب الحجر الاسود،

---

(١) بالأصل « المد » وصحتها ما أثبتناه .
(٢) كتب عنوان جانبى « هروب أمير الحج » .
(٣) كتب عنوان جانبى « غلاء بمكة » .
(٤) كتبعنوان جانبى « أمطار وسيول وبرد وحر » .
(٥) كتب عنوان جانبى « سيل » .

وكان بها وباء عظيم ، وزاد على العادة حتى بلغ الموتى فى مكة فى كل يوم فوق الالفين ممن يعرفون ، غير من يدخل من البادية ميتا .

وفى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة كان أمير الحاج تغردى بردى المحمودى وفيها أرسل صاحب مصر عمال المكس لجدة حين بلغه وصول مراكب الهند اليها (١) لأخذ العشور منها * وكانت خمسة وعشرين مركبا وأخذوا مكوسها فبلغ ما يزيد على سبعين ألف دينار وحملت لخزينة مصر « من » (٢) جدة ثم نزلوا بركة الحاج عند قدوم الحاج وأخذوا مكوس ما مع الحجاج حتى الهدية ، وفتشوا سائر أسباب الحجاج (٣) حتى أخذوا من المرأة الفقير على النطع الذى معها عشرة دراهم فلوس نحاس (٤) .

وفى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، كان أمير الحاج شرباش صاحب الحجاب ، وفى سنة ثلاثين الى خمس وثلاثين وثمانمائة كان أمير الحاج قراسنقر كاشف الجيزة وفيها وقع من الغرائب ، اجهار النداء بعرفات لجميع الناس أن كل من اشترى بضاعة للتجارة (٥) وسافر بها مع غير الركب المصرى حل دمه وماله للسلطان ، فسافر الناس من جميع الاقطار صحبة الركب المصرى ، ودفعوا مكوسها ثم سافروا بعد ذلك لبلادهم من الشام وغيرها ، ودفعوا المكوس ثانيا بها ، وفعل كذلك فى السنة التى بعدها فحل بالناس (٦) من الجهد واتلاف المال والعسف فى السير (٧) ما لم يحصل « من قبل » (٨)

---

(١) كتب عنوان جانبى « ورود مراكب الهند » .

* أى عشر ثمن البضائع الواردة والعشور هى الضريبة المقرر شرعا تحصيلها على التجارة .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم الجملة .

(٣) أسباب الحجاج أى أمتعتهم .

(٤) كتب عنوان جانبى « انشاء الظلم فى المكوس » .

(٥) بالأصل « للتجر » وصحتها ما أثبتناه .

(٦) بالأصل « الناس » وأضفنا الباء لأنه الأصوب .

(٧) قدم وأخر .

(٨) أضفنا ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

وأصحاب الحجاج فى بعض هذه السنين عطش بالأزلام والينبوع مات فيه فوق الخمسة آلاف نفس وفيها أرسل السلطان الاشرف برسباى الحفارين (١) والآلات والخدمة لاصلاح المياه التى بالطريق وبناء الآبار فى المنقطعات التى لا ماء بها .

وفى سنة ست وثلاثين وثمانمائة كان أمير الحاج اينال السيباى وفيها جدد الامير سودون المحمدى مقام الحنفية بالمسجد الحرام ، وجعل عليه قبة من خشب بيضاء (٢) وفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كان أمير الحاج قرا سنقر السابق وحصل بمكة سيل (٣) حتى بلغ باب الكعبة (٤) وأمطار حتى تلف (٥) سقف الكعبة وابتلت الكسوة من داخلها وأسفلها وامتلأت القناديل وحصل بعده وباء كبير .

---

(١) بالأصل الحجازين وصحتها ما أثبتناه .

(٢) بالأصل « بيضة » والأصوب ما اثبتناه .

(٣) كتب عنوان جانبى « سيل » .

(٤) الكعبة : بناها سيدنا ابراهيم على شكل مربع زواياه الى الجهات الأربع لكيلا يؤثر ضغط الرياح على كتلتها ثم بنتها العماليق ثم جرهم كما ذكر الازرقى ولما آل البيت الى قصى بن كلاب فى القرن الثانى قبل الهجرة ، هدمها وبناها ، فأحكم بناءها وسقفها بخشب الدوم، وجذوع النخل ، وبنى بجانبها دار الندوة ، وهى أول بناء بعد الكعبة فى مكة ، وكانت بها حكومته ومحل الشورى مع أصحابه ، ثم قسم جهات البيت العظيم بين طوائف قريش ، فبنوا دورهم على المطاف حول الكعبة وقبل بعثة النبى محمد عليه السلام بنحو خمس سنوات ، هدم سيل الكعبة فبنتها قريش ، فلما ولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى عهد يزيد بن معاوية وحاربه يزيد التجأ الى البيت الحرام ، فهدمت الكعبة أثناء حصاره ومحاربته فبناها ابن الزبير على قواعد ابراهيم ، وادخل الحجر فى البيت وذلك فى عام ٦٤ هـ ، ولما حاصره الحجاج تهدم جزء من الكعبة مرة أخرى فى عام ٧٣ هـ وأعاد الحجاج بناءها كما كان فى عهد الرسول أى على قواعد قريش فأصبحت الكعبة على بناء ابن الزبير من جوانبها الشرقى والغربى والجنوبى وبناء الحجاج من جانبها الشمالى ثم طرأت عليها بعض التعميرات والترميمات فى عهد السلطان سليمان سنة ٩٦٠ هـ والسلطان أحمد سنة ١٠٢١ هـ ثم أعقب ذلك العمارة التى قام بها السلطان مراد الرابع عقب السيل الهائل الذى وقع سنة ١٠٣٩هـ

(٥) بالأصل « دلف » وصحتها ما أثبتناه .

وفى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة كان أمير الحاج تمرباى الدوادار وفيها حجت خوند بنت الملك الظاهر جقمق زوجة الملك الاشرف برسباى، ورفع سقف الكعبة على يد الامير سودون المحمدى شاد العمائر ، وعمر أيضا سقف المسجد الحرام ورمم الشادروان والحجر .

وفى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة كان أمير الحاج طوخ نمازى أحد أمراء الطبلخانات [١] .

وفى سنة أربعين وثمانمائة كان أمير الحاج خليل الخياط نائب الاسكندرية ، وفيها وصل مرسوم لامير مكة السيد بركات بأن الحضرة السلطانية ، أنعمت عليه بنصف عشور المراكب الهندية .

وفى سنةواحد وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج أقبغا الناصرى التركمانى وفيها تونى الملك الاشرف برسباى وفيها بعد الأزلم [٢] نزلت عربان على الحاج نهبوا منه فوق ثلاثة آلاف جمل بأحمالها من الذهب والفضة ، والنحاس والاقمشة والبضائع [٣] وقتل من الحجاج خلق كثير وتفرق باقيهم فى البر والبحر ، وتخلف بالبادية خلائق لا تحصى، ومات بذلك عدد كبير من الحجا ج، ولم تقع واقعة أقبح من هذه لاهمال ولاة الامور ، وطمع أنفسهم فى عوائد العربان ، وما انتطح فيها عنزان .

فى سنة اثنين وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج تنبك صاحب الحجاب ، وفى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج شاد بك، وفيها حصل للحجاج فى رجوعه حرسموم مات فيه خلق وجمال لا تحصى، وألقى الناس أحمالهم لعدم الجمال ، ونالهم مشقة شديدة ، وفى سنة

---

(١) أمراء الطبلخانات : مفردها أمير طبلخانة أى تدق له الطبول فى موكبه ، ومنها اشتق لفظ صنجق طبلخانة أى أمير يحمل رتبة الصنجقية وله الحق فى أن تدق له الطبول فى موكبه .

(٢) الأزلم : احدى منازل أو محطات الحج المصرىوتقع الى الجنوب من العقبة . وفيها أقيمت قلعة لتوفير الحماية لقافلة الحاج .

(٣) كتب عنوان جانبى « نزول عرب على الحج ونهبوا وقتلوا ».

أربع وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج عزباى الدوادار ، وفى سنة خمس وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج تغرى برمش الشبيكى ، وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج تنبك البرديكى الظاهرى برقوق صاحب الحجاب ، وفى سنة سبع وأربعين كان أمير الحاج شاد بك السابق ، وفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج تمرباى التمر بغاوى ، وفى سنة تسع وأربعين وثمانمائة كان أمير الحاج دولتباى المحمودى المؤيدى الدوادار ، وفى سنة خمسين وثمانمائة كان أمير الحاج كتبغا الناصرى . أحد الامراء العشراوات ، وفى سنة احدى وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج تنبك البرديكى السابق . وفى سنة اثنين وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج سنجر اليونسى ، وفى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج تمربغا ، وفى سنة أربع وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج الطواشى فيروز الزمام ، وفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج سنجفا ، وفى سنة ست وخمسين كان أمير الحاج دولتباى المحمودى المؤيدى الدوادار السابق. وفيها أمر السلطان الظاهر جقمق باخراج ما فى جوف الكعبة من كسوة الاشرف برسباى وغيرها ، وابقاء كسوته التى أرسلها .

وفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وثمان وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج جانى بك الظريف الدوادار وفى أولها توفى السلطان جقمق، وتوفى بعده ولده عثمان وكان أمير الحاج المذكور ، حديث السن ، وفيه خفة وطيش ، وعدم معرفة ، وشمم كبير وغلظة [1] ولاقى الحجاج شدائد لا تحصى وعطفت العربان حتى أخذت ركب الكاررة [2] جميعا، وكانوا فى غاية من الكثرة ، ولم يرجع أحد منهم ، وخطفوا غالب المغاربة، واتفق لهم موت الجمال .

---

(١) بالأصل « وغلظ » وصحتها ما اثبتناه .

(٢) ركب الكاررة المقصود به الجماعة المختصين بحمل مؤن وأطعمة أمير الحاج وركبه .

وفى سنة تسع وخمسين وثمانمائة كان أمير الحاج برد بك البشمقدار وحصل بمكة سيل عظيم •

وفى سنة ستين وثمان مائة كان أمير الحاج قراجا التاجر ووقع بالمزدلفة مطر عظيم ، وبه برد كل قطعة قدر البيضة (١) •

وفى سنة احدى وستين وثمانمائة كان أمير الحاج الامير أحمد بن السلطان الاشرف اينال •

وفى سنة اثنين وستين وثمانمائة كان أمير الحاج الاشرف برسباى البجاس ، وفى سنة ثلاث وستين وثمانمائة كان أمير الحاج برد بك الدوادار السابق ، وفى سنة أربع وستين وثمانمائة كان أمير الحاج عزباى ططر المؤيدى ، وفى سنة خمس وستين وثمانمائة كان أمير الحاج بغلباى طاز ووقع فيها بمكة سيل حتى علا على الكعبة ، نصف ذراع ، وعلى حافة زمزم ذراع ، وفيها توفى الملك الاشرف اينال السابق •

وفى سنة ستوستين وثمانمائة كان أمير الحاج برد بك البشمقدار السابق ، وفى سنة سبع وستين وثمانمائة كان أمير الحاج برد بك هجين الظاهرى وفيها وقع بمكة سيل حتى علا على باب الكعبة ، وتخطى أخشاب القناديل بالمطاف ، وخرج من باب العمرة ، وهدم دورا كثيرة من جهة المعلا وسوق الليل •

وفى سنة ثمان وستين وثمانمائة كان أمير الحاج أحمد بن الامير عبد الرحيم بن القاضى بدر الدين العينى الحنفى وفيها حجت صحبته جدته لأمه خوند الاحمدية زوجة السلطان خشقدم ، وفى سنة تسع وستين وثمانمائة كان أمير الحاج بعيس ، وفى سنة سبعين وثمانين كان أمير الحاج خاير بك الخازندار وفيها عمرت فسقية (٢) الحاج

---

(١) كتب عنوان جانبى « نزول البرد قدر البيض » .

(٢) الفسقية : (الجمع فساقى) حوض تجتمع فيه المياه أو هى مجمع المياه .

انظر : الخفاجى : شفاء الغليل ص ١٧٣

Dozy : Supp. Dict. Arah :

الصغرى بالمعلاة ، وفى سنة احدى وسبعين وثمانمائة كان أمير الحاج فائق وفيها حج القاضى أبو بكر بن مزهر وصحبته جمع من العلماء المصنفين ، والافاضل الراسخين ، وقضاة المذاهب الاربع ، من كل مذهب جماعة ، ومن الاطباء والقراء ، والمفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء والاصوليين وغير ذلك من أرباب العلوم ما يزيد على مائة عالم ومن الشهود ، والمباشرين ما يزيد على عشرين فاضلا ، وفيها وقف رباطه الذى عمره بمكة المشرفة ، وكان متواضعا يمشى وحده ويحمل سجادته بنفسه مع كثرة خدمة وأتباعه (١) .

وفى سنة اثنين وسبعين وثمانمائة كان أمير الحاج تنبك ، وفيها تولى مصر خمس سلاطين ، وذلك لموت السلطان خشقدم ، ثم تولى باتفاق أحل الحل والعقد الاشرف قايتباى ولقب بالملك الاشرف أبى النصر (٢) .

وفى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة كان أمير الحاج يشبك جن وفيها عمر مسجد الخيف على حالته التى هو عليها الآن (٣) ومسجد نمرة بعرفة ، ورمم المشعر الحرام ، وعمرت عين خليص بعد هدمها ، وفى سنة أربع ، وخمس وثمانمائة كان أمير الحاج يشبك الجمالى السابق .

وفى سنة ست وسبعين كان أمير الحاج برسباى الاشرفى الشاد وفى سنة ثمان وتسع وسبعين كان أمير الحاج جانى بك الدوادار ، وفيها وصل منبر للمسجد الحرام .

---

(١) كانت العادة المتبعة منذ العصر المملوكى أن يحج كبار العلماء ومعهم جماعة العلماء ، وربما كان مؤلف هذا الكتاب الشيخ أحمد الرشيدى قد حج صحبة أحد هؤلاء العلماء فى القرن الثامن عشر كما أوضح فى مقدمته وواضح من عرضه هنا معرفته التامة بفئات العلماء .

(٢) عن ترجمة السلطان الاشرف قايتباى وأعماله أنظر ابن اياس ج ٣ ص ٣ وما بعدها .

(٣) الى الآن أى الى زمن المؤلف فى القرن الثامن عشر .

وفى سنة ثمانين وثمانمائة كان أمير الحاج الشريف لاجين أمير مجلس ، وفى سنة احدى وثمانين كان أمير الحاج تنبك الجمالى ، وفى سنة اثنين وثمانين وثمانمائة كان أمير الحاج قجماس الظاهرى أمير أخور ، وفيها كسى السلطان الكعبة الشريفة من داخلها وكان بمكة غلاء شديد •

وفى سنة أربع ، وثمانين وثمانمائة كان أمير الحاج خشقدم الزمام وفيها حج السلطان قايتباى وأكثر من الصدقات على أهل الحرمين وكان له موكب عظيم عند الدخول والخروج (١) •

وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة كان أمير الحاج تغرى بردى من ططر وفيها أنعم السلطان على شريف مكة بجميع عشور اليمن بعد أن كان أخذ منه النصف من ذلك •

وفى سنة ست وثمانين كان أمير الحاج يشبك منحيدر الجمالى ، وفى سنة سبع وثمانين كان أمير الحاج أزبك الخازندار • وفيها وقع بمكة سيل عظيم ، حتى دخل الكعبة وصار بها قامة ، وذهب بمنبر الخطيب الى جهة باب ابراهيم وتهدمت دور كثيرة ومات فيه خلق كثير، وحصل للحجاج فى عودهم مشقات شديدة من شدة البرد ، وموت الجمال وغلاء الاسعار ، ولما دخلوا الى مصر وجدوا الغلا كذلك واقعا فى سائر الحبوب •

وفى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة كان أمير الحاج ازدمر أحد مقدمين الالوف ، وفيها حجت بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكانت سنة مباركة لم يحصل (٢) لأحد فيها تشويش ولا مشقة، مع كثرة الركب ، وفيها حج القاضى أبو البقاء بن الجيعان ، وحصل له بمكة عظمة وجلالة ونزل بمدرسة السلطان قايتباى ، ومنع السلطان

---

(١) عن حج السلطان قايتباى وانعاماته بالحرمين ومواكبه فى هذا الحج انظر ابن اياس : ج ٣ من ص ١٥٩ — ١٦٤

(٢) بالأصل « لا يحصل » وصحتها ما أثبتناه .

التكرور (١) من نزولها لأجله • وفى سنة تسعين وثمانمائة كان أمير الحاج أزدمر ، وفى سنة احدى واثنين وتسعين وثمانمائة كان أمير الحاج أزدمر تمساح •

وفى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة كان أمير الحاج جان بلاط ، وفى سنة أربع وتسعين وثمانمائة الى سنة ستة وتسعين وثمانمائة كان أمير الحاج أزدمر تمساح السابق • وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة كان أمير الحاج قانصوة خمسمائة ، وفى سنة ثمان وتسعين وتسع وتسعين وثمانمائة وكان أمير الحاج اينال الفقية الصوفى •

وفى سنة تسعمائة كان أمير الحاج الظاهرى من تنبك الجمالى، وفى سنة احدى وتسعمائة كان أمير الحاج قانى بك أمير مجلس ، وفى سنة اثنين وتسعمائة كان أمير الحاج كرتباى من تمراز •

وفى سنة ثلاث وتسعمائة كان أمير الحاج تنبك الجمالى ، وفى سنة أربع وتسعمائة كان أمير الحاج قرقماس من ولى الدين ، وفى سنة خمس وتسعمائة كان أمير الحاج قانصوة المحمدى أمير مجلس •

وفى سنة ست وتسعمائة كان أمير الحاج سودون من جانى بك العجمى ، وفى سنة سبع وتسعمائة ، كان أمير الحاج قيت الرجبى أتابك العسكر (٢) ، وفى سنة تسع وتسعمائة كان أمير الحاج أنسباى ، وفى سنة عشرة وتسعمائة كان أمير الحاج قانباى أمير آخور ، وفى سنة احدى عشر وتسعمائة لم يحج أحد من مصر وانما عين السلطان الامير خاير بك السيفى اينال الاشقر كاشف الغربية باش على العساكر التى جهزها السلطان للعربان ، الذين كانوا قد اجتمعوا من سائر الاطراف لقطع الطريق على الحجاج (٣) فلم يحج أحد خوفا منهم وانما خرج

---

(١) التكرور أى وفد بلاد التكرور وقد سمى شعبها باسم أرضه. وتقع بلاد التكرور فى أقصى جنوب المغرب وهى جزء من اقليم غانة الحالى

(٢) كتب عنوان جانبى « وفى سنة ثمان وتسعمائة كان أمير الحاج اصطمر من ولى الدين » •

(٣) بالأصل « الحجار » وصحتها الحجاج .

انعســكر بالتجريدة (١) على العربان ، وذهبت الكسوة الشريفة من البحــر (٢) •

وفى سنة اثنى عشر خرج الامير خاير بك كذلك فكان معه فرقة كبيرة ، من الامراء والعساكر لقتل يحيى ابن سبع أمير الينبوع وتمكين دراج من ذلك وقتل الاعــراب الذين جمعهم ، وفى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كان أمير الحاج طراباى رأس نوبة النوب ، وفى سنة أربعة عشر وتسعمائة كان أمير الحاج ماماى جوش • وفى سنة خمسة عشر كان أمير الحاج طقطباى الاشرفى من قايتباى •

وفى سنة ستة عشر كان أمير الحاج قانصوة ابن سلطان جركس أحد المقــدمين •

وفى سنة سبعة عشر كان أمير الحاج طومان باى الدوادار ابن أخى السلطان الغورى ، وفى سنة ثمانية عشر كان أمير الحاج تمــر الحسينى الزردكاش ، وفى سنة تسعة عشر كان أمير الحاج قانصوة كرت أحد المقدمين ، وفى سنة عشرين وتسعمائة كان أمير الحاج طقطباى السابق ، وفيها حج ابن السلطان الغورى مع والدته وجهزهم السلطان تجهيزا يليق بالملوك (٣) ، وفى سنة احدى وعشرين وتسعمائة كان أمير الحاج علان الاشرفى •

وفى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة لم يخرج من القاهرة حج ولا أمير لموت السلطان الغورى بعد كسوته وانهزامه (٤) مع عساكره

---

(١) بالأصل « بالتحرير » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) كانت العادة الجارية أن ترسل كسوة الكعبة من البر مــع قافلة الحاج ولا ترسل بحرا الا فى حالة اضطراب الطريق البرى فترسل من البحر الأحمر .

(٣) عن موكب الحاج فى هذا العام راجع ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٤) لم يخرج الحج فى هذه السنة لا من الشام ولا من مصر راجع محمد بن طــولون : مفاكهة الخــلان فى حــوادث الزمان ص ٣٨ وما بعدها .
ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ١١٥

بمرج دابغ من أعمال حلب على يد السلطان سليم بن عثمان ، وفوضت السلطنة باتفاق الامراء لطوماى باى ابن أخى السلطان الغـورى يوم الجمعة رابع عشرى رمضان المعظم سنة اثنين وعشرين وتسعمائة، وكثرت الاراجيف بوصول السلطان ســليم خان الملك المظفر المؤيد ابن عثمان للقاهرة واشتغال الناس بعضهم ببعض • وجهزت الكسوة الشريفة من البحر صحبة الطواشى الكبير •

ودخل السلطان سليم القاهرة على حين غفلة بعد وقعة لطيفة بالريدانية لم يثبت بها أحد من الجراكسة صحبته يوم الخميس سلخ ذى الحجة الحرام سنة تاريخه • وخطب لمولانا السلطان سليم على المنابر يوم الجمعة مستهل محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان الخطيب فى ذلك للسلطان سليم الشيخ محب الدين الطوخى فأقام بمصر بعد استقرار الملك له ، وشنق طوماى باى بباب زويلة الى ثانى عشرى شهر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وتوجه الى المملكة الرومية ، وأقام مقامه فى الملك خاير بك من طائفـة الجراكسة ، وقدمه فى ذلك على غيره من الاورام لأنه كان قد باطن معه على السلطان الغورى وكان السلطان سليم وعده بذلك فأنجز له الوعد، وعين لامارة الحاج من البر بالمحمل الشريف فى السنة المذكورة القاضى علاء الدين بن الامام ناظر الخواص وكان الركب قليلا جدا وهو أول أمير ولى امارة الحاج فى الدولة العثمانية ، وأول من جعل الحاج قافلة واحدة (١) ، وأميرها واحد بعد أن كان فى مدة دولة الجراكسة قافلتين قافلة فى شهر رجب وأميرها معها ، ويقال لها الرجبية ، والاخرى فى شوال وأميرها معها فأبطل ذلك وجعل الحاج كله ركبا واحدا يخـرج صحبة أميره (٢) • واستمر على هذه الحالة •

---

(١) أى أن جميع الحجاج يخرجون مع قافلة المحمل وأمير الحاج وقد كان الأمر قبل ذلك مختلف اذ كان الحجاج يخرجون فى عدة قوافل.

(٢) نلاحظ أن الأميرين اللذين توليا امارة الحاج فى عام (٩٢٣ هـ، ٩٢٤ هـ — (١٥١٧ م ، ١٥١٨ م) لم يكونا من المماليك ولما يكونا أيضا من العثمانيين بل كانا موظفين سابقين فى السلطنة المملوكية .

من العثمانيين بل كانا موظفين سابقين فى السلطنة المملوكية =

وفى سنة أربع وعشرين وتسعمائة كان أمير الحاج القاضى بركات ابن موسى ناظر الحسبة الشريفة وهو ثانى متعمم ولى امارة فى الدولة العثمانية وفيها كان ابتداء تعيين الملاقات الازلمية (١) فى الدولة العثمانية أبقاها الله تعالى آمين •

وفى سنة خمس وعشرين وتسعمائة كان أمير الحاج الامير برسباى الجركسى دوادار ملك الامراء جانى بيك وهو أول تركى ولى امارة الحاج فى الدولة العثمانية •

وفى سنة ست الى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان أمير الحاج جانم بن دولتباى كاشف الجسور باقليم الفيوم والبهنسا وأحد الامراء الجراكسة ، وكان شجاعا كريما واسع الأخلاق سفاكا للدماء وكانت خيمته المخصوصة به وملبوسه حمراء على لون الدم الاحمر ، وقد سار بالركب أحسن السير من كرم الاخلاق وسعة الارزاق والتوسع فى سائر أموره ، وكان فى مأكله ومشربه كالملوك ويواسى بمعروفه جميع ذوى البيوت ، والامراء والاعيان الذين بالركب ، ويواسيهم بهداياه ، وتفقداته واحساناته وفيها توفى السلطان سليم وولى بعده ولده السلطان سليمان صاحب العز والرفعة والايمان والامان ، وكانت أيامه فى غاية الحسن والاسعاد والعدل والانصاف والامداد •

= ولكن فى السنوات التالية يبدو الاهتمام واضحا باختيار أمير الحاج من الأمراء المماليك الذين يمكنهم حماية قافلة الحاج ، وخاصة بعدما واجهت قافلة الحاج اعتداء العربان عليهم فى سنة ٩٢٦ هـ بالقرب من الأزلم بزعامة سلامة بن فواز وقد أدى ذلك الى تزويد أمير الحاج بجند وقوة عسكرية تصحبه فى رحلة الحاج ابتداء من عام ٩٢٧ هـ .

(١) الملاقات الأزلمية :
أى البعثة التى تخرج لملاقاة الحجاج فى طريق العودة فى الأزلم والعقبة ويعرف رئيس هذه البعثة بالأزلم باشى ، وعادة يكون أحد كشاف اقليم الشرقية ، ويصحبه حرس من الانكشارية والشراكسة وذلك لحراسة قافلته والاشتراك مع الجند المرافقين لأمير الحاج فى حراسة قافلة الحاج فى العودة ، وتحمل بعثة الأزلم باشى ، المؤن من جبن وبصل وبقسماط وزيت ، وشعير ، وحلوى ، ومربات ، وشراب ، وحبال =

وفى سنة تسع وعشرين وتسعمائة كان أمير الحاج فارس من أزدمر الجركس كاشف البحيرة ، وكان ضيق النفس ، شحيحا صعب الاخــلاق •

وفى سنة ثلاثين واحدى وثلاثين وتسعمائة (١) كان أمير الحاج جانم الحمزاوى ، وكان والده أمير الحاج بحلب فيما يقال وتجمل فى حجة وصرف فوق الثلاثين ألف دينار من الذهب المصرى •

وفيها حصل للحاج فى الرجعة بالوجه عطش شديد ومات من الرجال والجمال عدد لا يحصى •

وفيها كانت بمصر حوادث شنيعة منها عصيان أحمد باشا وزير مصر على السلطنة (٢) ، وتغلبه على مصر ، وانفراده بها ، ودعواه بســلطنتها لنفسه واخراجهــا عن آل عثمــان ، وقتله أعيان أمرائها وعســاكرها واليكجرية ونهب أموال المســلمين والجور والاعساف ، وترادف البلايا على الرعايا من الغلاء فى سائر الاسعار ، وانقطــاع الجالبين للأقوات وغيرها فى تلك المدة ، والمجازفة فى الاحكام ، حتى قتل وصلحت الاحوال ، واستقامت وحصل الفرج عن أهل مصر بقتله

= وملابس ، لامداد الحجاج فى طريق عودتهم الى القاهرة بهذه الأشياء خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفــذ ، وقد خصص للأزلم باشى مبلغ خاص يصرف له سنويا من خزينة مصر لمساعدته على أداء مهمته .

(١) أى فى سنة ١٥٢٣ م ، ١٥٢٤ م .
عن ترجمة الامير جانم الحمزاوى راجع ابن اياس : بدائــع الزهور ج ٥

(٢) أحمد باشا هو ثانى الباشاوات العثمانيين الذين حكموا مصر وقد لقب بالخائن لتمرده على السلطنة ومحاولته الاستقلال بمصر ، ومدة حكمــه من (٩٢٩ هـ — ٩٣٠ هـ) — (١٥٢٣ — ١٥٢٤ م) وقد ادعى السلطنة وأمر أن يخطب باسمه على المنابر ، وضربت باسمه السكة على الدراهم والدنانير وصادر الناس فى أموالهم واستطاع التغلب على حامية القلعة وقد انتهى أمره بخيانة أحد أصدقائه من المماليك الذى تمكن مــع زملائه من قتله والقضاء على تمرده .

وفيها قدم الوزير ابراهيم باشا الى الديار المصرية ، وأخمد نيران الفتنة الحاصلة بسبب أحمد باشا الخارجى المذكور [١] .

وفى سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة كان أمير الحاج سنان باشا سيواس سابقا [٢] وصل من الديار الرومية وكان شيخا كبيرا كثير المال، وكان وزير مصر يومئذ [٣] ينزل لزيارته فى بيته بخط عبد الباسط ويتجمل معه ويخابره ويخصه بأنواع الهدايا .

وفى سنة ثلاث وأربع وثلاثين وتسعمائة كان أمير الحاج تنم بن مغلباى ناظر الدشايش الشريفة [٤] وكان معتقدا فى أموره وأصاب الحج فيها حر شديد وسموم وعطش ومشاق ، ومات خلق كثيرون خصوصا من الفقراء والمشاة ونهب غيرهم .

وفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة كان أمير الحاج الامير على ابن أخت سليمان باشا [٥] وكانت سنة شديدة الحر وصلت فيها الشربة الماء الى دينار ذهب .

وفى سنة ستوثلاثين وتسعمائة [٦] كان أمير الحاج الامير الاعظم

---

(١) كان السلطان سليمان عندما علم بثورة أحمد باشا قد قرر ارسال قوات عثمانية الى مصر بقيادة صهره الصدر الاعظم ابراهيم باشا للقضاء على الثورة وتوطيد السلطة العثمانية فى مصر وتنظيم الادارة بها وفى الطريق على ابراهيم باشا باخماد ثورة أحمد باشا ولكنه استمر فى طريقه الى مصر لانجاز القسم الثانى من مهمته . عن أعمال ابراهيم باشا بمصر راجع .

د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٢) أى فى سنة ١٥٢٥ م ونلاحظ فى السنوات الأولى من الحكم العثمانى فى مصر كثرة من تولوا منصب أمير الحاج من العثمانيين .

(٣) هو الوزير سليمان باشا الخادم الذى تولى باشوية مصر من (٩٣١ هـ — ٩٤١ هـ — ١٥٢٥ م — ١٥٣٥ م) .

(٤) أى فى سنة ١٥٢٦ م ، ١٥٢٧ م .

والدشايش الشريفة: هى أوقاف دشيشة كبرى ، ودشيشة صغرى وهى من أوقاف السلاطين المماليك ، والدشيشة قمح مجروش يرسل لأهالى الحرمين .

(٥) أى فى سنة ١٥٢٨ م .

(٦) أى فى سنة ١٥٢٩ م .

الجمالى يوسف ابن الامير جانم الحمزاوى وكان شجاعا كويما ، شريف النفس فمن شجاعته رحمة الله أنه ركب يوما فرسه وحوله جماعة معدودون من الشجعان ، فراهنهم على أن كل من زحزحة عن الركاب يكون له خمسة دنانير ، فعالجوا ذلك واحدا بعد واحد فلم يقدر واحد منهم على ذلك ، وناظر والده فى كرمه واحسانه وعموم خيراته وزيادة معروفه ، وبذل صدقاته وفاق والده فى ذلك ، وأحسن السير فى الحجاج، ووسع عليهم بما صحبه معه من الازواد والحبوب ، وما منع من أحد مطلوبا وفيه قال القائل .

وسع الحجاج صدرا　　ولهم أحسن سيرا
فجزاه الله عنا　　وعن الحجاج خيرا

وكانت سنة عظيمة ، كثيرة الخيرات والمياه ، وحصل للحجاج فيها غاية الراحات مع الامن والثناء والشكر على ذلك الامير رحمه الله .

وفى سنة ثمان وثلاثين (١) الى سنة أربعين وتسعمائة كان أمير الحاج مصطفى بن عبد الله الرومى كاشف الغربية والجسور المعروف بالنشار لقبه العربان بذلك لأنه كان ينشر السارق نصفين من أعلاه الى أسفله وكان شجاعا كريما متواضعا ينزل فى جميع الاماكن الضيقة من فرسه ، ويمسك رواحل الحجاج ، ويقودها فى ذلك المضيق حتى يخرجها الى السعة رفقا بالحجاج وكان يراجع فى أقواله وأفعاله ، فيرجع وكان يتبع الأماكن التى هى مظنة العربان والسراق ويكمن لهم فيها ، وكان لا يغفل عن حراسة الحاج ، ولا يعتمد فى ذلك على جماعته بل ويتولى ذلك بنفسه ، وفيها وقع الموت فجأة ، والحر الشديد المفرط فى بعض الطريق فأنفق مالا كثيرا فى تحصيل المياه وموارات الأموات (٢) وتصدق على الفقراء والمشاه ، وصرف مالا كثيرا على التجملات وقيام الناموس (٣) وتجهيز الخيول المسرجة ،

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال الجملة .
(٢) بالأصل « الأموال » والصحيح ما أثبتناه .
(٣) المقصود بالناموس هنا قافلة الحاج وركب المحمل .

بأنواع الملابس المرصعات ، والدروع ، والخوذات والعدد والآلات والمزركشات والجبخانات وتظاهر فى ذلك بما لا مزيد عليه ، ومالم يعهد لغيره من الامراء ، وأنفق فى سنة واحدة فى الحج مائة وخمسين ألف دينار ، وكان حليما بشوشا صاحب سماحة وعفة وعفو ومروءة وشجاعة وعدل وانصاف وفتوة كان صاحب محاسن أخلاق ، تكرمات عنى العلماء واغداق ، ولا يحب الظلم ، ولا يميل اليه ولا يقبله من أحد يدله عليه •

وفى سنة احدى وأربعين وتسعمائة ، كان أمير الحاج مصطفى ابن اينال ، وكان شجاعا فارسا جوادا حريصا على فعل الخيرات وموجبات رضى رب البريات ، محبا للفقراء والعلماء والصالحين مشفقا على الأرامل والايتام والمنقطعين •

وفى سنته كان الرخاء والامن والراحة ، وفى سنة اثنين وأربعين وتسعمائة كان أمير الحاج مصطفى النشار السابق لكن حصل له فيها محن وأكدار ومصادرات من خسرو باشا (١) وذلك أنه أراد الاختصار فى عوائد الحاج السلطانية ، وأن يقطع عليه شىء من ذلك فامتنع أمير الحاج المذكور ، ولم يوافق على ترك شىء من المعتاد من جانب السلطنة (٢) وطلب المعتاد ، وألح فيه فلم يلتفت اليه خسرو باشا

---

(١) تولى خسرو باشا ولاية مصر من (٩٤١ هـ — ٩٤٣ هـ) وقد اشتهر عهد هذا الباشا بأنه عهد رخاء وانخفاض فى الاسعار ، وانتظام الأمن . ومن مآثره السبيل والمكتب الذى فوقه بالصاغة .

الاسحاقى : اخبار الأول ص ١٣٦

(٢) المعتاد من جانب السلطنة هو المبلغ الذى كان يدفع لأمير الحاج ليستعين به على نفقات رحلة الحاج .

وخسرو باشا تولى ولاية مصر فى السنوات (٩٤١ هـ — ٩٤٣ هـ) (١٥٣٥ هـ — ١٥٣٦ م) وبالرجوع الى جميع المصادر المعاصرة مثل أوضح الاشارات ، التحفة ، النزهة الزهية ، صفوة الزمان وأخبار الأول وغيرها لم أجد ذكر لقيامخسرو باشا بتخفيض نفقات الحج وبمراجعة سجلات الايرادات والمصروفات الموجودة بدار الوثائق بالقلعة والتى اشرت اليها فى المقدمة لاحظت ان نفقات أمير الحاج وأموال الصرة الى =

واختصر ذلك اختصـــارا فاحشا وصار ذلك ســـنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها وبالغ فى نقص ذلك الى ما هو معلوم الآن .

ثم توفى الامير مصطفى المذكور فاستولى على أمواله ومخلفاته للسلطنة الشريفة وكان شيئا كثيرا .

وفى سنة ثلاث وأربعين الى سنة سبع وأربعين وتســعمائة كان أمير الحاج مصطفى بن عبد الله كاشف الغربية وكان أمــيرا ذا قوة وشــجاعة مهيبا عاقلا له غــرام فى ركوب الخيل المسومة وكان كثير المحاربة للعربان ، وازالة مفسديها من اقليمــه وكان محبا للخــيرات صاحب شهامة .

وفى سنة ثمان وأربعين الى سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان أمير الحاج جانم بن داودار بن السلطان الغــورى ، وكان أصله من مماليك الغورى ، وكان صــاحب معارف وســياسة ورئاسة ، شريف النفس، عالى المهة ملازما على مكارم الاخلاق ، وحصل للحاج فى زمانه عطش شديد قبل الأزلم ومات به خلق كثيرون .

وفى سنة اثنين وخمسين وتسعمائة كان أمــير الحاج آيدين بن عبــد الله الرومى ، وكان شديد الحب للدنيا ومن بدائع شحه أنه أجر تختروانه الى الحاج محمد بن مليجة الزيات ،ورجع على فرسه حرصا على ما أجره من الأجرة ولم يعهد ذلك لامير ، وفيها حصــل للحجاج

= الحرمين كانت دائما فى ازدياد لمواجهة ارتفاع الأسعار ، ويبدو أن خسرو باشا قد حاول اختصـــار نفقات الحاج فى محاولة منـــه لزيادة ايرادات الخزينة الارسالية الى السلطان وهو ما سجله عليه ابن زنبل فى تاريخه ص ١٧٠ ولكن الســـلطان لم يقبل الزيادة وبذلك تكون محــاولة خسرو المشار اليها بخصوص مخصصات الحرمين قد فشلت أما ما يشير اليه المؤلف من نقص مخصصات الحرمين فى عصره فذلك راجع الى سيطرة الامراء المماليك على مصر فى تلك الفترة من القـــرن الثامن عشر ومماطلتهم السنوية فى دفع تلك المخصصات .

به غاية المتاعب والمشاق فى النزول والسير لعدم اكتراثه (١) بأمره وتسلطت عليه العربان بالنهب فى جميع أطرافه (٢) وكان رجلا جسيما كثير الخوف من العربان فلم يخرج لهم لاهو ولا عسكره وفيها وقع الفنا الكثير بالجمال وقامت الرياح ، حتى صار الرجل لا يرى صاحبه وتاهت الرجال والجمال من مواضعها ومنازلها لشدة هبوبها ، وكثرة ترابها ، وذلك بالقرب من دخولهم الى البركة (٣) وتمزق الحاج بهذه المرحلة ، ولم يعرف أحد صاحبه ، واقتلعت الرياح خيام الملاقين ، وألقت أطعمتهم بالأرض ، وملأتها ترابا ، وحصل الكرب الشديد والمتاعب للحجاج وملاقيه ، وضاعت أسبابهم ، ورجع غالبهم بدون ملاقاة بحجاجهم ودون اجتماع بمن ذهب لملاقاته وما اتفق نظيرها أبدا .

وفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان أمير الحاج حسين أباظا من طائفة الجراكسة ، وكان فارسا شجاعا كريم النفس ، عالى المهة وكان جريئا (٤) على قتل النفوس ، واستمر فى الكشف (٥) الى أن تظلم الناس منه ، فشنق بباب زويلة واستراح منه الناس .

وفى سنة أربع الى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان أمير الحاج مصطفى باشا المالك اليمنية السابق ، وقد كمل له بهذه الحجة تسع حجات طلع ، ورجع أميرا على الحاج ، منها خمسة وهو كاشف ، وواحدة وهو صنجق ، وثلاثة بعد ولايته الباشوية باليمن وعزله منها ، والعاشرة الآتى ذكرها ، وكان بها أميرا فى الطلعة فقط كما سيأتى .

وفى سنة ثمان وخمسين وتسعمائة كان أمير الحاج محمود كتخدا

---

(١) بالأصل « اكتراسه » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) كان هذا الأمير مثلا شيئا للأمير الشحيح ولا بد أن ذلك دفعه لحرمان العربان من عوائدهم مما جعلهم ينهبون الحاج ولسوء خلقه لم يحاول دفع العربان عن الحجاج وخلى بينهم وبين مهاجميهم .

(٣) المقصود بالبركة « بركة الحاج » .

(٤) بالأصل « جريا » .

(٥) أى فى تولى منصب كاشف .

داود باشا ، وكان كريمـــا عاقلا محتشما رزينا فارســـا بطلا مهيبا ، حريصا على حراسة وفد الله ، كثير الالتفاف اليهم ، والذب عنهم ، ووقع بينه وبين أمير مكة ، بسبب انتشار العربان ، وأذاهم للحجـــاج ونهب أموالهم ولم يمنعهم (١) أمير مكة من ذلك ، وتعرضوا للحجاج ومنعوهم من الدخول الى منى ومن الرمى وأحاطوا بالحجاج وأتعبوهم ثم فرج الله الكروب .

وفى سنة تسع وخمسين وتسعمائة كان أمير الحاج ابراهيم بن عيسى باشا والى (٢) الشام سابقا ، وكان مخدوما جوادا فاعلا للخيرات والمآثر الباقية على ممر الاوقات ، واسع النفقة كثير الخير والصدقة .

وفى سنة ستين وتسعمائة كان أمـــير الحاج بالطلعـــة فقط (٣) مصطفى باشا السابق وهى حجته العاشرة أميرا على الحاج وذلك أنه وردت الأوامر السلطانية ، بأن يتوجه مصطفى باشا محافظا لليمن بالعزة والتوقير والتكرمة ، وتولى أمر الحاج من شاء يرجع به لمصر ، ففعل حسب الاوامر الشريفة ، وولى مراد بك أحد الصناجق المصرية أميرا على الحاج فرجع به على العادة .

وفى سنة احدى وستين وتسعمائة واثنين وستين وتسعمائة كان أمير الحاج حمزة بن اسكندر الرومى كاشف الغربية خازندار مصطفى باشا السابق ولم يزل يترقى حـــتى ولى امارة الحـــاج ، وكان عاقلا عارفا صاحب رأى وتدبير لكنه كان شحيح النفس لدناءة أصله ، فانه كان من مبدأ أمره يتعاطى الحرف الخسيسة ، والافعال المرذولة ، وكان دلالا بخان الخليلى مماكسا فى السلع المعروضة للبيع ، حتى وصل

---

(١) بالأصل يمنع وصحتها ما أثبتناه .

(٢) نلاحظ فى السنوات الأولى من الحكم العثمانى تولى كثير من الباشاوات العثمانيين واتباعهم منصب أمير الحاج مثل مصطفى باشـــا السابق وكتخذا داود باشا وغيرهما .

(٣) بالطلعة فقط أى فى خروجه من القاهرة الى مكة ، أما العودة بالحاج فقام بها أمير آخر .

للامارة المذكورة ، فكان فى بعض الاحوال تغلب عليه الحالة ، الاولى فتشح نفسه [١] .

وفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة كان أمير الحاج عيسى بك ابن اسماعيل بن عامر أمير عربان بنى عونة بالبحيرة وكان جوادا شجاعا مهيبا ، حسن الصورة مكثرا من اطعام الطعام ، وأنواع المكرمات ، واسداء الهدايا والتجميلات تهابه الاعيان ، وتخشاه الفرسان ، محبا للعلماء والفقراء وكان علماء الازهر يسافرون اليه لالتماس خيراته ، واحساناته وتصدقاته فيحصل لهم من الرعاية والانعام مالا يزيد عنيه [٢] .

وفى سنة أربع الى سنة سبع وستين وتسعمائة [٣] كان أمير الحاج الخواجا خضر بن عبد الله الرومى عتيق شيخ خان الخيلى بمصر [٤] وكان رجلا كريما غنيا متواضعا محبا للعلماء والاولياء ، كثير الزيارة

---

(١) هذا مثل آخر لأمير حاج من أصل عثمانى .

(٢) كتب عنوان جانبى « سبحان الله وجدنا أرزاق العلماء الأزهرية أكثرها جار على هذا المنوال وسبحان المعطى الفعال » ح.ع ، أى تعليق للشيخ حسن العطار .

وأمير الحاج عيسى بن عامر امير عربان بنى عونه بالبحيرة أنعم عليه السلطان بالبكوية فى عام ٩٦٣ ليخرج أميرا بالحاج وأصبح يحمل لقب أمير لواء سلطانى بالاضافة لكونه أمير عربان .

وبنو عونه من المغرب ثم قدموا الى اقليم البحيرة واستقروا به من فترة طويلة .

وقد توصل هذا الأمير الى منصب أمير الحاج رغم أنه ليس من مستحقيه بسبب تقربه الى السلطان ورجاله فقد كان يواصل سنويا ارسال الهدايا والتقادم الحافلة الى الأبواب السلطانية ، ويرسل هدايا فخمة الى الوزراء وكبار رجال السلطنة فى استانبول مما جعله يحوز شهرة كبيرة ومكانة عالية تسمح له بمكاتبة السلطنة رأسا ، مما أوغر صدور باشاوات مصر عليه ، وتعرضوا له بالأذى ، ونقموا عليه أنه لم يقدم لهم عطايا واتجه الى السلطنة مباشرة .

(٣) أى فى السنوات من ١٥٥٦ الى ١٥٥٩ ميلادية .

(٤) سوق خان الخليلى : كان مخصصا لتجار المجوهرات والنحاس والسجاجيد وكان شيخ هذا السوق من الاتراك العثمانيين .

لمشاهدهم ، محبا لجماعتهم ، متصدقا عليهم ، ملازما على حضور مجالسهم من ذكر ، ووعظ وعلوم وارشاد وخصوصا مجلس سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله ببركاته ، وبنى قبته وأصلح شأنه وشأن مدرسته (١) وكان ذا ثروة من المال ، وكان يقرض السلطنة اذا احتاجت ويقرض الامراء والاعيان (٢) ، ويدفع ما عليهم حتى يستوفيه بعد ذلك ، وكان كثيرا ما يأخذ مناصب الكشوفيات لمماليكه وجماعته (٣) خصوصا كشف القليوبية ، فانه كان دائما معه ويدفع الخدم المعتادة ، ويدفع أموالها على سبيل التعجيل لجانب الديوان وكان يوسع على الحجاج بالأقوات ، والبيع بالنسيئة من غير زيادة فى نظير الاجل ، اعانة على الحج وترغيبا فيه ويرسل برا وبحرا الاشياء الكثيرة لاجل الحجاج ، وكان يرفق بهم فى المسير وفى آخر حجه أميرا وقع بينه وبين أمير الحاج الشامى (٤) فتنة كبيرة

---

(١) عن سيدى عبد الوهاب الشعرانى راجع
دكتور توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى .

(٢) كانت مسألة القروض واقراض السلطنة والأمراء أمرا شائعا فى العصر العثمانى .

(٣) كثيرا ما أخذ أصحاب النفوذ والجاه المناصب لأتباعهم من المماليك فى العصر العثمانى بمصر مثل الخواجا محمد الدادة الشرايبى الذى كان من كبار التجار بالأزبكية وكان له ولأسرته بيت مجد وفخر وجعل مماليكه من أعيان مصر .
راجع :
الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٠
وقد استعمل لقب الخواجا كلقب للتجار فى ذلك العصر .

(٤) الحاج الشامى أى قافلة الحاج التى كانت تخرج من دمشق الشام سنويا الى الحرمين الشريفين وتضم تلك القافلة الحجاج من السوريين ومن بلاد العجم وتركيا ، وتركستان وغيرها من الجهات الشمالية ، ويصحب تلك القافلة المحمل الشريف وعليه الكسوة المرسلة الى الكعبة ، وكانت الدولة حتى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، تعهد لأحد كبار العسكريين بدمشق أو لأحد زعماء العشائر العربية فى =

بسبب تقديم المحمل المصرى على الشامى على العادة . فان العوائد القديمة أن يتقدم أمير الحاج المصرى على جميع المحامل . وكان أمير الحاج الشامى المذكور صاحب لواء خنكارى والمصرى غير صاحب لواء فامتنع أمير الحاج الشامى لكونه صاحب لواء من تقديم المصرى عليه وطلب ترك العمل بالعادة وخالفها ، فوقعت الفتنة بينهم ، ثم وردت الاوامر الخنكارية بالخط الشريف أنه بعد اليوم لا يلى امارة الحاج المصرى الا صاحب لواء سلطانى[1] فجمع وزير مصر ، يومئذ أكابر

فلسطين « مثل بنو فروخ » بتولى امارة الحاج وكثير من هؤلاء الزعماء كان يحملون رتبة البكوية ويصبح الواحد منهم صاحب لواخنكارى بأمر سلطانى .

وكان نظام قافلة الحاج الشامى مشابه الى حد كبير لنظام قافلة الحاج المصرى من حيث القوة العسكرية التى تصحب كل منهما ، ومهمات أمير الحاج الشامى فى الدفاع عن القافلة ضد عدوان العربان وتألف هؤلاء العربان بالعطايا والمرتبات السنوية واعداد الآبار ومحطات الحاج وحراستها ، وتوزيع الصرة على أشراف الحرمين ، وأموال الصدقة وغلالها على فقراء الحرمين .

وقد بدأ اسناد امارة الحاج الشامى الى باشا دمشق فى النصف الثانى من القرن السابع عشر .

عن موضوع الحاج الشامى راجع :

أحمد البديرى : حوادث دمشق اليومية ، تحقيق دكتور أحمد عزت عبد الكريم .

فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام .

Trease: Lepelêrinage Syrien, Paris, 1937ı

Gibb and Bowen : — slamic Society and The West. Londou, p, 1, 219.

دكتور عبد الكريم رافق : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ص ٢٢٥

(١) صاحب لواء سلطانى أى من حقه أن ترفع له راية سلطانية فى موكبه ، دليلا على ارتفاع مكانته ، وقد كان هذا الحق فى مصر العثمانية للباشا صاحب الولاية وللبكوات الصناجق الأربعة وعشرين الذين يختارون سنويا منذ عهد السلطان سليم وتسند اليهم المناصب =

أمرائها وقرأ ذلك عليهم فامتثلوا وأجمع (١) رأيهم عليه .

وفى سنة ثمان وستين الى سنة سبعين وتسعمائة (٢) كان أمير الحاج عثمان‌بك بن أزدمر ، وكان مخدوما حسن الاخلاق طلق الوجه، جميل الصورة ، شجاعا ، كثير التجملات فى الملابس والمآثر، والمواكب وله آثار جميلة ، وخيرات جزيلة ، وولى بعد ذلك باشوية اليمن ، وأحسن التصرف ، وأظهر العفة والشاهمة وترك المظالم فحمدت سيرته وطابت عند الله سريرته .

وفى سنة احدى وسبعين واثنين وسبعين ، وتسعمائة (٣) كان أمير الحاج عيسى بك بن اسماعيل بن عامر أمير عربان البحيرة (٤) .

وفى سنة ثلاث وسبعين وأربع وسبعين وتسعمائة (٥) كان أمير الحاج سليمان بك الشهير بابن أبى سبحة . كان جوادا كريما ، محبا للعلماء والصالحين (٦) ولسماع قراءة القرآن العظيم ملازما على

= الهامة فى ادارة مصر مثل حكم الأقاليم والدفتدارية وامارة الحاج ، وكلمة صنجق نفسها تعنى العلم أو الراية ، وأحيانا كانت تطلق على القسم من الولاية ، ولا يحمل رتبة الصنجقية الا البكوات المماليك وللصنجق البك المملوكى امتيازات كثيرة ، ومن القابه « أمير اللواء الشريف السلطانى » لمزيد من المعلومات عن الصناجق راجع :

د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢

(١) هو على باشا الخادم ومدة ولايته (٩٦٦ — ٩٦٧ هـ) — (١٥٥٨ — ١٥٦٠ م) .

(٢) أى فى السنوات من (١٥٦٠ — ١٥٦٢ ميلادية) .

(٣) أى فى السنوات (١٥٦٣ — ١٥٦٤ ميلادية) .

(٤) يبدو أن الدولة لم تشدد فى تنفيذ قرارها الذى اتخذته فى عام ٩٦٧ هـ — ١٥٦٠ م الذى قضى باسناد امارة الحاج الى البكوات الصناجق المماليك بدليل اسنادها امارة الحاج فى سنة ٩٧١ ، ٩٧٢ لأمير عربان البحيرة السابق فقد كانت الدولة ما تزال قوية ، ومرهوبة الجانب أما فى أواخر القرن السابع عشر ، وطوال القرن الثامن عشر ، فقد ضعفت الدولة وكثرت اعتداءات العربان على قافلة الحاج مما استدعى اسناد الامارة للقادة العسكرين من البكوات المماليك .

(٥) أى‌فى سنوات ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ميلادية .

(٦) بالأصل « الصلحاء » وصحتها ما أثبتناه فهو أفضل .

الصــدقات ، وفعل القربات ، وله أوقاف ومساجد ، « أوقف » (١)
لها جهات الخير الكثيرة ، وكان كثير الرفق بالحجاج •

ومن عجيب ما وقع له أن رجلا من الفقهاء المترددين عليــه (٢)
قال له يا أمير أعطنى ألف نصف فضــة ، وأنا أتحمل بجميــع ديونك
وجناياتك ، فدفع له الامير ذلك ، وكتب الرجل ورقة بخطه بما ذكر ،
وأشهد على نفسه بها الحاضرين بمجلسه فنام الفقيه تلك الليلة، فرأى
القيــامة قد قامت ، وطلب ذلك الفقيه ، فأحضر ، وقيل له انظر الى
هذين الكومين من الرماد فوجدهما كومين عظيمين ، فأمر بحملهما على
ظهره ، فقال ماهذه حتى أحملها فلا طاقة لى بحملها ، فقيل له هــذه
ذنوبك وذنوب الامير (٣) سليمان بن أبى سبحة التى تحملتها عنــه
وأشــهدت على نفسك بذلك وقد رأى الامير ســليمان فى تلك اليلة
بعينها مثل ما رأى الفقيه ، وقيــل له : فى المنام هــذه ذنوبك التى
تحملها عنك الفقيه ،و قد طهرت منها ، وصارت (٤) على ظهره ، كمــا
أشهد على نفسه فلما استيقظ الفقيه من نومه قام وهو مرعوبوالامير
استيقظ وهــو فرح مسرور ، فجــاء الفقيه الى الامــير بالالف ، وردها
عليه فامتنع الامير من قولبها ، وزاده عليها مثلهــا ، وأخبر الامــير
جلساءه برؤياه التى رآها ، نسأل الله اللطف بنا فى جميع أحوالنا •

وفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة (٥) كان أمير الحــاج مراد

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال الجملة .

(٢) كتب عنوان جانبى « غريبة » .

(٣) كتب عنوان جانبى « كان بعض من عاصرناه من العلماء ينحو،
هــذا المنحى ، وغيره من التحيلات الدنيوية ، فمات ووجده عنــده دنيا
طائلة ، انتفع بها غيره ، ولم ينتفع بشىء منها .
ونبرأ الى الله ممن جعل علمه مصيدة ، لأكل أموال الناس بالباطل،
وأمثال هؤلاء كثيرون ، وقد تفاقم الأمر ، وفسد الحال حال الدهر ، فلا
حول ولا قوة الا بالله نسأل الله السلامة » ت. ح. ع .

(٤) بالأصل « وصار » وصحتها ما أثبتناه .

(٥) أى فى سنة ١٥٦٧ ميلادية .

بك كتخدا محمود باشا (١) مصر المقتول بها (٢) وكان أمـيرا شجاعا كريما محبا لفعل الخيرات ، مكثرا من القربات والصدقات .

وفى سنة ست وسبعين وتسعمائة (٣) كان أمير الحاج أحمد بك كجك ، ولقب بذلك لقصر قامته ، وكان قبيح التصرفات ذميم السيرة، ولقبيح فعاله ، وذميم أوصافه ، وقبح سيرته لقبوه بقراقوش .

وفى سنة سبع وثمان وسبعين وتسعمائة (٤) كان أمـير الحاج مراد بك السابق ثم لى باشوية اليمن بعد ذلك .

وفى سـنة تسع وسبعين وسـنة ثمانين وتسعمائة والسنة التى بعدها (٥) كان أمير « الحاج » (٦) بهرام بـ ك ، وكان رجلا كريما ، شجاعا متصدقا .

وفى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة (٧) كان أمير الحاج على بك، وكان شيخا كبيرا محبا للعلماء قطع (٨) غالب الرحلة راكبا كوبته (٩) متصاحبا مع مولانا قطب الزمان سيدى محمد البكرى الصديقى (١٠) والشيخ داخل تختروانه .

---

(١) كتخدا الباشا أى وكيله وبالأصل كتبت « باشاة » .

(٢) محمود باشا تولى ولاية مصر سنة ٩٧٣ هـ — ١٥٦٥ م وظل يحكمها مدة سنة وسبعة أشهر وقد اشتهر بالشجاعة ، ولكنه كان ظالمـا فقتل غيلة بمصر أثناء خروجه فى أحد المواكب وكان ذلك فى ٢٠ جماد آخر ٩٧٤ هـ — ٢ يناير سـنة ١٥٦٧ م ولم يعرف قاتله ودفن بمصر بمسجده بالرميـلة .

(٣) أى فى سنة ١٥٦٨ ميلادية .

(٤) أى فى ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ميلادية .

(٥) أى فى ١٥٧١ ، ١٥٧٢ م .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال العبارة .

(٧) أى فى سنة ١٥٧٤ ميلادية .

(٨) بالأصل « يقطع » .

(٩) بالأصل « وركبته » .

(١٠) الشيخ محمد البكرى هو والد المؤرخ ابن أبى السرور البكرى وكان من كبر علمـاء عصره ، وقد اشـتغل بالتدريس والتأليف فى علوم =

وفى سنة ثلاث وأربع وثمانين وتسعمائة (١) كان أمـير الحاج حزم بك ، وكان عاقلا كريما صاحب رأى وتدبير •

وفى سنة خمس وثمانين الى سنة تسع وثمانين (٢) كان أمـير الحاج ، مصطفى بك الشهير بالاقنص ، كان شـيخا كبيرا مهيبا كثير الحج والعبادة والصدقات ، مستعملا الرفق فى المسير والنزول وفيها حصل الغرق للحجاج وسميت تلك السنة سنة الغرقى وذلك أن الحاج الشـامى ، سبق الحـاج المصرى ، ونزل منزلته المعتـاد نزوله بها وكانت (٣) عادة الشامى أن ينزل بعدها فلما وصل الحاج المصرى ، وجد الحاج الشامى قد نزل منزلته ، فأراد أن ينزل دونه ، فأشـار مولانا الشيخ محمد البكرى على أمـير الحاج أن ينزل بعـد الحاج الشامى ، ويتجاوزه الى فوق فامتثل أمر الشيخ ونزل بأعلاه ، فكان فكان من قدرة الله تعالى أنه حين نزل الحاج المصرى ، نزلت الأمطار الغزيرة الكثيرة ، واستمرت وانحدرت السـيول من كل جانب على

= التفسير والفقه واللغة وشغل منصب المفتى « وشيخ الاسلام » وكان له جاه ونفوذ كبير وتوفى ١٠٠٧ هـ — ١٥٩٨ م •

لمزيد من المعلومات عنه وعن الاسرة البكرية راجع :

دكتورة ليلى عبد اللطيف : ابن بى السرور البكرى عصره ، مؤلفاته فى كتاب دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر . القاهرة ١٩٧٩

، على مبارك : الخطط التوفيقية ج ٤

، المحبى : خلاصة الأثر ج ٢

، ابراهيم العبيدى المصرى: عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق.

، محمد توفيق البكرى : بيت الصديق •

(١) أى فى سنة ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ميلادية .

(٢) اى فى السنوات من ١٥٧٧ الى ١٥٨١ ميلادية .

(٣) بالأصل « وكان » •

الحاج الشامى حتى[1] غرق جمعيا ، وغرق معه من المصريين من نزل معه ولم يتجاوزهم ، وذهبت جمالهم وأموالهم وأحمالهم فى الادوية، تخطفتها العربان وسلم الحاج المصرى من ذلك بركة اشـــارة الشيخ البكرى نفعنا الله ببركاته .

وفى سنة تسعين وتسعمائة[2] كان أمير الحاج عمر بك بن عيسى بك بن اسماعيل أمير عربان البحيرة ،وكان شجاعا كريما متواضعا له أعطيات للعلماء والمجاورين ، وكان متكفلا بجميع احتياجات جماعات من العلماء المنقطعين بالازهر ، وغـــيره اعانة لهم على العـــلم افادة واســـتفادة مقصـــودا فى الخيرات والتصـــدقات محبا للمثر الجميلة والقـــربات[3] .

وفى سنة احـــدى وتسعين وتسعمائة كان أمـــير الحاج مصطفى بك الأقتص السابق .

وفى سنة اثنين وتسعين وتسعمائة[4] كان أمير الحاج محمد بك ابن أبى على الرشيدى وكان رجلا متواضعا محبا للتجملات والمظاهر الجميلة والمكرمات .

وفى سنة ثلاث الى خمس وتسعين[5] كان أمير الحاج مصطفى أغا ناظر العنبر الشريف[6] والدشايش وكان كثير الامـــوال ملازما

---

(١) بالأصل « حين » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) أى فى سنة ١٥٨٢ ميلادية .

(٣) اشتهر هـــذا الأمير العربى بالكرم وكثرة العطايا التى عمت حتى بلاط السلطان ، مما جعله على صلة بالدولة العثمانية نفسها يقضى منها مصالحة ، دون الاستعانة بباشا مصر وهو يشابه فى ذلك شيخ العرب همام زعيم قبائل الهوارة فى الصعيد فى القرن الثامن عشر راجع :
دكتورة ليلى عبد اللطيف : شيخ العرب همام رسالة ماجستير تحت النشر ١٩٧٠

(٤) أى فى سنة ١٥٨٤ ميلادية .

(٥) أى فى السنوات من ١٥٨٥ الى ١٥٨٦ ميلادية .

(٦) أى المشرف على الشون السلطانية فى مصر أو ما عرف بالأنبار الأميرية وهى مخازن الغلال الحكومية .

على الترفهات ، وأنواع التجملات ، خصوصا فى المواكب والملابس، والهيئات ، وامتد نظره الى باشوية مصر ، فسعى سرا عليها من الديار الرومية ، مع جماعة أرسلهم بأنواع الهدايا والتحف فبلغ ذلك وزيرها يومئذ أويس باشا (١) فأرسل خنقه (٢) واستولى على جميع أمواله •

وفى سنة ست وسبع وتسعين وتسعمائة * كان أمير الحاج محمود بك الشهير بقاضى زادة ، كان من أولاد الموالى العلماء فترك طريق المولوية ، وسلك طريق الامارة وتولى باشوية الحبش (٣) •

وفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة (٤) كان أمير الحاج جعفر بك الشهير بابن الجاويش وكان كثير الاموال والالتزامات مظهرا كمال النعمة « فى » (٥) الترفهات والمأكول والمشروب والمركوب وكان يحب اقتناء الغلال والدواب من سائر الانواع ، وحصل للحاج به مزيد الرفق ، والمعونة والتسهيل فى السير وفى العودة مع الامن والراحة وكثرة المياه •

---

(١) أويس باشا : تولى باشوية مصر (٩٩٤ هـ — ٩٩٩ هـ) — (١٥٨٥ م — ١٥٩٠ م) وقد حدثت أول فتنة لجند الاسباهية فى عهده ، فقد هجموا عليه وهو فى الديوان ، ففر هاربا منهم ، وقد زاد طغيان العسكر فى عهده ، وحجروا على الباشا ، ومنعوه من ممارسة سلطته فعزله السلطان عن الولاية وقد توفى بمصر ودفن بها سنة ٩٩٩ هـ ، وقد اشتهر هذا الباشا بافراطه فى الظلم ومصادرة الأموال لمزيد من المعلومات عنه وعن ثورة الجند فى عصره راجع :

أحمد شلبى : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات تحقيق ونشر دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن القاهرة ١٩٧٨ ص ١٢٢

(٢) بالأصل « حقه » وصحتها ما أثبتناه .

(*) أى فى سنة ١٥٨٧ م .

(٣) جعل العثمانيون من ميناء جدة ومن بعض الموانى التى خضعت لهم على ساحل البحر الأحمر المقابل مثل سواكن ومصوع باشوية خاصة سميت باسم « باشوية الحبش » أو ولاية الحبش او ولاية جدة ، وكانوا يسندون حكمها الى أحد الولاة العثمانيين .

(٤) أى فى سنة ١٥٨٨ م .

(٥) أضفنا ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

وفى سنة تسع وتسعين وتسعمائة وسنة ألف (١) كان أمير الحاج عمر بك ابن عيسى بك السابق ، وفى سنة احدى وألف (٢) كان أمير الحاج على بك حاكم ولاية المنفلوطية وكان كريما شجاعا عاقلا •

وفيها حصل للحجاج نهب كثير من شخص من أشراف مكة كان عاصيا على بنى عمه بطايفه معه ، يتعرضون للقوافل والحجاج فأعان الله أمير الحاج المذكور حتى قبض عليه وعلى طائفته وهم نازلون ليلا تحت بعض الجبال بعيدا عن الطريق المسلوك بواسطة بعض العربان وأوقع أمير الحاج فيهم القتل هو ومن معه من عساكره وأحاطوا بجميع ما نهبوه ، وما خطفوه من الحجاج وغيرهم وقبض على الشريف المذكور ، وعلى جماعة من خواصه بعد من قتل منهم ، ونزل بهم من الجبل الى الحج • وجلس على كرسيه ونادى كل من ضاع له شيء من الحجاج فليحضر ، وأقام يوما حتى حضر الحجاج ، وكل من عرف شيئا ، وأثبته عند قاضى المحمل بحضور أمير الحاج من جمال أو مال أو غير ذلك أخذه ، وماضاع لاحد من الحجاج شيء •

وفيها وقع بين عسكر الحاج وبين أشراف الينبوع فتنة عظيمة واستمر أشراف الينبوع ، ومن معهم من العربان يحاورون الحجاج فى الليل والنهار على النهب والقتل أياما فلم يتمكنوا من ذلك ، حتى سكتت الفتنة ، ورجعوا الى بلادهم ولم يحصل للحجاج ضرر •

وفى سنة أربع الى سنة أحد عشر وألف (٣) كان أمير الحاج بيرى بك الامير الصالح المدبر الناصح ، صاحب المآثر الجملية ، والخيرات الجزيلة ، كان يخرج كل عام من ماله جانبا كبيرا ويضعه بأكياس برسم الصدقات ، ويكتب بظاهرها أكياس الصدقة فيعم علماء الازهر ، وعلماء الحرمين وصالحيهما والمدارس ، والربط (٤)

---

(١) اى فى السنوات من ١٥٩٥ م — ١٦٠٢ م •

(٢) اى فى السنوات ١٥٩٠ ميلادية ، ١٥٩١ ميلادية .

(٣) اى فى سنة ١٥٩٢ ميلادية .

(٤) الربط جمع « رباط » وهى دور أعدت لاقامة الصوفية وخصص =

والفقراء والمحتاجين ، والارامل ، والايتام ، والاغراب والمنقطعين ، وكان حريصا على فعل الخيرات الباقية ، والصدقات العظيمة الجارية، والاعمال الصالحة والافعال الناجحة لاسيما (١) فى طريق الحجاج ، وأنشأ بطريقه جملة من الآبار ، ورمم كثيرا من الآثار ، وأنشأ سبيلا ،وحوضا ومصلى وساقية ، بظاهر المدينة المنورة بينها وبين آبار على (٢) ووقفت فى محلها فجميع القوافل الواردة على المدينة والحجاج ، والزوار تردها ، وينزلون عندها ، ويستريحون ، ومنها (٣) يغتسلون فى الليل والنهار ، وكان يواسى الحجاج ، ويشملهم بمعروفه ، واحسانه ، ويوسع عليهم فى المضايق ، ولا يمنع عنهم مطلوبا منهم يريدونه • ويحرص على راحتهم ، ويميل بطبعه الى حب العلماء والصالحين والفقراء والايتام والمساكين ، واستمر على ذلك حتى توفاه الله تعالى ، أسبغ (٤) الله عليه رضوانه * •

وفى سنة اثنى عشر وألف (٥) كان أمير الحاج حسين بك الشهير بالدالى كان أميرا جوادا شجاعا ، وفيها وقعت الفتنة بين الحجاج ، وبين حاكم مكة راشد وبها قتل الحاكم المذكور ، واشتدت

= بعضها للنساء المقطوعات أو المهجورات أو المطلقات أو العجائز من العابدات وكان لها الجرايات والأوقاف الكثيرة .

دكتور توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ص ٣٨

(١) بالأصل « سيما » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) آبار على : قرية تقع على مسافة خمسة كيلومترات من المدينة المنورة وهى محطة هامة على الطريق من مكة الى المدينة وبها ماء عذب

(٣) بالأصل وفيها .

(٤) بالأصل وأسبع .

(٥) أى فى سنة ١٦٠٣ ميلادية .

* طالت مدة تولى بيرى بك لمنصب أمير الحاج فقد تولاها ثمانية أعوام متصلة ، وكان ذلك راجع بالطبع الى نجاحه فى مهمته كأمير للحاج وعنايته الفائقة بالحجاج ، وحرصه على توفير الراحة ، والمساعدة لهم واحسانه الدائم للعلماء ، والفقراء وتوفير المياه للحجاج ولأهل الحرمين.

الاشراف على الحجاج ، ولبسوا آلات الحرب ، وجاءوا من كل طريق وأرادوا قتل الحجاج ونهبهم ، وقتل من الحجاج جماعة ، وكان سكون الفتنة وخمودها على يد أمير اللواء قاسم بك ، لانه كان حاجا فى تلك السنة (١) وهى أول حجاته قبل ولايته امارة الحاج فهو قبلة خير من أول أمره أبقاه الله برفعة أمره وقدره .

وفى سنة ثلاث عشر وألف (٢) كان أمير الحاج صالح بك ، وكان رجلا عاقلا مخدوما من جماعة سرايا السلطنة الشريفة ، محبا للعلماء والصلحاء، وكان له فضيلة علمية ويديم مطالعة الحديث الشريف والفقه الحنفى ، والتصوف، والتاريخ وغير ذلك ، وكان حسن الافعال، زاكى الاعمال .

وفى سنة أربعة عشر وألف (٣) كان أمير الحاج سنان بك الدفتردار وكان جوادا كريما محبا للعلماء وأهل الصلاح والفقراء ، وأهل الخير، وفيها حصل للحجاج الرحمة والخير ، والرفق والامن والرخاء والتيسير .

وفى سنة خمسة عشر وألف (٤) كان أمير الحاج قاسم بك المشهور الذى لا يزال بالخير مذكورا أبو الامراء الكرام مرجع الناس على الدوام ، صاحب الاخلاق الحميدة والتدبير ، والمعارف السديدة ، والشفاعات المقبولة عند الامراء والكلمة المسموعة عند الاعيان والكبراء واتفق العساكر عند كلمته ، فلا يخالفونها عندهم ولا يتجاوزونها ، يقصده جميع الناس فى حوائجهم ، ويهرعون اليه فى مصالحهم ، فيبادر لقضاء ذلك راجيا من الله الثواب ، وطالبا حسن ما عنده يوم المآب ، ولصدق نيته واخلاصه يحصل للمشفوع له المطلوب (٥) ولحسن

---

(١) قاسم بك : من أشهر الأمراء المماليك وهو الذى انتسبت اليه الطائفة القاسمية .

(٢) أى فى سنة ١٦٠٤ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٦٠٥ ميلادية .

(٤) أى فى سنة ١٦٠٦ ميلادية .

(٥) كتب عنوان جانبى « قاسم بك رأس القاسمية » .

طويته تكون شفاعته غاية المرغوب ، لا يحتجب عن صغير ولا عن كبير ولا يمنع من الاجتماع به خليل ولا حقير ، يقطع غالب اليوم مجالسنا لمن يدخل عليه من العلماء والفقراء بلا تعاظم ولا احتجاب ويهتم بمصالح ذوى البيوت والسائلين ، ويحزن لمصاب المسلمين أو حادث ينزل ويسعى فى ازالته حسب الطاقة ، وان لم يقدر على ذلك خفف مشاقة ، ومتى حصلت بين العساكر فتنة بادر لاسكانها ، وأصلح ما بينهم ، وأزال من خواطرهم جميع مخاوفهم • مع ملازمته على العبادات واشتغاله بما فيه رفع الدرجات ، وحصل للحجاج فى زمانه الراحة والرفق والتسهيل والامان والامن والرخاء (١) •

---

(١) يجرنا الحديث عن قاسم بك هذا ، التعليق المكتوب على هامش ترجمته من أنه رأس القاسمية كما أثبتنا فى هامش الصفحة السابقة الى موضوع انقسام المماليك فى مصر الى قاسمية وفقارية ، وقد اختلف المؤرخون كثيرا حول هذا الموضوع ، فالجبرتى مثلا أورد عن ذلك روايتين الرواية الاولى : ترجع ظهور هاتين الفريقتين الى أوائل العصر العثمانى أثناء اقامة السلطان سليم فى القاهرة .

والجبرتى فى هذه الرواية يتابع رواية الدمرداش وابن الوكيل فى هذا المجال ويضعف هذه الرواية أنه لم يرد ذكر لها فى روايات المؤرخين المعاصرين للفتح العثمانى مثل ابن زنبل وابن اياس .

والرواية الثانية : ترجع ظهور هاتين الفريقتين الى عام ١٠٥٠ هـ — ١٦٤٠ م على اثر التنافس بين قاسم بك الدفتردار ومنافسه ذى الفقار بك أمير الحاج .

وأنا أرجح هذه الرواية فمن الواضح تماما من خلال الترجمة التى قدمها الشيخ أحمد الرشيدى فى مؤلفه الذى ننشره هنا أن عام ١٠٤٨ هـ شهد تنافسا هاما بين القاسمية اتباع قاسم بك والفقارية أتباع رضوان بك الفقارى وانتهى الأمر بكيد المنافسين لرضوان بك له عند السلطان الذى أمر بتجريده من مناصبه وأملاكه .

وان كان الجبرتى لم يذكر اسم رضوان بك ولكنه قال « واتفق أن قاسم بك المذكور انشأ فى بيته قاعة جلوس ، وتأنق فى تحسينها وعمل فيها ضيافة لذى الفقارى بك أمير الحاج المذكور » وأن أول ظهور التنافس بين الفرقتين يرجع الى سنة ١٠٥٠ هـ ولما كان رضوان بك الفقارى هو أمير الحاج سنة ١٠٥٠ هـ فيكون هو المقصود بذى الفقار بك أمير الحاج وقتها . وليس المقصود ذى الفقار بك الذى أشارت اليه بعض المراجع =

وفى سنة عشرين وألف (١) كان أمير الحاج صالح بك السابق، وفى سنة احدى وعشرين وألف ، واثنين وعشرين وألف (٢) كان أمير الحاج قاسم بك السابق •

وفى سنة ثلاث وعشرين وألف (٣) كان أمير الحاج عابدين بك وفيها حصل للحجاج الغلاء الشديد بالرجعة ، وزيادة المشاق وضيق الاحوال ، والمياه والارزاق •

وفى سنة أربع وعشرين وألف (٤) كان أمير الحاج قاسم بك السابق (٥) •

= وانتهت الى عدم وجوده ويكون ظهور القاسمية والفقارية راجع الى سنة ١٠٥٠ هـ — ١٦٤٠ م والى التنافس بين قاسم بك ، ورضوان بك الفقارى وقد انتهى الامر بالقضاء على الفقارية ونفوذهم ١٠٧١ هـ — ١٦٦٠هـ

ثم قضى على القاسمية أيضا فى ١١٤٢ هـ — ١٧٢٩ م وانفتح المجال لزعامة قادة الانكشارية والفرق الأخرى وهم الأمراء المماليك فى القرن الثامن عشر .

عن هذا الموضوع راجع :

عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٤

، الدمرداش : الدرة المصانة .

، مصطفى ابراهيم : تاريخ وقائع مصر القاهرة .

ابن الوكيل : تحفة الأحباب .

أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص

الصوالحى : الصواعق فى واقعة الصناجق .

د. عبد الكريم رافق : دراسات فى تاريخ العرب الحديث .

محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٦

Holt : (P.M) Al Gabarti,s Introduction of The history of Ottoman Egypt , in, BSOAS. XXV, 1. 1962.

(١) أى فى سنة ١٦١١ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٦١٢ ، سنة ١٦١٣ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٦١٤ ميلادية .

(٤) أى فى سنة ١٦١٥ ميلادية .

(٥) تولى قاسم بك امارة الحاج فترات طويلة ومن الصراع بينه وبين رضوان بك الفقارى نشأت فرقتا القاسمية والفقارية .

وفى سنة خمس وعشرين وألف وست وعشرين [١] كان أمير الحاج يوسف بك المعروف بكامل بك والشهير بقلاوون كان أميرا مخدوما ، صاحب خيرات ملازما على أفعال البر والقربات أصله من سرايا السلطنة الشريفة مترددا « على » العلماء [٢] والصالحين فى كل وقت وحين ، ويجمعهم عنده فى أيام المواسم ويكون بين أيديهم ، وفى خدمتهم كالخادم ، ويصنع لهم نفائس الاطعمة والاشربة ، ويخصهم بذلك رغبة فى الثواب ، وكان يحب الثناء عليه والافتخار ، ومحاسن الاخلاق ، وأن يذكر بذلك ، ويمدح فى سائر الاوقات ، وأن ينسب اليه المعروف وأنواعه ، والوصف الحسن المألوف ، وحصل للحجاج به غاية الرفق واليسار والامن ، والرخاء ، وصنع بالطريق جملة مآثر مشهورة ، وبناء وعمارة وترميم بين الحجاج مقصودة ، وكان اذا مر على أحد من الحجاج وجده يعالج شيئا ، نزل وساعده ، خصوصا اذا كان فى مضيق سعى اليه وعاضده ، وسقى السكر للعلماء والخدمة بعقبة السكر ، وقد نظف وادى العقيق من رمله وأحجاره وسلك الدرب الجديد للمدينة فى الطلعة ليكون من آثاره فلم تساعده الاقدار على ما أراده ، ويأبى الله الا ما أراده ويكون الحامل له على سلوكه أن يزور الحجاج النبى صلى الله عليه وسلم فى الطلعة والرجعة كالحج الشامى زيادة فى الثواب ، وأن تكون هذه السنة الحسنة منسوبة اليه ومثل أجور فاعليهما عائدا عليه ، فما أراد الله الا ما كان تغمده الله بالرحمة والغفران .

وفى سنة سبع وعشرين وألف الى سنة ثلاث وثلاثين

---

(١) أى فى سنة ١٦١٦ ، ١٦١٧ ميلادية .

(٢) بالأصل « للعلماء » وصحتها ما أثبتناه .

وألف(١) كان أمير الحاج قاسم بك السابق ثم نزل «عن»(٢) امارة الحاج باختياره لمملوكه قانصوه بك وذلك حين كبر سنه ، ووهن عظمه وقلت (٣) قواه ، وضعف جسمه ، وأجهده السفر ، وأضر به الكبر ، فقصد الانقطاع والتخلى للعبادات الاخروية ، وترك التلبس بالملابس الدنيوية وفرق على مماليكه ما كان « له »(٤) من الالتزامات ، وخرج لهم عن جميع التعلقات واكتفى بعلوفاته الديوانية ، والجرايات (٥) ورضى بالتقرب الى الله فى جميع الحالات ، وانقطع ببيته ، متفرغا للعبادة ، باحياء الليالى بالتهجدات لاسيما وقت الاسحار ، متضرعا اليه فى أوقات التجليات ، ساكبا بين يدى مولاه العبرات سائلا منه الغفران ، واقالة العثرات لا يرد أحدا يطلب منه شفاعة الى كبير أو صغير ، يحب العلماء والصلحاء ويسعى لهم فى تعلقاتهم من أرزاقهم وجهاتهم ، جزاه الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير جزاء، وعامله فى الدارين بعظيم فضله وأبقاه بمصر بركة لا يندرس ذكرها ولا ينقضى عند الله ثوابها وأجرها .

وفى سنة أربع وثلاثين الى سنة سبع وثلاثين وألف (٦) كان أمير الحاج قانصوة بك أحد مماليك الامير قاسم بك السابق وكان شجاعا عاقلا مهيبا متواضعا ، ملازما كسيده على فعل الخيرات ، والشفاعات فى مصالح العلماء والفقراء وأرباب الحاجات ، وفيها حصل للحجاج

---

(١) أى فى السنوات من ١٦١٧ الى ١٦٢٣ ميلادية .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) بالأصل « وقل » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين للايضاح .

(٥) الجرايات : جمع جراية : وتعنى الجراية القمح والشعير الذى يصرف لموظفى ولاية مصر ولكبار امرائها فى شكل مرتبات شهرية تصرف لهم من الشون السلطانية أو الأنبار الاميرية ويعطى لهم القمح لطعام الآدميين ، والشعير لغذاء الخيول والجمال .

لمزيد من المعلومات عن مرتبات الجراية راجع :

دكتورة ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر الباب السادس الادارة المالية .

(٦) أى فى السنوات من ١٦٢٤ الى ١٦٢٧ ميلادية .

الرخاء والامان وكثرة المياه فى كل مكان . وله بطريق الحاج عدة آثار من ترميم الآبار ، وانشائها ، ولم يزل معاملا حجاج بيت الله الحرام بالسهولة فى المسير والوقف والمعونة . حتى وردت الاوامر الشريفة الخنكارية [١] من الابواب العالية السلطانية بالانعام عليه بولاية اليمن باشوية [٢] وأن يتوجه اليها مع الوزارة العلية وذلك لاجل أن يفتحها حين استولى عليها الامام المشهور [٣] وخرج عن الطاعة ، وأظهر غاية المحاربة والشرور وحاصر حيدر باشا الذى كان بها من جانب السلطان ابن « عثمان » [٤] ثم أخرجه منها ، واستقل باليمن ، وخطب له بالاعلان ، وأظهر المخالفة والعصيان ، وبالغ فى الخروج ، وزاد فى الطغيان ثم أفحش فى مخالفة مولانا السلطان سلطان سلاطين الاسلام السلطان مراد خان [٥] وتعرض لاهالى اليمن القاصى منهم والدان، وانتزع جميع بلاد اليمن من عساكر السلطان ، وأعطى بعض الخوارج من عنده الامان ، وادعى لنفسه الملك والسلطنة ، ونصب الحروب بعساكره فى جميع الامكنة فامتثل مولانا قانصوة بك المذكور ، الاوامر الشريفة وتلقاها بالقبول ، وشرع فى

---

(١) الأوامر الخنكارية : أى الصادرة عن السلطان الذى كان من القابه الخنكار وهو لفظ تركى يعنى السلطان الأعظم .

(٢) كثيرا ماأصدر السلطان أوامره لبكوات المماليك بقيادة الحملات الى اليمن للقضاء على تمرد الأئمة الزيدية بها ومحاولتهم القضاء على السيادة العثمانية فيها ، وفى مثل هذه الحالات كان السلطان ينعم على البك المملوكى المتوجه الى اليمن بلقب الباشوية ، ويعده بتوليته حاكما عليها ان نجح فى مهمته وقد أرسل السلطان مراد لقانصوه بك قفطان الباشوية وسيف مجوهر مع الأمر بالتوجه لليمن كما ذكر صاحب أوضح الاشارات ص ١٤١

(٣) كتب عنوان جانبى « التوجه الى اليمن » .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٥) هو السلطان مراد الرابع وتولى السلطنة ١٦٢٣ — ١٦٤٠م — (١٠٣٣ هـ — ١٠٥٠ هـ) .

أحمد جودت : تاريخ جودت ص ٥٤

ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٨٠

تجهيز نفسه بلغه الله المنال[١] وكان من أقدار الله تعالى ، وما جرى به قلم مقدوراته وارادته أن السيد أحمد عبد المطلب أحد الاشراف بمكة المكرمة خرج على ابن عمه سلطان مكة ، يومئذ السيد محسن وحاصره ونصب نفسه لقتاله ومحاربته وأخذ سلطنة مكة من يده ومخاصمته بعد أن كان قد ذهب الى بندر جدة المعمور • وأحاط بما فيه من الاسلحة وآلات الحرب المشهور •

وتعصب معه على ذلك جماعة أحمد باشا الوارد من الديار الرومية[٢] للأقطار اليمنية المتوفى بجدة قبل توجهه لليمن ومكنوه من جميع عساكره ومماليكه وأسبابه بلاثمن واشتدوا معه لمحاربة ابن عمه المذكور ، وأعانوه بجميع الذخيرة التى كانت عند أحمد باشا والآلات والعدد واجتمعوا عليه بطوائفهم وأمدوه غاية المدد وجاءت اليه طوائف المفسدين والبغاة ، وأحدقت به فرق الملحدين والطغاة ، وجاءوا معه من جدة الى مكة ليدخلوها ويهجموا عليها حين يصلوها ، ويقتلون السيد محسن وجماعته ويخرجون منها قومه وطائفته ، فلما وصلوا اليها، وقدموا بطوائفهم عليها انكسر السيد محسن ، وولى منهزما وتمزق حزبه فى الجبال وذلكمن غير قتال فى أقل من ساعة ، وغادرته بعد تلك « الهزيمة »[٣] العزة والصولة والشجاعة ، وفر محسن المذكور هاربا بنفسه وأولاده ، حسيرا كئيبا على ما كان من تهيئته واعداده ودخل السيد أحمد الى مكة مظهرا كمال العزة والشأن والسطوة الباهرة ، والسلطان وقرمعه غالب بنى عمه الاشراف لما يعلمون منه من الزيغ والاجحاف • وأقام نفسه سلطانا بمكة المكرمة ، واستولى على تلك الاقطار الشريفة المعظمة ، ووضع يده على بيوت السيد محسن وأسبابه ، وأرقائه وحريمه ، وأرزاقه ، وفعل كذلك ببيوت جماعته ، ومن كان من خدمة وطائفته ثم غلبت عليه الاهواء ، وأوقعته فى مهامه

---

(١) بالأصل « المآل » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) الرومية أى التركية أو العثمانية ، وقد استخدم لفظ « رومى» فى مصادر العصر العثمانى بمصر للاشارة الى التركى أو العثمانى .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

الاسوأ ، فترك ما كان عليه أشراف مكة من الهيئات والاطوار والملابس المعتادة لهم من قديم الزمان والفخار الى التزيى بزى العساكر الاروام والتشبه بهم فى الملابس والاطعام واختار أن يكون على شكل الامراء الكرام ، بل وزراء الاسلام ، فترك أحوال أشراف مكة * وما كانوا عليه ملبوسا ومركوبا وسلك نظامهم مأكولا ومشروبا وباين أوضاعهم كل المباينة ، وأظهر ما كان منه من الحقد والمغابنة وقد ساعده السلطان فى تحصيل أغراضه ، واصابة سهامه لما نصبه من أغراضه ، وزين له ذلك وغواه وحسنه ، وفى شركه ألقاه ، فلبس لباس الباشوات ، فضلا عن الامراء ، أظهر كمال الشهامة والسطوة ، حتى قهر جميع الكبراء، وكان يركب ركوب الوزراء ذوى المراتب السنية ، ويتصرف تصرف الملوك أرباب الولايات الحقيقية ، واستولى على جميع ملبوسات أحمد باشا المذكور وصار الآمر الناهى ، بعد أن كان هو المأمور • وقتل أكابرها [(١)] وأخيارها، وصادر أعيانها وتجارها وقتل جملة من الاعيان المعتمدين ، وطائفة من التجار الواردين وجماعة من العلماء الاعلام وفرقة من مشايخ الاسلام خصوصا مولانا شيخ مشايخ الاسلام مفتى بلد الله الحرام ، وحيد أهل التصنيف والانشاء والتأليف الشيخ عبد الرحمن بن مرشد مفتى الحرمين ، وعين الانسان بل انسان العين تغمده الله بالرحمة والرضوان ، ونهب [(٢)] أموال الناس ، وأكثر من الضرر ، والبأس وزاد طغيانه ، وفشابهتاته ، وسبامنهم الحريم ، وأذل الكريم وأهان العزيز ، وحقر العظيم ، حتى فر من مكة غالب سكانها وهاجر منها أماثل أعيانها ، ولم يزل مظهرا فيها بدائع الجور والاعتساف ، وعائب البغى ، والعدول عن الحق والانصاف فبدلت

(*) أشراف مكة : ينتسبون الى على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء وقد كان مركز حكمهم مكة ، ولم يكن منصب شريف مكة وراثيا ، لكن الأمر كان شورى بين الأشراف فيجتمع كبارهم عند خلو منصب الشريف ويختارون من يعتقدون فى صلاحيته .

(١) اى اكابر مكة .

(٢) بالأصل وعنب وصحتها ما أثبتناه .

مكة بعد الامن بالمخاوف ، حتى أن اليوم يمر ولا يرى بالبيت الشريف طائف ، وجرد نفسه للانتقام بمن معه من الاجناد من أهل بيت الله الكريم ، فى الصدور والايراد واقتراف القبائح الفظيعة ، وارتكاب المهملات الشنيعة ولم يزالوا مع الاسوأ فى أمره ، مقهورين فى أسره ، يرجون منه الفكاك ويتمنون له أو لأنفسهم الهلاك ، حتى أغاثهم الله سبحانه وتعالى بوصول قانصوة باشا ولاية اليمن المتقدم ذكره ، الشائع فى العاملين بين الناس فخره الى مكة المشرفة متوجها الى أراضى ولايته حقق الله تعالى له جميل سعادته فوجد مكة قد تغيرت أحوالها ، وزادت عن العادات أهوالها [١] فأنكر قانصوة باشا تلى الاحوال ، وسأل عن سبب تناقص هذه الخلال فأجيب [٢] بما يطول شرحه مما اختصرناه [٣] وما يؤدى الى الهلك [٤] لو كنا على حقيقته ذكرناه .

ثم خرج اليه أهلها متظلمين ومن السيد أحمد مستصرخين ومن أفعاله باكين ، ومن تصرفاته شاكين وأنهم يبكون الدماء بدل الدموع ، وليس لهم فى مدته قرار ولا هجوع وسألوه أن ينقذهم من دولته ، وأن يغيثهم من قهره وسطوته فقد أنفذ سهامه فيهم ، وفتك ، ولدماء علمائهم ، وأعيانهم [٥] قد سفك ، وأنه بالغ فيهم بالقبائح والشرور، والاضرار وارتكاب الزنا والفجور ، والقتل والنهب فى الليل والنهار، وأن الناس معه على غير ذمة ولا عهد ، وأنه مغرور بمن معه من الطوائف والجنود ، وأنه بعد اليوم ان تركه ، تركت مكة ، وامتنع عنها الحجاج وحصل لآلها غاية التشتيت والهجاج ، فعند ذلك دبر مولانا قانصوة باشا فى قتل أحمد وتنظيف مكة « من » [٦] السيد أحمد ، [٧] ومن هذه

---

(١) بالأصل « وأهوالها » وحذفت الواو لتستقيم العبارة .
(٢) بالأصل « فأجاب » .
(٣) يبدو من هذه العبارة منهج المؤلف فى اختصار الأحداث كما قدمنا .
(٤) بالأصل « الملك » وصحتها ما أثبتناه .
(٥) بالأصل « وايهانهم » وصحتها ما اثبتناه .
(٦) أضيف ما بين الحاصرتين لتكمل العبارة .
(٧) بالأصل « وأخرج » .

الطوائف قصداً لأمن أهل الحرمين من المكارة والمخاوف ، وقتل السيد أحمد ، وأخرج تلك الطائفة المعلومة مع طائفتــه ، وجعلهم من جملة العساكر المسافرين مع [١] جماعته وولى مكة المشرفة الســيد مسعود ابن السيد ادريس [٢] وطهر مكة من أهل الفسوق والشقاوة والفجور والتلبيس واستقام شأن مكة مع غاية الانتظــام ، وذهبت الاكدار وأشرقت بعد الاظلام ، ورجع اليها أهلها منكل مكان ، ونادى السيد مسعود فيها بالامن والامان .

ثم سافر قانصوة باشا الى ولايته بلغه الله مراده وأدام لحظة فى حركاته واسعاده .. ومعه هذه الطوائف أهل الافساد وجميــع العساكر والاجناد وصلحت مكة فى الباطن والظاهــر ، وقرت العين ، وانشرح الخاطر وطابت نفوس أهلها وسكن روع أحقرها وأجهلهــا وأجلهــا .

ولميزل قانصوة مسافرا بعساكره* مقبولة جميع أفعاله وأوامره حتى وصل اليها [٣] ونزل بمن معه عليها وقاتل طوائف الخارجين [٤] وفرق جميع الفرق المارقين ، ودق طبول الحرب [٥] والجهاد ونشر أعلام القتال على رءوس العساكر والاجناد ، ونصبت ميادين المحاربة،

---

(١) بالأصل « من » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) عن اشراف مكة ومنازعاتهم راجع :
عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد .
، أحمد بن زينى دحلان : خلاصة الكلام ص ١٦ ، ص ٥٠ .

(٣) أى الى اليمن .

(٤) طوائف الخارجين أى المتمردين على سلطة الدولة .

* وفى حملات قانصوة باشا هذه يبدو بوضوح الضعف الذى أصاب الدولة العثمانية منذ نهاية القرن الســادس عشر ، وسريان الفساد الى الجهاز العسكرى فيها مما أدى الى طغيان الجند وخاصة من الانكشارية الذى استفحل منذ أوائل القرن السابع عشر وفيما ذكره المؤلف هنا صورة واضحة لفساد الجند الذين انضموا الى الشريف أحمد عبد المطلب ضد ابن عمه الشريف محسن وكانت هناك أعداد منهم منضمة الى امام اليمن.

(٥) كرر كلمة الحرب فحذفت الثانية .

وأظهر نفسه للقتال والمضاربة ، وأبادهم بالسيوف جماعات ، وانهزم منه بعض الطوائف فى تلك الجهات [١] وملك بعض القلاع ، واستولى على بعض القرى والضياع من تلك الاراضى اليمنية ، والاقطـار ، بلغه الله نهاية الاوطار ، وهو مقيم بالمحاربة على باقيها ملكه الله جميع ما فيها ، وأعادها لعى يديه فى تصرف سلطانه [٢] وأجناده وعساكره ، وأعوانه بمحمد وآله ، ومن على منواله آمين .

وفى سنة ثمان وتسع وثلاثين وألف [٣] كان أمير الحاج رضوان بك الشهير بأبى الشوارب ، صاحب القوة والصولة وحب الرئاسـة والدولة ، الشـجاع المهاب المقدام ، الفارس البطل عند النزال [٤] « وكان » [٥] له حب شـديد فى البناء ، والعمارات ، وجمع الاموال والالتزامات .

وفيها حصل للحجاج غلاء عظيم فى الازواد بسبب غرق المراكب [٦]

---

(١) فشلت حملة قانصوة باشا الى اليمن ، واستولى الامام على جميع اجزائها .

عن الحكم العثمانى فى اليمن راجع :

دكتور سيد مصطفى سالم : الفتح العثمانى الأول لليمن .

عن ولاية قانصوة بك لليمن والانعام عليه بالباشوية راجع :

مصطفى الصفوى الشافعى : صفوة الزمان ص ١٦٢

احمد عبد الغنى : أوضح الاشارات أحداث ١٠٣٤ هـ .

(٢) هو السلطان مراد الرابع الذى حكم من ١٦٢٣ م — ١٦٤٠ م وقد شهدت الدولة العثمانية فى عهده فترة تعتبر طفرة بين فترات الضعف التى بدأت فيها بعد انتهاء عهد السلطان سـليمان القـانونى واستمرت بعد عهد مراد الرابع .

(٣) أى فى السنوات سنة ١٦٢٨ هـ ، سنة ١٦٢٩ م .

(٤) بالأصل عند « اللزام » وصحتها ما أثبتناه .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٦) كان أمير الحاج يرسل الغلال سـنويا من مصر الى الحرمين الشريفين وتخزن تلك الغلال فى القلاع على طـريق الحاج فى المويلح ، نخل ، العقبة ، والينبع هذا عدا ما يرسله الى مكة رأسا .

وعدم وجود شيء فى البلاد ، واشتدت من ذلك على الحاج الاهوال • وضاق الامر على الرجال والجمال •

وفيها حصل بمكة سيل عظيم ، ومطر وابل جسيم تهدمت منه بمكة غالب الاماكن ، وخربت منه معظم المساكن ومات تحت الردم خلائق لا تحصى ، وأطفال من مكاتب التعليم لا تستقصى ، ومات به خدم ومخدومون ، وسادات ومنسوبون حتى ارتجت قلوب أهل مكة فى وقع ذلك حين تحققوا تلك الاهوال والمهالك ، وسقط بناء البيت الشريف ، من الجوانب الاربع وانخسفت أرضه حتى كان الارفع • ولم يبق من بناء البيت الا بابه ، وركن الحجر الاسود ، فانه لم يسقط •

واستمر الماء والوحل بالبيت والمسجد الحرام أياما وحصل منه غاية الضرر والايلام •

ثم كاتب شريف مكة (١) وزير مصر (٢) فى (٣) ذلك ، فراجع مولانا السلطان فأمر باسراع البنيان ، ولم يعهد مثل هذا الهدم ، فى غير هذا الزمان ، فانه تقدم لبيت الشريف هدم « كان » (٤) تارة من بعض حيطانه ، وتارة من أسفل جدرانه ، وتارة من بطنه ، أو من خلفه، وتارة فى سقفه ، أو فى سطحه ، وتارة يسقط منه (٥) بعض أحجار من ظاهره ، وتارة منباطنه بأوله أو بآخره ، ولم يصدر هدم استأصل معظمه ، وأوجب ما حصل به للسلطان من المكرمة حيث بناه من أمواله• وبادر الى القيام بعمارته بجماعة رجاله ، وصار بعد من الذين بنوا البيت الشريف ، وظفروا بهذا السعد المنيف •

---

(١) المقصود الشريف مسعود .

(٢) وزير مصر وقتها هو محمد باشا طبان ومدة ولايته ١٤ صفر سنة ١٠٣٨ — آخر ربيع آخر سنة ١٠٤٠ هـ — ١٣ أكتوبر ١٦٢٨ — ٥ ديسمبر سنة ١٦٣٠ .

(٣) بالأصل « من » وصحتها فى

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٥) بالأصل « من » وصحتها ما أثبتناه .

ومن بديع الشأن ، وحوادث الزمان ، أن هذا الهدم ، استأصل جميع بناء الحجاج [١] واجتز الآثام وطهر الله البيت الشريف من ذلك البناء، وحصل ببناء السلطان غاية المنى[٢] قال بعض العارفين «أن»[٣] هذا السيل كان طهارة [٤] لبيت الشريف من بناء الحجاج المشهور بالعناد ، والشرور والفساد سفاك « الدماء » ولم ينزل السيل من البناء ما كان [٥] من بناء عبد الله بن الزبير [٦] فان ركن الحجر الاسود من بنائه •

واهتم بالامر وزير مصر [٧] وجهز له الآلات والمعلمين والفعلة والمهندسين وما يحتاج اليه فى ذلك الحال ، من الآلات والاموال ، وعين فى ذلك رجلا كبيرا من أغاوات السلطان يسمى الامير رضوان ، وقام بهذه الخدمةحتى بناه على الوجه المقبول ورمموا بالمسجد الحرام جميع البناء المهول • وظفر سلطاننا بهذه المنقبة ، وفاز بعظيم المرتبة[٨] حتى

---

(١) بعد أن هزم الحجاج بن الزبير وقبض عليه وقتله سنة ٧٣ هـ وصلبه بمكة ، هدم بناء ابن الزبير من الكعبة فى سنة ٧٤ واعاد بناءها .
لاستيفاء هذا الموضوع راجع :
الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٥٥ ، ص ٥٧ — والسيوطى تاريخ الخلفاء ص ١٤١ — والذهبى تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٦٥

(٢) بالأصل « المنا » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتكمل العبارة .

(٤) بالأصل « طهره » وصحتها ما أثبتناه .

(٥) بالأصل « الا ما كان » وصحتها ما أثبتناه .

(٦) قام عبد الله بن الزبير أثناء عهده ببناء الكعبة فقد هاجمت جيوش الشام فى عهد يزيد بن معاوية الكعبة ، التى تحصن بها ابن الزبير وأحرقتها فتركها ابن الزبير على حالها ليشنع بذلك على أهل الشام ، فلما مات يزيد هدمها الى الأرض وبناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين .

(٧) ذكر صاحب أوضح الاشارات ص ١٤٢ أن هذا الوزير « محمد باشاطبان قد جهز من ماله ستة آلاف شريفى لعمارة البيت الحرام .

(٨) اهتم السلاطين العثمانيون دائما بتعمير الحرمين ، وأشهر من قام بذلك السلطان سليمان القانونى « المشرع » الذى أمر بتغيير =

صار داخلا فى عداد من بنوا [١] البيت الكريم ، ومن حصلوا [٢] هذا الفضل العظيم خلد الله تعالى ملكه وسلطانه ، وأعز أجناده وأعوانه آمين •

وفى سنة أربعين وألف الىسنة ثمان وأربعين وألف [٣] كان أمير الحاج الحسن الاقوال والافعال صاحب الصنيع رضوان بك الفقارى المعلوم الحال ، صاحب الصنيع المشكور ، والسعى المقبول المبرور الفارس المهاب الشجاع الاواب ، محب العلماء والصالحين والفقراء ، والضعفاء والمساكين ، والمجبول بطبعه على حب المآثر المحمودة ، والقربات الاخروية المشهودة والخيرات الواقعة فى محلها ، الصادرة لحسن نيته فى أهلها • المتقيد بأمورات العلماء ، وحملة القرآن ، والفقراء والمعدمين ، والاعيان ، والمتقيد بمورات موتاهم [٤] فى القبور وصرف مايحتاجون اليه من المصاريف، على الوجه المستور مع تقيده [٥] بتأسيس أنواع الخير [٦] وما فيه تنال [٧] الثواب والاجور • باذل الهمة العالية ، فى فعل ما يدوم ثناؤه ، وما يحمد فى الناس بقاؤه ، ولقد شمر عن ساق همته ، واجتهد بعظيم صولته ، وقام ببديع تدبيره وحريته وجرد سيوف مكارم أخلاقه وعزمه ، فى طريق الحجاج ، بفعل أنواع القربات [٨] وتحصيل مايدوم أجره فى صحائفه مع عالى الرتب،

= سقف الكعبة سنة ٩٦٠ هـ والسلطان أحمد الذى أمر بترميم ما تهدم منها سنة ١٠٢١ هـ والسلطان مراد الرابع الذى جدد الميزاب وأجرى عمارة هائلة فى الكعبة عقب السيل الكبير الذى حدث فى سنة ١٠٣٩ هـ.

(١) بالأصل « من بنا » .

(٢) بالأصل « من حصل » وصحتها ما أثبتناه لتستقيم العبارة .

(٣) اى فى السنوات من ١٦٣٠ — ١٦٣٨ ميلادية ونلاحظ هنا طول مدة أمير الحاج فقد تولى منصب الامارة ثمانى سنوات متصلة وذلك مرتبط بنجاحه التام فى أداء مهمته .

(٤) كرر لفظ « أمواتهم » بعد « موتاهم » فحذفته لتصح العبارة .

(٥) بالأصل « الخيور » .

(٦) بالأصل مع « تنفيذه » وصحتها ما أثبتناه .

(٧) بالأصل « كما قال » .

(٨) كرر لفظ « القرب » بعد القربات فحذفته وهو الأصوب .

وذلك من الترميم ، والبناء للآبار ، وتنظيف الطريق من الاوعار ، لا سيما الوعرات السبع وترميم ما درس من الآبار التى بها النفع .

وقد كانت تلك الوعرات قبل ذلك مجهدة لأهل الحجيج ، موجعة للجمال والرجال ، كثيرة المشاق والمتاعب والضجيج . وقطع نقب على المشهور * الذى حصل بقطعه للحجاج غاية السرور ونظف عقبة السكر الكثيرة الرمال والاحجار الشاقة على جميـع الجمـال والرجال وبنى النواطير (١) بالمنصرف (٢) كالعلامات . وكان الحاج لسعته يضل فيه، وتعظم عليه المشقات فلا يهتدون لسلوك الطريق ذهابا ولا ايابا ويلحقهم بالاضلال انكادا (٣) واتعابا . وعمر بالحرمين الشريفين ، وقام بجملة من الترميم ، وأصلح ما احتاج اليه الحال من العمارة فى الحجرة النبوية والترخيم (٤) .

وفى كل عام خيراته بطريق الحجـاج متجددة ومآثره الباقيـة أجورها مدى الايام متعددة يسر الله له مرامه ، وأسعد لياليه وأيامه.

---

(١) علامات ليهتدى بها الحاج وهى تشبه شكل طواحين الهواء ، وقد وجد ثلاثة نواطير فى المنطقـة ما بين عجـرود ، ومحطة المنصرف .

(٢) المنصرف : أرض ذات رمال دقيقة بيضاء ، وليس بها أشجار ولا طير وتقع ما بين عجرود وقلعة نخل ، وهى احدى المنازل أو المحطات على طريق الحج من مصر الى مكة .

(٣) بالأصل « انكار » وصحتها ما أثبتناه .

(*) نقب على : ممر صعب بين جبلين شاهقين فى طريقه كثير من الأحجار الضخمة وهو يقع فى الطريق ما بين المدينة المنورة وينبع .

(٤) الحجرة النبوية الشريفة بالمسجد المدنى بالمدينة المنورة وبهـا قبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد توفى الرسول الكريم فى هذا المكان من المسجد النبوى بالمدينة يوم الاثنين ١٢ ربية أول سنة ١١هجرية ودفن فيه فى اليوم التالى لقوله عليه السلام « ما قبض نبى الا دفن حيث قبض » .

وقـد اهتم الملوك والسـلاطين والأمراء بعمـارة الحجرة الشريفة وتزويدها بما يضفى عليها الجمـال والفخامة من شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة ، ومصاحف مرصعة ، وتحف فاخرة

ووقع فى أيام امارته فى سنة احدى وأربعين وألف(١) وهى السنة الثانية من حجة أميرا على الحاج « أن »(٢) رجع من عسكر قانصوة باشا الذين كانوا توجهوا معه جماعة من الاشقياء المدعين كمال الشجاعة(٣) حين طال عليه الامر واشتد ، وباب الفتح عنهم لشقاوتهم قد انسد فاجمعوا الرأى بينهم أن يخرجوا بدون معرفته فارين ومنه لجهة مكة هاربين لملك مكة المكرمة ، والبغى والفجور بتلك الاراضى المعظمة فلم يزالوا فى الجبال مقيمين بالنهار ويقطعون الليل بالاسفار حتى وصلوا الى مكة ، ونصبوا بظاهرها الحروب(٤) وأظهروا مزيد المقاتلة ، وارعاب القلوب ، فخرج اليهم أشراف مكة ليصدوهم عن هذا الامر الخطير ويمنعوهم عن هذا التدبير ، فوجدوهم قد أرسلوا طائفة منهم لبندر جدة المعمور(٥) وتجاهروا فيها بالاسواء والشرور ، ثم وضعوا أيديهم على جميع آلات الحروب المقصودة التى وضعها السلاطين المتقدمون بها ، وجعلوها لدفع الاعداء عنه معدودة ، وأخرجوا جميع الاسلحة والمدافع ، وتوازعوها وأخرجوا أهل البندر عن دورهم

---

(١) اى فى سنة ١٦٣١ ميلادية .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) بالأصل « الشاعة » وصحتها ما أثبتناه .

(٤) كتب عنوان جانبى « ما هو بأول فساد وقع من العساكر الاشقياء فهكذا اطردت عادتهم ، حتى أباد الله شأفتهم بظهور العساكر التعليمية ، والجنود المصرية ، فهم الآن خير الأجناد طاعة ، واشدهم قوة وشجاعة ، ت. ح. ع وهو يشير الى انضباط الجند فى عهد محمد على ويقارنه بما كان عليه الجند العثمانيين من فساد أشرنا اليه سابقا.

(٥) جدة : من أهم الثغور فى بلاد الحجاز ، وقد زاد عمرانها وعظمت أهميتها فى العصر العثمانى، وكانت مركزا تجاريا هاما للصادرات والواردات التى أهمها أصداف اللؤلؤ والمرجان ، واليسر ، والسبح والأقمشة الحريرية ، والعطور ، والتوابل والجلود ، والبن وواردات أخرى من الشرق ، وكانت تجارتها تروج تماما فى موسم الحج وتتبع فى الحكم والادارة الدولة العثمانية ، وأهم أعمال تلك الادارة مباشرة الجمارك فيها ، ووجدت بجدة قلعة بها قوة عسكرية لتوفير الحراسة اللازمة .

وعنهم منعوها واستولوا على ما بها من الارزاق من غير مخـافة ولا اشفاق ، وقتلوا أعيان تجارها (١) وأماثل أهلها وأخبارها ، وصادروا بها من أرادوا ، وقتلوا فيها وأبادوا ثم ان الطائفة الواردة من تلك الديار تتابعت شيئا فشيئا ، واجتمعوا خارج مكة بالاكثار . فخـرج اليهم أشراف مكة وعساكرها ، وسألوهم فى الكف عن المحاربة والوقوف عن فعل المنكرات ، وترك المضاربة ، فلم يمتثلوا ذلك وأبوا الا القتال وتملك مكة من سلطان الاسلام بمن معهم من الابطال ، فعنـد ذلك بارزهم عساكر الدين ، وأشراف مكة والسـلاطين (٢) والتحم بينهم الحـرب والجهـاد ، وما قضـاه الله تعـالى لا دافـع له ، ولا راد فقتلوا بعد المحاربة ، أشرافها وأخافوا رعاياها ونهبوا أطرافها، وقعطوا السبيل وأكثروا من التضليل ، وتظاهروا بالعصيان والمخالفة للسلطان، وتجاهروا بالطغيان وبالغوا فىقتل المسلمين وارتكاب الفجور بنساء العالمين ، وتملكوا بيدهم العادية مكة وجدة وتجاوزوا فى البغى والظلمبعد الاشراف العساكر المحافظين بندر جدة (٣)، ومكةوالملازمين ونهبوا أرزاق أهل مكة واستأصلوا وأسرفوا فى القتل حين دخلوها ، وقتلوا أيضا جماعة الحجاج والمجاورين وسفكوا دماء جماعة من العلماء

---

(١) بالأصل « تجاورها » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) السلاطين هنـا لقب لأشراف مـكة وقد وردت كثيرا أسماء أشراف مكة مقرونة بلقب السلاطين وخاصة فى المصادر التاريخيـة للقرن السابع عشر فقد ذكر الصالحى فى تاريخه ص ٣٦٦ عى سبيل المثال فى أحداث سنة ١٠٩٩ هـ « تشاع أخبار بأن سـلطان مكة المكرمة السـيد أحمد بن السيد زيد توفى الى رحمة الله » .

(٣) أشير الى ميناء جـدة باسم بندر لكونهـا مركزا تجـاريا فقد استخدم العثمانيون لفظ « بندر » — المأخوذ عن بندركاه الفارسى بمعنى ميناء للتجارة — للاشـارة الى الموانى التجـارية مثل السـويس وجـدة والاسكندرية .

راجع :

دكتورة ليلى عبـد اللطيف : موانى مصر فى العهـد العثمانى فى : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ص ١١١ وما بعدها .

والصالحين ، ولم يراعوا حرمة البيت والمقام ولا تذكروا مواقيت البغى والانتقام ، بل قتلوا فى يوم واحد ثلاثة عشر نفسا من سلاطين مكة الاشراف وجماعة من أتباعهم الاعيان غير الاطراف ، خارجا عن عساكرهم المكية وعساكر السلطنة العلية وزاد فى قتل أعيانها والسلاطين، ومصادرة ذوى الاعراض والاساطين وهجموا على أمير اللوا مصطفى بك الذى كان محافظا بجده (١) مع عساكره «فى» (٢) المسجد الحرام وقتلوه (٤) وقتلوهم بلا ارهاب ولا احجام ، وأراقوا الدماء فى الحرام، وقتلوه (٣) وقتلوهم بلا ارهاب ولا احجام ، وأراقوا الدماء فى الحرم، وأسالوا حول الكعبة دماء المسلمين ، واستحلوا من حرم الله التحريم، واستباحوا الاموال ، وسبوا الحريم واجترأوا أعظم الاجتراء ، وارتكبوا حوادث (٤) الفجور ، وسابقوا بخيول الفساد والشرور ، وصاروا قائمين بسوق الفساد والقبائح وتصدوا لاساءة أهل الحرمين، مع الفضائح ، وزين لهم الشيطان شنيع حالهم ، وحسن لشقاوتهم بشيع أعمالهم ، وأهانوا عزيز الاقوام ، وقابلوه بالمعاقبة على الدوام، وأذلوا علماءها ، وحقروا صلحاءها ، وصاروا يخرجون العظيم من بيته، ويستولون على جميع أمواله وأرقائه وحريمه وعياله ، ويتباهون بالزنا وشرب الخمور ، ويتفاخرن بقتل الانفس ، والبغى والفجور ، وانتزعت الرحمة من قلوبهم ، وصار الشقاء غاية مطلوبهم ، فلا يوقرون ذوى البيوتات والهيئات ، ولا يراعون عالما ، ولا صالحا بل يقابلونه بأنواع المعاقبات ، وتعطلت شعائر حرم الله الرحمان ، وانتهك (٥) حرم الملك الديان (٦) واختلت جهات الدين بالمسجد الحرام بسبب أفعالهم التى لم

---

(١) محافظ جدة اى باشا جدة أو الوالى فيها ، وكانت الدولة العثمانية تعهد بولاية جدة الى البكوات المماليك الصناجق .

(٢) بالأصل « عساكرة » وأضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) بالأصل « وقتلو » وصحتها ما اثبتناه .

(٤) بالأصل « حواد » فأكملنا الكلمة كما أثبتناه .

(٥) بالأصل « وانتكهت » وصحتها ما اثبتناه .

(٦) حرم الملك الديان : أى الحرم الشريف بمكة .

يصدر نظـيرها فى صدور الاســلام ، ومع ذلك فبغيهـم فى ازدياد ، وشقاوتهم تجل عن الحصر والتعداد وفى كل يوم يصبحون فى تدبير جديد ، وسوء للمسلمين ، وأضرار فى مزيد ، حتى احترقت أكباد تلك الاقطار وتمزقت من مكة تلك الشـعائر [١] فاستوطنوا مكة ، وملكوها وجدة المعمورة وانتهكوا وأسروا أهل البلدين المذكورتين ، وأبلوهما دما بدل الدموع من العين ، كأن لم يكن لأحديهما بهما ذمة تحفظ ولا عهد يرعى ويلحظ ، وأقاموا بجدة جمـاعة محافظين ، وأقامـوا هم بمكـة محاصرين ، وجعلوا منهم صنجقا بمكة وآخر بجدة [٢] .

وأظهروا فى كل أمورهم غاية الشدة ، وصار الامر بينهما مشتركا فى جميع العلاقات وما ينشأ عنهما من الاساءات والمعاقبات ،واستمروا على أحوالهم الشاقة وفشا [٣] فجور طوائفهم المارقة ، وعتوا فى أمر ربهم ، وعظم فى القبـائح أمر حـزبهم ، وانضم اليهم فى فسـادهم وافسادهم اخوان للسيد أحمد المقتـول [٤] بسبب قانصـوة السابق المجاهـد فى بلد اله الحرام بسـيوف بغيه ، وهم منـه أشقى وأقبح وقتلهم كان للمسلمين أنفع وأصلح فصاروا يجتهدون فى تسليطهم على أهل الحرمين ويحسنون اليهم الاساءة عليهم ، وذلك فى نظير شكايتهم فى أخيهم المذكور لقانصوة باشا صاحب العمـل المبرور • وزعموا أن جدة المعمورة ومكة المشهورة صارتا تحت قهرهم وسلطانهم ولا سبيل لاهلهما غير الدخول فى أمانهم وأن عساكر مولانا سـلطان الاسـلام لا تصل اليهم ، وأنه عاجز عن اخراجهم منها ، والوفود عليهم وأمنوا مكر الله الكريم القادر ، وشوم ما عطلوه من حـرم الله من الشعائر

---

(١) يقصد شعائر الحج ومناسكه .

(٢) أى نصبوا حاكما منهم لجدة وآخر لمكة .

(٣) بالأصل « وفشى » .

(٤) يقصد بالسيد أحمد هذا هو أحمد عبد المطلب الذى ثار وتمرد على ابن عمـه الشريف محسن فى ١٠٣٧ هـ — ١٦٢٧ م وانضم اليـه المفسدين من الجند فقضى قانصوة باشا الصنجق المملوكى على حركته فى أثناء توجهه الى اليمن لمحاربة الامام الزيدى الخارج على طاعة الدولة بها

وغرتهم الايام والليالى وغفلوا عن ما حــل بالاقوام الخوالى ، ولم يزالوا راتعين فى الضلالات ، ســالكين سبيل الغــواية والشقاوات ، وهم مقيمون على اكتساب كل أمر قبيح ، وحال فظيع شنيع ، وقبيح حتى وردت الاخبار فى السنةالمذكورة ، فى شهر رمضان للديار المصرية لوزيرها وكيل مولانا الســلطان (١) ولجميع الامــراء المحافظين (٢) والاعيان ، وأرباب الحل والعقد ذوى الشأن بجميع ما نقلناه وما من أحوالهم لخصناه لكن على وجه التفصيل (٣) وما حصل لاهل الحرمين من حقير وجليل ، وتواترت « الاخبار » (٤) بالاســتيلاء على أشرف البقاع ، وأعظم أماكن الفضل والاجتماع طوائف البغى ، والفجور ، وقتل الاشراف المكية ، وعظائم الامــور ، وقتــل الامراء وعســاكر السلطنة واخافة جميع أهل تلك الامكنة ، وقطــع الطريق ، واضرار الرفيق ، وانهم قد هجموا مكة بلد الله الحرام ، وقبلة الدين والاسلام وتعدى الاذى والاضرار بالمحاصرة أيضا لبلد المصطفى المختار ، وأنهم أرسلوا طائفة لحصار المــدينة النبوية والاســتيلاء على ما بالحجرة الشريفة من الاموال ، والعروض المحمية ، وأنهم يريدون أن يستولوا عليها ، وتصل أشقياؤهم اليها ، وأن يفعلوا بها كما فعلوا بمكة شرفها الله وحماها ، ومن طوائفهم الخوارج أخلاها ويحتاطوا بجميع ما فى المدينة ، كما فعلوا ببندر جدة المعمور ، وصيروا جميع مابأرض الحجاز منهم المحصور ، وتقررت عند وكيل السلطان وزير مصر هذه الاخبار

---

(١) كان باشــا مصر ووكيل الســلطان خليل باشا ومــدة ولايته (١٠٤١ هـ — ١٠٤٢ هـ) — (١٦٣١ م — ١٦٣٣ م) .

(٢) الأمراء المحافظين أى البكوات المماليك الصناجق .

(٣) خرج المؤلف فى وصفه لهذه الثورة عن الخــط الذى التزمه دائما وهو اختصار الاحداث ، ربما لأنه رأى فى هذه الثورة تهديدا كبيرا للحج وتعطيلا للحجاج عن أداء فريضة الله . وهو الموضــوع الذى كان يهمه كمسلم ، ويتصل به موضوع كتابه اتصالا مباشرا .

(٤) اضيف ما بين الحاصرتين لاكمال العبارة وتوضيحها .

الكاسدة (١) ، وانتشرت فى سائر الاقطار تفاصيل أحوالهم الفاسدة ، وحصل لاهل الاسلام مزيد الاعتبار وأجهدهم من ذلك الكرب ، وغاية الانكار ، وأن هذا أمر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال . وان المبادرة لازالة هؤلاء الطوائف من أشرف القرب، وأفضل الاعمال وتكرر على أسماع الناس ذكر هذه الاخبار المبكية للعيون ، والمورثة للحركة بعد السكون وحصل فى مصر غاية الاضطراب وكثر القيل والقال فى ذلك والاستعجال . فعند ذلك جمع مولانا وزير مصر يومئذ أمراء اللوا وغيرهم بلا امهال فانه أمر ليس فيه تراخ ولا اهمال ، فان مكة قبلة الدين وعز الموحدين ومهابط وحى رب العالمين كذلك بلد سيد المرسلين ، وعرض الامر عليهم ، وسألهم كيف التدبير وكيف يكون الحال فى تدارك ذلك وما اليه المصير ، فان السكوت عن ذلك قبيح العاقبة والعقول عند سماعة غائبة ، وينحرف لسماعه مولانا السلطان (٢) وربما جاء اليه بنفسه ، وقد صادق الزمان ، وجميع الامراء لكلامه سامعون ، وعن جوابه فيما يصير اليه الحال ساكتون يمعنون فى بعضهم النظر ، وينتظرون ما يكون من الفكر ، فأخذت الرحمة الايمانية ، والشفقة الاسلامية الامير قاسم

---

(١) اى اخبار الثورة التى قام بها لاشريف نامى ، الذى أعلن العصيان ، وجمع جموع المفسدين من أهل اليمن ومن الحجاز وهاجم مكة وقتل شريف مكة ومجموعة أخرى من الاشراف ومصطفى بك نائب جدة ونهب هو وأصحابه مكة وأسواقها وتولى منصب شريف مكة وساءت الاحوال كثيرا فأرسل خليل باشا حملة عسكرية من مصر فى ١٨ شوال سنة ١٠٤١ هـ بقيادة قاسم بك القاسمى ورصوان بك أمير الحاج الفقارى وانتهى الأمر بمقتل الشريف نامى بشنقه فى المعلا بعد هزيمته وأنصاره ونصب الباشا بدله الشريف زيد بن محسن وعادت الحملة من مكة فى غرة صفر سنة ١٠٤٣ هـ . وقد تولى الشريف نامى منصب شريف مكة مدة مائة يوم فقط .

عن هذه الثورة راجع :

احمد شلبى : أوضح الاشارات ص ١٤٤

، عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ٥١

(٢) السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠ م) .

بك السابق (١) ذكره مع كبره (٢) وانحطاط قواه ، ومزيد وهنه ، وثارت عنده الحدة التى تعترى خيار الامة ، والقوى الغضبية الدالة على علو الهمة ، وقال بقلب صادق فى الله متين ، مقال أهل النجدة والاسلام والحمية والدين ، ناظر الى مولاه ، مترقبا بذلك رضاه أنا أسافر الى هذا الامر العظيم ، وانتدب الى ازالة هذا الخطب الجسيم، وأرجو أن يكون على يدى انقاذ (٣) أهل جدة ومكة المكرمة من هذه الطوائف المجرمة ، واخراج هذه لافرق الباغين والطوائف الخارجين من تلك الديار الشريفة ، وطهارتها منهم ليكون لى عند الله تعالى فى الصحيفة ،و الله سبحانه وتعالى هو المعين ، فى الخلاص والنصرة على أهل الخروج المستفحلين فى بلد الله الحرام ، والمجاهدين بسفك الدماء واهانة الصلحاء والعلماء وطلب من مولانا الوزير قفطان السفر (٤) فأحضر له القفطان لوقته ، وابتدر فقام الامير قاسم ولبسه بغاية القبول والانشراح ، وأجاب سريعا داعى الفلاح ، وأيقن المسلمون بطلوع كواكب النصر (٥) واستبشروا بزوال ذلك الحصر (٦) وطابت نفوس العساكر حينئذ لهذا السفر المحمود ، واطمأنت خواطرهم للذهاب لقتال المتجاوزين للحدود . وأشار الامير قاسم بك على الوزير أن يلبس جملة من أمراء اللواء ذوى الشأن ، وجملة من أمراء الجراكسة (٧) أهل القدرة والامكان .

---

(١) قاسم بك الذى انتمت اليه فرقة القاسمية المشهورة .

(٢) بالأصل « مع كبر » وصحتها ما اثبتناه .

(٣) بالأصل « انفاق » .

(٤) أى الخلعة التى كانت تلبس للامير المسافر فى حملة حربية فالسفر هنا المقصود به السفر الحربى .

(٥) عن هذه الحملة راجع :
يوسف الموانى « ابن الوكيل » تحفة الأحباب ص ٩٥
، ابن أبى السرور البكرى : النزهة الزهية ص ٦٢

(٦) يقصد حصار مكة .

(٧) أى مجموعة من الأمراء المماليك الصناجق ذوى المناصب =

وهان الامر بعد اشتداده وكان للوزير على الامير قاسم المذكور فى ذلك عظيم اعتماده فألبس الوزير جماعة من الامراء كما ذكر وسارع كل منهم الى الاجابة وما قصر • وقصد أن يكون ذلك السفر لعسكر مصر تذكارا واقامة الوزير عليهم سردارا (١) وعين محمد بك ابن سويدان القبطان لجدة بحرا بالمدافع بمراكبه مع بعض العساكر لاجل هذا الشأن وحصل منه النفع العام التام والفتح لجدة العام وقبض على من بها من الطوائف الثام ، وأوقع فيهم القتل والانتقام•

وحين تعين العساكر للسفر واستقر على المعينين الحال ، كثر من العساكر فى أمر المصروف القيل والقال ، وطلبوا ذلك على العادة من الخزينة العامرة (٢) وألحوا فى طلب ذلك لاجل المبادرة ، فاقتضى رأى الامير قاسم بك أن كلا من المعينين يساع للصرف من أمواله على ما يحتاج اليه الحال من أتباعه وخيوله ورجاله وجماله ، وأن يجهز نفسه وما يحتاج اليه من المصاريف من عند نفسه ، وليس على جانب السلطنة شىء من هذه التكاليف (٣) سواء كان قليلا أو كثيرا جليلا كان أو حقيرا ويدخر جميع مصاريفه عند بارى البريات ويقدمه بين يدى يدى عمله مقبولا فى يوم الحسرات ، فان هذا السفر ليس كغيره من الاسفار لما فيه من الزيادة ، زيادة الثواب والاجور النافعة ، يوم العرض على الواحد القهار ، فامتثل لاجميع اشارة الامير وكان نعم المشير والامير ، وأظهر مع شيخوخته فى الله همته العالية ، وحماسته

= ومجموعة من الأمراء المماليك الجراكسة اى من ليسوا فى مناصب ادارية وقد سافر مع قاسم بك فى هذه الحملة رضوان بك الفقارى أمير الحاج يوسف بك ، محمد بك بن سويدان ، وعابدين بك ، وعلى بك .

(١) سردارا اى قائدا .

(٢) أى طلبوا نفقات الحملة من خزينة مصر التى تشرف على الواردات والمصروفات .

(٣) يشير هذا الأمر الى حالة الضعف والتدهور التى بدأت تعانى منمها السلطنة العثمانية منذ أوائل القرن السابع عشر اذ لم تعد حالتها المالية تسمح لها بتجهيز مثل هذه الحملات .

فى الاسلام العالية ، وانتدب لذلك أجل الانتداب وكان فى هذا الامر من أعظم الاسباب .

وانصدع قلبه لسماع ما حصـــل لاهل الحرمين ، وصـــار فكره عليهم رحمة وشفقة مشتتا فى ألف واد ، وأيقظه اله ونور بصـــيرته وطهر فؤاده ، وسريرته واجتهد العسكر فى قضاء مصالحهم ، وتحصيل أجورهم ، ومدائحهم ، وكان لهم على السفر مزيد الاقدام ، وشمروا عن ساق الجد والاهتمام (١) .

ثم ساروا صحبة الحاج الشريف (٢) فى ارادته قصدا كل منهم القيام بأوامر سلطانه ، وكان الركب الشريف قليلا جدا فانه لم يخرج من مصر تلك السنة أحد للحج خوفا من هذه القضية (٣) وفرارا من تلك البلية وكان الركب انما هو العسكر المنصـــور ، ولم يخرج غريبا عنهم الا الحجاج المغاربة فقط (٤) وكانوا قلائل جدا عن العادة وأمير الحاج يومئذ الامير رضوان الفقارى من جملتهم ، وداخـــل بعساكره مع قيامه بمنصبه فى عدتهم ، وكان له بحسن تفضلاته على العساكر شأن عظيم ، وبرعايته واحســـانه واستعطاف الخواطر أمر جسيم ، وسلموا الاقدار ، وفوضوا الامر للواحد القهار ، مهاجرين الى الله ورسوله ، مجاهدين بأنفسهم فى سبيله ، بائعين نفوسهم فى موجبات مرتضاته مشترين الدارة الآخرة بازالة مهتكى حرماته ، راجين من الله

---

(١) سافر جزء من الجند بحرا عن طريق السويس جدة .

(٢) وسافر باقى الجند مع رضوان بك الفقارى أمـــير الحاج على الطريق البرى المعتاد .

(٣) تتسبب أحداث الفتن والعصيان بمكة دائما فى تعطيل خـــروج الحجاج ، فأصبح ركب الحاج فى هذه السنة سنة ١٠٤١ يضم العسكريين فقط الذاهبين للقضاء على فتنة الشريف نامى .

(٤) لم يخرج حجاج من مصر فى هـــذه السنة ولم يذهب مـــع أمير الحاج رضوان بك سوى الحجاج المغاربة ، وكانت هذه هى عادتهم دائما لا يتخلفون عن الحج ، مهما كانت الأحـــداث ، وكذلك فعلوا أيام انقطاع الحج من مصر فى زمن الوهابيين .

كمال السعود فى الحركات ،وعظيم النصر ، والظفر فى هذه التوجهات يقطعون الفيافى والقفار بالتسبيح والتكبير والاستغفار ينزلون للراحة فى المنازل (١) ويقطعون (٢) بالرضى جميع المراحل حتى نزلوا وادى فاطمة (٣) المعلوم معتمدين على الحى القيوم ، وبقى بينهم وبين مكة مرحلة واحدة ، ومنزلة البيت جاهدة ، وأنفاس أهل الحرمين بالدعوات لهم متكاثرة وتضرعاتهم لمولاهم فى نصرتهم متظاهرة .

فنزل العساكر بالوادى المذكور مظهرين كمال البشر والسرور ، فأرسل الطائفة الفاجـرة ، وافدهم ، وجهـزوا للاحاطة بحقيقة حال الواصلين قاصدهم (٤) وأرسلوا طائفة منهم تمكث برؤوس الجبـال لتشرف عليهم بحيث لا يرونهم لمعرفة الاحـوال ، فوجدوا جيـوش المسلمين ، قد ملأت الوادى ، وتجاوزت لكثرتها ذلك البادى (٥) ومع ذلك فى كل وقت طائفة طائفة من العساكر المصرية تقبل ، وفرقة منهم بطرف الوادى تنزل ،وهى متتابعة من كل جانب ، ومترادفة لم يفتها غالب . وقد سدوا الوادى مـع اتساعه وتعجبـوا من سرعـة ذلك واجتماعه ، وقال لهم الرائد بالويل والثبور ، وأخبرهم القاصـد بما شاهد من عجائب الامور ، فعلموا أنهم المـدركون المأخوذون ، وأن جند الله هم الغالبون وأنهم لا قدرة لهم على مقاومتهم ولا اقتدار ، ولا سبيل لهم الى مصادرتهم ، ولا قرار ، وتحققوا الهـلاك ، وأنهم ليس لهم من المنيـة انفكاك . وأنهم لا شـبهة مقتولون بالرماح ،

---

(١) المنازل « جمع منزله » وهى محطات الحج المعتادة التى أقيمت لتوفير الراحة والامن لحجاج بيت الله الحرام فى المويلح، نخل ، ينبع ، رابغ ، والأزلم والعقبة وغيرها لمزيد من المعلومات عن هذه المنازل راجع: طريق الحج من مصر الى الحرمين فى مقدمة هذا الكتاب .

(٢) بالأصل « ويعظمون » وصحتها ما أثبتناه .

(٣) وادى فاطمة : أحد الوديان الشـهيرة ببلاد الحجاز وهو آخر محطات الحاج قبل دخول مكة المكرمة .

(٤) قاصدهم : أى رسولهم .

(٥) البادى : أى البادية أو الصحراء .

وأطراف السيوف ، وأن شموس تدبيرهم بغاية الكسوف فخرجوا من مكة مدبرين ، وولوا عنها مسرعين ولاهل مكة بأنواع العذاب متوعدين وأنهم بعد رجوع العسكر الى مصر يرجعون الى مكة . كما كانوا ، ويعاقبون أهل مكة بامعان بما عاقبوهم به سابقا وأهانوا ولم يتأخر منهم بمكة الا العاجز والمريض ، ووقع بغيهم فى الطويل والعريض .

والعساكر نازلون بوادى فاطمة بأخبارهم لا يشعرون وبهذه الاحوال لا يعلمون ، ودار الكلام بين العساكر وقت الرحيل من الوادى ، ومن يكون فى الهجوم على مكة هو البادى ، وكثر القيل والقال بين الامراء والخدام ، وأرباب الامراء ما رآه ومن تنتشر له الاعلام ، وتحيروا كيف يكون الوصول ، وتحير حالهم (١) فى الدخول ربما يكونون قد استعدوا بتركيب المدافع والآلات ومكة طريقها ضيق يعسر الدخول منه (٢) مع هذه الحالات ولا يمكن محاربتهم بالحصار من الخارج (٣) وما الطريق فى ذلك وما يكون له من المخارج ، ولاسبيل للرجوع بدون اخراجهم من بلد الله الحرام وازعاجهم ، وتنظيف الوجود منهم ولو بقتلهم أجمعين حتى ينزجر ويرتدع جميع طوائف الخارجين واضطربت من ذلك الخواطر ، وجالت الافكار والنواظر وظهر فى وجوههم العبوس ، وزاد قبض القلوب والنفوس ، فعند ذلك أرسل لوقته الامير قاسم السردار كما ذكرناه خلف أمراء اللواء الصناجق الكرام ، ووجهاء عساكر الاسلام فأتوا الى خيامه وجلسوا عنده ممتثلين لكلامه ، فقال نادوا هذه الساعة بالرحيل ، وتوكلوا على الرحيم الجليل ، سيروا حتى تدخلوا مكة المكرمة فى

---

(١) كرر كلمة « حالهم » فحذفنا الثانية .

(٢) قدم وآخر .

(٣) بالأصل « فى الخارج » .

هذه الساعات المعظمة ، وليكن كل منكم على الله معتمدا ، ثم أمر على بك الفقارى أن ينشر لواءه (١) ويسير وأن يتقدم فى الدخول والمسير ، وبعده باقى الجماعة أهل النجدة والشجاعة ، فامتثلوا أمره وساروا ولرضى الله قد اختاروا ، حتى أتوا الى مكة ، فدخلوها وطلبوا بها أماكن اللواء فنزلوها ، دخل كل من أمراء اللواء مكة ناشرا لواء نصره ضاربا طبوله ، وزمره وطائفته وعسكره (٢) أمامه وخلفه.

وقد أراد الله سعده وظهوره ، وتتابعت فى الدخول خلفهم العساكر الاسلامية ،وكان ذلك يوما مشهودا بين البرية ، وصدق الله تعالى فى الرؤيا ، وكان لله الكلمة العليا .

وحصل فى ذلك اليوم للعساكر الدعاء والثناء الجميل والخير الوافى ، مع الاجر الجزيل ، وشكروا الله على خلوها من الفرقة الطاغية ، والطوائف المارقة الباغية ، وأحمدوا الله تعالى على انعامه، وكمال فضله واكرامه ثم اجتهدوا فى اتمام حجهم مخافة الفوات (٣) حتى قضوا حجهم (٤) على أكمل الحالات ، وفازوا بالحج المبرور ، والسعى المشكور ثم ان العساكر أخذوا أخبار تلك الطائفة التى على الضلالات عاكفة ، ولاى جهة قد ذهبوا ولاى ناحية قد طلبوا ، فأخبر الرائد بأنهم ساروا حتى أتوا بعض القلاع بأرض الحجاز . وأقاموا بها لعلوها وبعدها ، ولكونها بغاية الاحتراز ، واستوطنوها حتى ترجع

---

(١) أن يفرد علمه أو رايته .

(٢) كتب « وعسكره وعساكره » فحذفنا الثانية لتستقيم العبارة.

(٣) فوات : هنا أى انقضاء وقت الحج . والفوات بمعنى فوات الوقت .

(٤) كرر كلمة « حجهم » مرتين فحذفنا الثانية لتستقيم العبارة .

العساكر ، أو يفنى جميع مصروفها ووارداها (١) ثم يرجعون الى مكة لقبائحهم وأذيتهم لاهلها ، ونشر فضائحهم، ويفعلون بها أقبح الفساد ويجاهدون فى جيران الله ، وفى جيران خير العبـاد ، والقلعة المذكورة ببلد يقال لها تربة (٢) أحرق الله قلبهم ، وضاعف حزبه ، «وقد» (٣) توهموا أن عساكر الاسـلام لا تصـل الى تلك النواحى وأن سهام جنـد الله تقصر عن مارق أو اباحى . فلما يزالوا سـائرين وخلفهم متبعين والى الله جل وعلا مسلمين ومفوضين ، حتى أدركوا القلعـة المذكورة التى بها قد تحصنوا ، وفيها بأعمالهم السيئة لسابق القضاء والقدر قد ارتهنوا .

فاقام العسكر المنصور تحت القلعة المذكورة أياما فى محاصرتهم ، واستمروا يرمون العساكر من أعاليها بالبندق والنشاب ، والعساكر يرمونهم ، وليس منهم من يصاب ، وصاروا يحاصرونهم مـدة (٤) أيام ويجاهدونهم بآلات الاعدام حتى أنهم ذلوا وسـلموا وصموا لقبائحهم وعمموا . فأوقعوا فيهم القتل والاسر والتأمين .

وخلت بقاع الارض منهم أجمعين ، ورجعوا بأشقيائهم الى مكة بالسلاسل ، والقيود وأنواع النكال فخرج أهل مكة لرؤيا هذه الطائفة شامتين ، وبخزيهم ونكالهم فرحين مسرورين ، يدعون للعساكر بأطول الاعمار ومزيد السعود وبلوغ الاوطار (٥) .

---

(١) أى ايراداتها .

(٢) تربة : احدى القلاع الحصينة وتقع على مسافة من جنـوب شرق مكة وقد كتب هامش جانبى « تربة فى عصرنا تحصن بها جماعة من الوهابية العـرب المنتمين للوهابيين وعسر اسـتخلاصها على العساكر المصرية ثم أخذت » ت. ح. ع .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتوضيح العبارة .

(٤) كتب « مرة مدة » فحذفنا الأولى لتستقيم الجملة .

(٥) بالأصل « الأطوار » وصحتها ما أثبتناه .

ثم صلبوا كرد محمود أشقى هذه الطائفة ، ورأس القبائح ، وداعية الفساد وهذه الفضائح ، وصلبوا معه أخوى السيد أحمد ابن عبد المطلب السابق ذكرهما من الاشراف ، وكانا الحاملين له على دخول مكة وارتكاب هذا الاجحاف (١) .

واشتفى أهل مكة من هؤلاء الطائفة على الوجه المتين وقطع دابر (٢) القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، وسمى هذا الفتح بفتح مكة الثانى . وتزايد فى أهل الاسلام فضلا عن أهل الحرمين السرور والتهانى ، وشكروا الله حيث جاء الامر على الحكم المسطور ولبندر جدة المعمور فانه باب أرزاقهم (٣) وساحل معايشهم وأغداقهم .

واستقامت الاحوال ، وانقضت تلك الاهوال وحصل بعد الخوف الامان ، بقطع دابر ذوى الطغيان (٤) وكان ذلك ببركة اخلاص قاسم بك السردار (٥) ودعائه للعساكر الاسلامية بالتأييد والانتصار ، وتقيده (٦) بالمسارعة لسلطان الوجود (٧) ، وقيامه بهذه الخدمة المقتضية لحصول السعود ، وبذلك أرضى الله سبحانه وتعالى ، وقهر أعداءه وخالف شيطانه ، وظفر بسعادة الدارين ، وقرت العينين .

ثم رجعت العساكر الى أوطانها بمصر منشرحين ودخولهم

---

(١) كان السبب فى تسليم هؤلاء العصاة كما ذكر فى بعض المراجع أن الحملة المصرية حاصرتهم فى قلعة تربة ، وقطعت عنهم الماء ، فلما اشتد بهم العطش ، وضعفت قوتهم ، توقفوا عن القتال ، وخرجوا من القلعة ، فأخذتهم السيوف من كل مكان ، وقد قتل الشريف نامى لأنهم أثبتوا عليه قتل شريف مكة ومصطفى بك .

(٢) بالأصل « دار » .

(٣) لأنه مركز تجارى هام .

(٤) بالأصل « ذى » .

(٥) بالأصل « السدار » .

(٦) بالأصل « وتقييده » .

(٧) كرر كلمة « الوجود » فحذفنا الثانية .

بالسلامة آمنين ، وكان دخولهم بمصر فى الاسلام عيدا ، وعزا ، وسعدا بأنواع السرور جديدا ، ولاشك أن ثواب ذلك مضاعف لمن كان فى ذلك هو السبب ، وبحسن نيته بلغ الارب ، وهو قاسم بك لمسارعته وقت اجتماع وعرض الامر عليهم فى الظاهر ، بالمبادرة الى طلب السفر من غير تردد ولا امعان النظر ، وأكد على الوزير فى اجابته لسؤاله ، حتى طابت نفوس العساكر من أمثاله ، واتعظ بهغيره من الامراء لكبر سنه وانحطاط قوته ، وزيادة وهنه (١) وعلموا أن ذلك أمر لابد من حصوله ، وشأن لابد لهم من وصوله فجزاه الله عن الاسلام والسلطان خيرا عظيما ، وبارك الله له فى أجله ، وأدامه نفعا عميما . فقد انتدب لهذا الامر المحمود وقام (٢) بأعبائه فى رضى الملك الودود ، لاسيما من غير تغريم لجانب مولانا السلطان ولا صرف شىء من خزائنه فى هذا الشأن .

وتقوية قلوب من سافر من العسكر لهذه السعادة التى بها يظل (٣) طول الزمان يذكر ، واراحة أهل الحرمين من الطوائف الخارجين ، وقطع أطماع الفرق المارقين ، فى تعديهم على مثل ماصدر من أولئك الفرقة الطاغية ، والطائفة الخارجة الباغية وعلى احياء ما تعطل من شعائر الاسلام والدين ، وعود مادرس من المشاعر فى بلد الله الامين ، وقد جمعوا بين رضى الله تعالى والسلطان والحج والجهاد والعمل المقبول ، الذى ليس له دافع ولا راد ، شكر الله مساعيهم الجميلة ، وتفضل عليهم بالهبات الجزيلة ، فمثل هذا الثواب الجميل (٤) مسطر فى صحائفه الكريمة مع أعماله الصالحة الجسيمة ، فان من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة بذلك أخبر سيد المرسلين وناهيك بها من كرامه ، وسيلقاه بين

---

(١) كتب « وزيادة هيبته وهنه » فحذفنا الأولى لتستقيم العبارة.

(٢) بالأصل « وأقام » وصحتها ما أثبتناه .

(٣) بالأصل « يطول » .

(٤) بالأصل « فمثل ثوب الجميل » وصحتها ما أثبتناه .

يديه ، جنة من النار وموجبا لرفع الدرجات بدار القرار ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويتبوأ مما اكتسبه خير صـــالح وما جناه ، فلا يفيده الانكار وتشهد عليه جوارحه ، بأفصح الاخبـــار ، يوم يتجلى الواحد القهار وينادى على العصاة بالبوار ، وتشتد الحسرات، وتكثر الندامات فياسعادة من أيقظه الله من نوم الغفـــلة ، ورضى قوله فى الدنيا وفعله ، ونظر لجانب الله خائفا من عقابه متذكرا يوم عرضه عليه وحسابه .

ثم ذهبت البشائر لمولانا ســـلطان سلاطين الاســـلام والدين حامى حمى الحرمين الشريفين ، بمزيد التأمين ، ظل الله على العالمين ومختاره من سلاطين الوجود أجمعين بعظيم نصر الله عساكره المنصورة، وقهر طوائف البغى والخروج الخاسرة المدحورة ، وانتظام أحـــوال تلك الديار ، وقيام تلك الاعلام والشعار ، وأنه كان بهـــذه الهيئـــة الاجتماعية من عسكره ، وهمم أجناده العالية ، معشرة ، ذل الاعـــداء وقهر المعاندين ، وقطع أطماع (١) الفرق الباغية والخارجين من التعرض بعد الآن ، لشىء من بلاده أو الاستيلاء على شىء من ملكة لكثرة أجناده وقيام ناموس السلطنة (٢) واحكام أساسها ، وحماية ممالكه ، واضاءة نبراسها ، وتأييده بالاجناد وعظيم مجده ، والاسعاد ، وان عساكره على قدم طاعته وانهم واقفون عند اشارته وامتثال ما يكون من أوامره، وتنفيذ مراده وحفظ مظاهره ، وأنهم لكمال الانقياد فى الصدور والايراد أدام الله تعالى نصره ، ورفعة شأنه وفخره ، ولا برحت ممالكه بغاية الحماية وخيله وجنده (٣) المفلح بمزيد العناية .

وحين تليت على مولانا السطلن تلك الاخبار السارة (٤) ، وصحيح تلك الهمة العالية البارة ، وامتثال الاوامر الشريفة الفاخرة وفعـــل

---

(١) بالأصل « طماعية » .

(٢) بالأصل « سلطنة » وصحتها ما اثبتناه .

(٣) بالاصـــل « وحيده » وصحتها ما اثبتناه .

(٤) السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ م — ١٦٤٠ م) .

ما اقتضى بسعادة الدنيا والآخرة فاستحسن ذلك الامر وشكر الصنيع، ودعا بالبقاء والمعونة والحفظ والسداد للجميع وانشرح لذلك خاطره، وقر مما ذكر ناظره ، وحصل له مزيد السرور والابتهاج بذلك والحبور، واثنى على وزير مصر (١) وعساكرها ، ومدح فعالهم من أولهـا الى آخـرها .

واستمر الامير قاسم بك منقطعا فى عباداته ، مقبلا على احيائه الليالى ، وتهجداته ، ملازما على محبة العلماء وأهل الصلاح والفقراء والمساكين وذوى النجاح قاضيا حوائجهم ، عند الامراء شافعا لهم ، فى تعلقاتهم عند الاعيان والكبراء امتع الله المسلمين بطول بقـائه ، ونفوذ كلمته ، وعلو شأنه .

وكان أمير الحاج رضوان بك الفقارى المذكور صاحب « اللواء »(٢) الشريف المبرور ، وظهر له من هذه السفرة شأن عظيم وخـير وافر جسيم ، فتفضل على جميع العساكر بأنواع الزاد ، وما يحتاجون اليه بالطريق والواد ، وأقرض بعضهم ، ووسع وعم بالهدايا الناس أجمع وكان له من الاخبار ، ما به تتشوق الاسماع ، وأظهر عند المحاصرة كمال الشجاعة ، وبارز البغاة مع الانقياد والطاعة ، وسارع للمحاربة وجرد نفسه للمضاربة ، وسل سيوف همته للقتال ، وأشهر آلات عزمه للنضال ، وواسى العساكر باحسانه وشملهم بهداياه وامتنانه ، وتأخر معهم بعود الحج عن أوانه المعتاد ، والرجـوع ولم يلتفت لزيادة المعروف ، حتى حصل النصر بالمجموع ، وكانت له فى هذه السـفرة اليد المباركة ، وكان منه بعض المعاركة ، وأجمع العساكر على الدعاء له ، والثناء عليه ، ومدحه بأفعاله المقتضية لتوجيه كل مجد اليه .

ولم يزل على امارة الحاج قائما يدعون الله ببقائه أميرا زاده

---

(١) بدات هذه الفتنة فى عهد خليل باشا (١٠٤١ هـ — ١٠٤٢ هـ) وانتهت فى سنة ١٠٤٣ هـ فى عهد جرجى أحمد باشا (١٠٤٢هـ — ١٠٤٥هـ)

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

الله خيرا ، وكان له نصيرا ، فانه نعم الامير ، مظهر الخير والمعـــروف وغياث الملهوف ، ملجأ الفقراء والعاجزين ، مرجع الضعفاء والمعدمين معطى النعمة حقوقها ، ولمستحقيها يحرص أن يسوقها ، ناظرا الى ما أنعم الله به عليه من الارزاق ، معامل خلقه بمزيد الرحمة والاشفاق، صدقاته عامة ، وخيراته تامة ، وشفاعاته مقبولة ، وعطاياه مبذولة اذا ذكرت له مكرمة أتاها ، ومنفعة قصدها ونجاها ، أوجهة خير من الخيرات فعلها أو (١) مأثرة من المآثر حصلها ، خصوصا ما يبقى ذكره بمرور الزمان ، وما تجرى خيراته فى كل عصر وأوان ويحمل فى كل عام لاهل الحرمين من أمواله صدقات (٢) كثيرة ، ويسوى اليهم خيرات شهيرة ملازما على خدمتها ، وخدمة أهلها على الدوام متوقعا بذلك رضى الملك العلام ، وأن يكون له بهـــا عظيم المآثر ، وشريف المناقب الحســـنة والمفاخر ، وأن لا ينقطع منها ذكره بل يضاعف عند الله ثوابه وأجره ، وأن يندرج فى عداد من صنع بالحرمين أثرا محمودا أو أنشأ أو جدد بطريقها خيرا يعم الانتفاع به مشهوداه ولم (٣) يزل على امارة الحاج قائما بحقوق امارته ، مطاعا فى قومه تقضى حوائجه بأدنى اشـــارته ، فاشتد منه غيظ (٤) بعض أعدائه وكثر نفاق بعض مدعى حبه عليه ، وكل ذى نعمة محسود ، والحسود لا يسود (وبغوا عليه) بغيا ظاهرا وعلى الباغى «تدور» (٥) الدوائر والبغى له مصرع يمزق الجلمود ، ودبروا سرا فيمـــا بينهم طـــريقا يكون فيها اخراجه من مصر مـــع ابعاده وتمزيق نعمته وبلاده وأظهروا ذلك فى مظهر عظيم قد اخترعوه، ومنصب شريف له ابتدعوه وهو باشوية الحبش وسواكن (٦) .

---

(١) بالأصل « اذ »وصحتها ما أثبتناه .

(٢) بالأصل « صدقة صدقات » فحذفنا الاولى وابقينـــا الثانيـــة لأنها الأصوب .

(٣) تولى رضوان بك منصب أمـــير الحاج هذه المـــرة ابتداء من (١٠٤٠ هـ — ١٠٤٨ هـ) — (١٦٣٠م — ١٦٣٨ م) .

(٤) بالأصل « حظ » وصحتها ما أثبتناه .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٦) باشوية الحبش وسواكن وتضم ولاية جـــدة وسواكن ويشار اليها أحيانا باسم ولاية جدة أو ولاية الحبش .

وأبرز كل من الحساد ما هو فى ضميره كامن وساكن وأوصلوا ذلك الى الابواب العالية على لسانه وسألوها فأنعمت عليه ، السدة العلية بالمثول وأرسلوها ، وحين وردت نصبوا له شرك الردى (١) قصدا لوقوعه فى المهالك بطول المدى (٢) وبالغوا فى التدبير ، بالاحالة بينه وبين أمواله ، واشتعال قلبه بنيران الشماتة به ، وتزايد أهواله ، وأجمعوا برأيهم الفاسد وعقلهم السخيف الكاسد ، على عدم دخوله مصر بالحاج، وقضاء مصالحه منها « ثم » (٣) التوجه لولايته المذكورة والرحيل ، فأرسلوا له الاوامر مع جملة من العسكر ، وأى محل وافقه تعرض عليه ، ويسلم المحمل (٤) ولا يخالف ولا يظهر غير الطاعة والقبول ولاي جازف « بالعصيان » (٥) فوافقه بمدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام (٦) وقرئت عليه «الاوامر» (٧) بين أعيانها وأمرائها، وأكابر ركب الحاج ، وجميع صلحائها وأمرائها وعلمائها .

فامتثل الامير رضوان الاوامر وقام من عندهم مكسور القلب والخاطر ، فوقف بغاية الذل والانكسار قباله وجه الرسول صلى الله عليه وسلم النبى المختار وشكى اليه هذه الاحوال ، وأرسل الدموع الغزار . وخرج بالحاج الشريف من المدينة قاصدا مصر سائلا من الله كشف « كربته » (٨) .

وكان من جملة تدبيرهم العائد عليهم لتدميرهم تعيين صنجق من صناجق الديار المصرية ، يتسلم منه المحمل ليرجع من أثناء الطريق

---

(١) بالأصل « الردا » .
(٢) بالأصل « المدا » .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين للربط بين الجملتين .
(٤) العائد من مكة بعد تسليم الكسوة .
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .
(٦) أى المدينة المنورة .
(٧) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .
(٨) أضيف ما بين الحاصرتين لاكمال المعنى .

لولايته الحبشية (١) فوافاه بقلعة الوجه المبارك (٢) محل ملاقاة(٣) الحج المعتادة • فسلم الامير رضوان له « فى » (٤) ذلك، وأظهر انقياده ثم استخار الله سبحانه وتعالى ، وما خاب من استخار فى الذهاب للأبواب العالية ، وبث شكوى حاله لمولاى السلطان ، سلطان الانام وعرض قصته على مسامعه الشريفة ، وتفصيل حالته على علومه المنيفة، رجاء التحنن عليه ، وايصال الرحمة اليه ، وسافر محتسبا بالله على من آذاه وعاداه (٥) مفوضا أمره بكسر خاطر الى مولاه ، وارتكب عامة الاخطار ، وتحمل مشاق الاسفار ، قاصدا تلك الديار الرومية ، والوقوف بالاعتاب العلية • ولما وصل اليها واجتمع بمولانا السلطان مراد ضاعف الله له الرضوان على ممر الآباد ، كان من أمره ما كان بين يديه، وحصل منه غاية التشديد عليه ووردت الاوامر لمصر ببيع أرزاقه وبلاده، فسلبوا جميع أمواله ، وأموال مماليكه وأجناده وحصل فى نفسه مالم يكن فى حساب ووقع مالم يكن مدونا فى كتاب (٦) •

---

(١) بالأصل « النسية » وصحتها ما أثبتناه .

(٢) احدى القلاع الهامة على طريق الحاج .

(٣) كانت هذه القلعة فى القرن السابع عشر موضعا لملاقاة الحج اى للبعثة التى تقابل الحجاج فى طريق العودة فقد كانت تقابلهم فى الوجه ثم فى الأزلم .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٥) بالأصل « وعداه » .

(٦) نجحت وشاية أعداء رضوان بك فى تأليب السلطان عليه وربما استجاب السلطان لتلك الوشاية ليحصل على جزء من مال رضوان بك وهو ما كان يحدث دائما ، فقد كان من حق السلطان العثمانى أن يأمر بمصادرة أموال أى صاحب منصب فى سلطنته وقد أمر السلطان مراد بحبس رضوان بك بمقر السلطنة وبيع جميع ما يملك فى مصر وارسال الثمن الى السلطان وقد تم ذلك وتحصل منه مبلغ ٥٠٠ كيس أرسلها الباشا الى استانبول ، خلاف ما أخذه الباشا نفسه ، وما نهبه أعداء رضوان بك ، وظل رضوان بك يعانى من هذه المحنة حتى تولى السلطان ابراهيم سنة ١٠٥٠ هـ فأطلق رضوان بك وأنعم عليه بجميع ما كان قد أخذ منه ، وخلع عليه قفطان امارة الحاج لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع : =

ووقع البيع والنهب وكثر الاستيلاء والسلب وتمزق ذلك الجمع البديع ، وتفرق غاية التشيع ، وما استطاع أحد أن يقول حاس ، وما استطاع أن يكون أحدا لحلال هذه المقاصد قد حاس ، ونفذ قضاء الله فى مصنوعاته ، وبرز ما كان فى الازل من مقدوراته .

ثم حصل للأمير المذكور الفرج بعد الشدة فعفى عنه مولانا السلطان وأنجح قصده ، وأعاد له منصبه وبلاده وأحسن اليه وبلغه مراده ثم ان مولانا السلطان بعد قليل انتقل الى دار الكرامة ، وولى الملك بعده أخوه مولانا السلطان ابراهيم (١) فأنعم على الامير رضوان بك (٢) بالمناصب العظيمة الشأن وأمر بأن تنزع بلاد الحاج بالديار المصرية من ملتزميها وتعطى للأمير المذكور من غير مخالفة ولا معارضة فيها فانتزعت من أربابها ، ورفعت عنها يد أصحابها ، وتصرف فيها ، وتمكن بعد حضوره من تلك الديار .

= أحمد الصفوى القلعاوى : صفوة الزمان ص ١٦٨ .
ابن الوكيل : تحفة الاحباب ص ٩٧
أحمد عبد الغنى : أوضح الاشارات ص ١٤٨
وقد تمت مصادرة أملاك رضوان بك ثم افراج عنهما فى عهد محمد باشا « زلعة السم » (١٠٤٧ هـ — ١٠٥٠ هـ) — (١٦٣٧ م — ١٦٤٠م)

(١) السلطان ابراهيم مدة سلطنته (١٠٥٠ هـ — ١٠٥٨ هـ) — (١٦٤٠ م — ١٦٤٨ م) .

(٢) رضوان بك الفقارى : أصل الامراء الفقارية وقد شغل منصب أمير الحاج عدة سنوات كما رأينا من (١٠٤٠ هـ — ١٠٤٨ هـ) ثم من عام ١٠٥٠ هـ — ١٠٦٦ هـ أى الى وفاته سنة ١٦٥٦ م وقد بلغ رضوان بك قمة نفوذه بتعيينه قائم مقام على اثر عزل أحمد باشا فى سنة ١٠٤٥ هـ وسار رضوان بك بالعدل ، ولم يحاول استغلال منصبه ويعتبر رضوانبك المؤسس الحقيقى لفرقة الفقارية التى نافستها الفرقة القاسمية وقد اختلف فى أصله ونسبه فذكر المحبى أنه كرجى الاصل أى مملوك الاصل.

وقد زادت فى عهد رضوان بك أهمية المماليك فى مصر وبدأوا يستغلون نفوذهم وانتعشت قوتهم ، وظهرت الكتابات التى تحاول ربط أصلهم بمماليك السلطنة المملوكية أو بقريش لاسباغ الشرعية والوجاهة عليهم وعلى نفوذهم وظهر كتاب لمؤلف مجهول بعنوان : قهر الوجوه =

واستمر بكمال العزة ورفعة المقدار ، وكان عوده بعد ما تقدم ذكره من خوارق العادات ، وزادت عزته [١] ورفعته وذلك بحسن نيته، واخلاص طويته ، وملازمته على أفعال البر والقرب ، ومن كان هذا شأنه فلا عجب انتهى .

وفى سنة تسع وأربعين وألف [٢] كان أمير الحاج ولى بك الشهير عند أهل مصر بترك بك وهو [٣] أحد الصناجق العظام ، وأمراء اللواء الشريف الكرام المعدودين الشجعان الاكرمين والفرسان الاعظمين .

المعابسة بذكر نسب الجراكسة من قريش » ورمى المؤلف — الذى يتضح من كتابه تمتعه برعاية رضوان بك أمير الحاج — الى اثبات العلاقة بين الأخير وبين السلاطين المماليك الشراكسة وبين هؤلاء وقبيلة قريش ، وبنى المؤلف نتائجه على أدلة غير واقعية .

ولعل محاولة رضوان بك اثبات نسبه الى السلاطين الشراكسة والى قريش كانت ترجع الى اضفاء الاهمية عليه كأمير للحاج ، ولاظهار أحقيته فى السلطة أكثر من سادته العثمانيين .

عن هذا الموضوع راجع :

Holt (P.M) The Exalted linage of Ridwna Bey in Bsoas; London; 1959;P;2; P;221

المحبى : خلاصة الأثر : ج ٢ ص ١٦٤ ، ٦٦٦

، د. عبد الكريم رافق : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ص٢٦٤ وما بعدها .

(١) استعاد رضوان بك ما كان له ما كان له من عز وجاه وقد ظل يلى منصب أمير الحاج منذ الافراج عنه فى سنة ١٠٥٠ هـ الى وفاته فى سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٤٠ م — ١٦٥٥ م) وقد عبر صاحب أوضح الاشارات عن ذلك فى ص ١٤٨ بقوله « فخلد الى الممات » ويبدو أن السلطان قد أعطاه الحق فى تولى امارة الحاج مدى الحياة ، وكانت هذه المدة التى وصلت الى ١٦ سنة أطول مدة يتولى فيها أمير مملوكى امارة الحاج طوال العصر العثمانى بمصر ، ولذا التصق لقب أمير الحاج رضوان بك فيذكر دائما فى المصادر المعاصرة ، بلقب رضوان بك الفقارى أمير الحاج .

(٢) أى فى سنة ١٦٣٩ ميلادية .

(٣) كان ترك بك هو الصنجق الذى أرسله محمد باشا من مصر فى سنة ١٠٤٨هـ ليقابل رضوان بك الفقارى ويتسلم منه المحمل الشريف =

وفيها حصل للحاج كمال الامان وزيادة التقيد بالعـدل والاء الاحســان .

وفى سنة خمسين وألف كان أمير الحاج رضوان الفقارى السابق صاحب الشأن الفائق ، وسع الله عليه (١) رزقه وأحسن بكل فضـل اليه حتى توفاه الله سبحانه وتعالى فى أواخر شهر رجب سنة ســت وســتين وألف فألبس امارة الحاج لاحمد بك الشــهير بالبشناق (٢) فلما بلغ ذلك أتباع رضوان بك من الصــناجق والامراء ، اجتمعـوا وتشاوروا وقالوا كيف يأخذ منصب أستاذنا (٣) رجل أجنبى ونحن فينا الكفاية لذلك ، هذا لا يكون أبدا فباتوا على ذلك فلما أصبحوا اجتمعوا بالرميلة (٤) وأنزلوا الباشا من القلعة قهرا (٥) وجعلوا يوسف بك الذى كان ساكنا (٦) بدرب الجماميز قائم مقام (٧) ونفوا أحمد بك البشناق

وارسل معه الخط الشريف الوارد من السلطة بخصوص ذلك ، فاستجاب رضوان بك كما قدمنا .

(١) قدم وأخر .

(٢) بالأصل « الشناق » وصحتها ما اثبتناه .

(٣) استاذهم اى رئيسهم وسيدهم الذى رباهم فقد كان الأمير عندما يشترى مملوكه يبقيه ملك يمينه مدة تدريبه وتعليمه فقط حتى اذا ما بلغ سن الثامنة عشرة فى أعلن الأحيان اعتقه وسمح له بارخاء لحيته ، وهذا أول حقوق المملوك المعتوق فى عرفهم ، ولا يربط الأمير المملوكى بمملوكه السابق سوى حق الولاء أو ما عرف بالأستاذية ويبقى المملوك فى خدمة استاذه مقيما على ولائه مهما علت مكانته ولا يأنف أن ينسب نفسه الى سيده فالأمير أستاذ مماليكه وصاحب ولائهم وهم اتباعه واهل بيته ، وكل واحد من هؤلاء خشداش الآخر اى زميله فى النشأة وكلمة « أستاذنا » هنا راجعة الى رضوان بك الفقارى .

(٤) الرميلة : أو قرميدان الميدان الذى تطل عليه القلعة .

(٥) بدأت ظاهرة انزال المماليك للباشا قهرا اى عزله بقرار منهم لا بقرار من السلطان فى عهد موسى باشا سنة ١٠٤٠ هـ — سنة ١٦٣٠م راجع :

د. ليلى عبد الطيف : الادارة فى مصر ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٧) كرر كلمة « ساكنا » فحذفت الثانية .

(٦) أى يقوم مقام الباشا ويمارس سلطاته حـتى يعين الســلطان باشا آخر .

الى الاسكندرية ، وجعلوا حسن بك أميرا على الحاج ، وأعرضوا الى الديار الرومية . بذلك واستمر حسن بك أميرا على الحاج الى أن كانت وقعة الفقارية [(١)] التى دمرتهم وخذلتهم وذلك فى صفر سنة احدى وسبعين وألف [(٢)] .

---

(١) تمرد الفقارية ولجأوا الى الصعيد فخرج اليهم مصطفى باشا مع جند من الفرق فتشتت الفقارية الى اقسام قسم ذهب الى السودان وقسم الى جرجا وفريق الى البحيرة فركز مصطفى باشا المقاومة ضدهم وابيد أكثرهم فى ناحية الطرانة فى ٢٢ صفر سنة ١٠٧١ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٦٦٠ م كما قضى فى الوقت نفسه على اكثر الفقارية الذين توجهوا الى جرجا .

وقد كتب حاشية أعلى الصفحة كالآتى :

وفى سنة ست وسبع وستين والف كان أمير الحاج حسن بك وفى سنة ثمان وستين والف كان أمير الحاج قيطاس بك وفى سنة تسع وستين والف كان أمير الحاج لاجين بك وفى سنة سبعين والف كان أمير الحاج ابراهيم بك وفى سنة ثلاث وسبعين وألف كان أمير الحاج أزبك بك، وفى سنة ثمانين وألف كان أمير الحاج يوسف بك وفى سنة واحد وثمانين واثنين وثمانين كان أمير الحاج أزبك بك وفى سنة ثلاث وثمانين والف كان أمير الحاج يوسف بك جركس الى سنة ست وثمانين . وفى سنة سبع وثمانين كان أمير الحاج ذو الفقار بك.

ثم كتبت حاشية أخرى أيمن الصفحة كالآتى :

تولى امارة الحاج من مماليك رضوان بك الفقارى ، حسن بك ولاجين بك .

وفى سنة سبعين وألف تولى امارة الحاج ابراهيم بك ورجع بالحاج فى صفر سنة احدى وسبعين بعد هروب الفقارية .

والسنوات من ١٠٦٦ هـ الى ١٠٧١ هـ تعادل من السنوات الميلادية السنوات من ١٦٤٠ م الى ١٦٦٠ م .

ونلاحظ أنه فى هذه الحاشية أسقط السنوات ١٠٧١ هـ ، ١٠٧٢ هـ والسنوات من ١٠٧٤ هـ الى ١٠٧٨ هـ .

(٢) كان الفقارية عماد الصناجق ، وقد قضى بذلك على النفوذ السياسى لهم ولم يظهروا من جديد حتى أواخر القرن السابع .

وفى سنة ثمان وسبعين وألف (١) تولى امارة الحاج الامير أزبك بك وفى أيامه كان وقعة حمودة (٢) وكان يوسف بك تعين مع خمسمائة من العسكر المقاتلة حمودة، فانهزم يوسف بك وأسر هو وحريمه وأتباعه، وقتل من العسكر ، (٣) طائفة وانهزموا هزيمة عظيمة ، وكانت الوقعة

حين تحالفوا مع خليط من القوى ، وقد اشترك القاسمية مع الباشا فى القضاء على الفقارية ، وتبع ذلك محاولة الباشا الثانى الذين عين فى (١٠٧٢ هـ — ١٠٧٣ هـ) — (١٦٦٢ — ١٦٦٣ م) .

وهو ابراهيم باشا القضاء على نفوذ القاسمية أيضا بقتل زعيمها احمد بك بشناق . فأضعف نفوذ تلك الطائفة تماما.

وقد كان قضاء الدولة على الفقارية سنة ١٦٦٠ ونفوذهم يمثل محاولة منهما لاستعادة نفوذها فى مصر وكان ذلك راجعا الى انتعاش قوة السلطنة المركزية فى عهد الوزراء العظام من آل كوبريلى .

عن وقعة الفقارية وهزيمتهم راجع :

ابراهيم الصوالحى : تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق .

(١) أى فى سنة ١٦٦٧ ميلادية .

(٢) الشريف « حمودة » من اشراف مكة الحسنيين وقد اختلف فى اسمه فذكره صاحب أوضح الاشارات ص ١٦٥ بأنه حمود وتابعه فى ذلك صاحب التحفة ص ١٠٤ ولكن الصوالحى ذكره باسم حمودة فى تراجم الصواعق ص ٦٥٧ وهو الأرجح .

وسبب ثورة هذا الشريف أنه فى سنة ١٠٧٨ عندما دخل أمير الحاج أزبك بك مكة انه اتفق مع هذا الشريف على انه يوليه باذن باشا مصر منصب شريف مكة ، والتزم له بذلك ثم اصطحب معه ابن الشريف — كما ذكر صاحب أوضح الاشارات ، ولكن الصوالحى يذكر أن أزبك بك اصطحب ومعه ولدين للشريف ، ولكن الباشا رفض اجابة طلب الشريف حمودة الذى وعده أزبك بك بتحقيقه ، وزاد على ذلك أن أمر بسجن أولاد الشريف ، فثار حمودة وارسل له الباشا حملة بقيادة يوسف بك هزمت أمامه ، فأرسل الباشا « ابراهيم باشا » حملة أخرى يقودها ثلاثة من الصناجق هم محمد بك أبو قورة ويوسف بك صهر النقيب وحسن بك طوبال ومعهم جند كثيف ففر حمودة هاربا عند وصول الحملة

(٣) كتب هامش أسفل الصفحة كما يلى :

وفى سنة سبع وتسعين وألف كان أمير الحاج اسماعيل بك .

وفى سنة ثمان وتسعين وألف كان أمير الحاج ابراهيم بك أبو شنب.

بالينبع ، ولم يخلص من العسكر الا ثلاثة أنفار فوصلوا الى مصر، وأخبروا بما حصل ليوسف بك ، وأسره وأسر حريمه ، فلما أخبروا بذلك عين الباشا لهم ثلاثة من الصناجق ، وعشرة من أمراء الجراكسة وسافروا برا وبحرا فلما سمع الشريف حمودة بقدوم العساكر فر ليلا وترك خيامه بما فيها فنهبتها العساكر ، ورجعوا مع الحجاج .

وفى سنة سبع وثمانين وألف (١) صار الامير ذو الفقار تابع حسن بك المقتول صنجقا ، وأميرا على الحاج الى أن توفى فى سادس عشرين شعبان سنة ثمان وتسعين وألف (٢) وكانت (٣) أيامه كلها أيام مباركة، وفعل الخيرات والشفقة على الفقراء ، ولما توفى سنة ثمان وتسعين وألف ألبس الباشا ولده ابراهيم بك صنجقية وألبس اسماعيل بك تابع حسن بك المقتول صهر حسن أغا بلفيا على امارة الحاج فسافر فى سنة ثمان وتسعين وألف .

وفى سنة تسع وتسعين وألف ألبس ابراهيم بك أبو شنب (٤) على امارة الحاج (٥) .

وفى سنة احدى ومائة وألف كان أمير الحاجابراهيم بك بن ذو الفقار بك أمير الحاج .

وفى سنة سبع ومائة وألف كان أمير الحاج أيوب بك .

(١) أى فى سنة ١٦٧٦ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٦٨٦ م .

(٣) بالأصل « وكان » .

(٣) بالأصل « وكان » وقد تولىهذا الأمير امارة الحاج احدى عشرة سنة من ١٠٨٧ هـ الى سنة ١٠٩٧ — (١٦٧٦ م — ١٦٧٥ م) .

وقد ذكر الجبرتى وفاته فى ١١٠٢ هـ عجائب الأثار ج ١ ص ٩٠

(٤) أى فى سنة ١٦٨٧ ميلادية .

(٥) وابراهيم بك أبو شنب أصله من مماليك مراد بك القاسمى وكان زميلا « خشداشا » لايواظ بك القاسمى تقلد الامارة والصنجقية وكان من الأمراء الكبار تولى امارة الحاج سنة ١٠٩٩ هـ — سنة ١١٠٠هـ ثم عزل عنها لاستعفائه لتحريض أمراء مصر للعرب لمهاجمته وقد اشترك =

وفى سنة احدى ومائة وألف تولى ابراهيم بك ابن ذو الفقار(١) أميرا على الحاج بخط شريف سلطانى ، فكانت سيرته سيرة حسنة كوالديه .

وفى أيامه كانت وقعة ابن غالب بمكة ، ومحاربته مع محمد بك حاكم جدة ، وحفر المتاريس ، وضرب المدافع ، ثم نصر الله العسكر وانهزم ابن غالب ، وهرب ، وتولى امارة مكة السيد محسن ابن الشريف حسين بن زيد ، ونودى بالامان بعد حروب كثيرة ، وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها ، واستمر ابراهيم بك ابن ذو الفقار أميرا على الحاج الى أن توفى بالطاعون .

وفى سنة سبع ومائة وألف (٢) صار أيوب بك (٣) أمير الحاج

فى فتح كريت ، وعلا شأنه وتولى الدفتردارية من ١١١٩ الى ١١٢١ حيث عزل عنها لتوليه امارة الحاج مرة ثالثة ثم اعيد الى الدفتردارية وتوفى فى سنة ١١٣٣ هـ .

الجبرتى : نفسه ج ١ ص ١٠٦

٥ — كتب حاشية علىأيمن لاصفحة ذكرت :

وفى رواية اخرى وفى سنة اثنتين وثمانين والف تولى امارة الحاج يوسف بك القرد وفى رواية سنة ستة وثمانين والف .

(١) اى فى سنة ١٦٨٩ ميلادية .

وابراهيم بك تولى الامارة بعد وفاة أبيه الأمير ذو الفقار وقد تولى امارة الحاج ٦ سنوات من ١١٠١ هـ الى ١١٠٦ هـ — (١٦٨٩م — ١٦٩٤م) وفى عام ١١٠٣ هـ خاض مع العرب معركة عظيمة فى مضيق الشرفة ، ولما امتنع العرب من حمل غلال الحرمين ركب عليهم هو ودرويش بك وهاجمهم عند الجبل الأحمر ، وساق منهم نحو الف جمل ونهب بيوتهم وأحضر الجمال الى قراميدان واحضر بدنه اخرى لحمل الغلال معهم ولتسيير القافلة ،وقد اكتسب سمعة وهيبة واستمر يخرج بالحاج فى أمن وامان الى ان توفى فى طاعون « فصل الشحاتين » راجع :

الجبرتى ج ١ ص ٩٠

(٢) اى فى سنة ١٦٩٥ ميلادية .

(٣) وقد تولى أيوب بك امارة الحاج عشر سنوات ، وعزل عنها فى سنة ١١١٧ هـ لتوليه منصب الدفتردار ، وقد كان من البكوات الذين تسببتوا فىفتنة افرنج أحمد المشهورة التى وقعت فى عام ١١٢٠ هـ وكادت=

وكانت أيامه مباركة وكان ناظرا الى الفقراء بعين الرأفة والشفقة .

وفى سنة سبعة عشر ومائة وألف (١) كان أمير الحاج قيطاس بك تابع ابراهيم بك ابن ذو الفقار (٢) .

وفى سنة احدى وعشرين ومائة وألف (٣) كان أمير الحاج ابراهيم بك السابق أو شنب .

وفى سنة اثنين وعشرين ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج جركس عوض بك .

وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف (٥) كان أمير الحاج يوسف بك الجزار تابع ايواز بك .

أن تثير حربا أهلية فى القاهرة ، وقد هزم أيوب بك فى هذه الفتنة وخرج هاربا طريدا غريبا حتى توفى فى عام ١١٢٤ هـ وقد عاش أبناؤه فقراء مغمورين لأن كل أملاكه انتهبت فى الفتنة المذكورة .

الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٩٨

(١) أى فى سنة ١٧٠٥ م .

(٢) قيطاس بك وقد اشتهر بلقب قطامش وأطلق عليه هذا الاسم الهوارة على اسم حلوانى كان يتجول بالقاهرة .

الدمرداش : الدرة ج ١ ص ١٢٨ ، الجبرتى ج ١ ص ٩٨

وتولى امارة الحاج ٥ مرات من سنة ١١١٧ الى سنة ١١٢٠ ثم تولاها فى عام ١١٢٤ ثم قتل فى سنة ١١٢٦ هـ .

وفى عام ١١٢٠ هـ — ١٧٠٨ هـ تولى امارة الحاج محمدبك قطامش وقد وقع فى حجه موت الجمال التى أصيبت بالوباء مما اضطر الحجاج الى التخلف فى البنادر واضطر التجار منهم لترك حمولهم فيها فلما دخل المحمل وقفت الاولاد لقطامش بك تقول :

سنتك يا قطامش نجعه — قطعت الحاج فى الرجعة

سنتك يا قطامش سودة — قطعت الحاج فى العودة

الدمرداش : نفسه ص ١٢٨

(٣) وقد قاد ابراهيم بك أبو شنب قافلة الحاج فى هذه السنة ورجع بها فى أمن وأمان .

الدمرداش : نفسه ج ١ ص ١٢٩

(٤) أى فى سنة ١٧١٠ ميلادية .

(٥) أى فى سنة ١٧١١ ميلادية .

وفى سنة أربع وعشرين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج قيطاس بك السابق .

وفى سنة خمس وعشرين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج محمد بك قطامش تابع محمد بك السابق .

وفى سنة سبع وعشرين ومائة وألف (٣) كان أمير الحاج اسماعيل بك بن عوض (٤) .

وفى سنة ثلاثث وثلاثين وأربعة وثلاثين ومائة وألف (٥) كان أمير الحاج محمد بك بن اسماعيل بك الكبير .

وسافر يوسف بك أمير الحاج بعد مقتل سيده ايواظ بك أو عوض بك فى الفتنة الكبيرة أى فتنة افرنج أحمد فى عام ١١٢٣ هـ وقد سمى بالجزار لوقائعه مع العرب .

(١) أى فى سنة ١٧١٢ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧١٣ ميلادية وعاد محمد بك قطامش بالحجاج فى شهر صفر سنة ١١٢٦ هـ .

(٣) أى فى سنة ١٧١٥ ميلادية .

(٤) اسماعيل بك بن عوض هو ابن الامير الكبير ايواظ بك القاسمى تقلد الصنجقية والامارة بعد وفاة والده فى سنة ١١٢٣ هـ وكان جميل الشكل حتى دعته النساء بقشطه بك كما كان كريم الخلق وقد تولى امارة الحاج من سنة ١١٢٧ لاى سنة ١١٣٢ (١٧١٥ م — ١٧١٩ م) اى طلع أميرا بالحاج ٦ مرات وقد اشتهر بنجاحه فى مهمته كأمير للحاج ، فكان يعمل دائما على توفير الغلال اللازمة للحجاج فى البنادر ، ويعتنى بحفر الآبار التى ردمت من قبل ، وتنقية الأحجار من طريق الحجاج ، وقد آلت اليه رئاسة المماليك واشتهر بحسن التدبير وأحكام السياسة وعنايته بتدبير الغلال للحجاج والحرص على راحتهم وكثرة العطايا لاهل الحرمين وقد دبر منافسوه من الأمراء المماليك مؤامرة لقتله وتم لهم ذلك فى سنة ١١٣٦ هـ — ١٧٢٣ ميلادية .

ولما بلغ خبر موته لأهل الحرمين حزنوا عليه وصلوا عليه صلاة الغيبة عند الكعبة وكذلك أهل المدينة صلوا عليه بين المنبر والمقام .

راجع الجبرتى : عجائب الاثار ج ١ ص ١١٩ — ص ١٢١

(٥) اى فى السنوات من ١٧٢٠ — ١٧٢١ ميلادية .

وفى سنة خمسة وثلاثين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج عبد الله بك تابع عوض بك .

وفى سنة ستة وثلاثين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج محمد بك اسماعيك السابق .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف (٣) كان أمير الحاج قيطاس بك الصغير السابق .

وفى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج ذو الفقار بك تابع عمر أغا بلفيا (٥) .

---

(١) أى فى سنة ١٧٢٢ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٢٣ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٢٥ ميلادية .

(٤) أى فى سنة ١٧٢٦ ميلادية .

(٥) أى فى سنة ١٧٢٧ ميلادية .

، هذين الأميرين من اتباع بيت بلفيا الذى انحدر عن الفقارية فمن التنافس بين الفقارية والقاسمية نشأت البيوت المملوكية التى ملأ نضالها والنزاع بينها حياة مصر فى القرن الثامن عشر وينشأ البيت المملوكى بالتفاف المماليك حول استاذهم وفيهم كثير من البكوات الصناجق ويسعى كل بيت لحيازة المناصب الرئيسية والمغانم والسلطة والنفوذ . وقد تسبب الصراع بين هذه البيوت فى حالة الفوضى السياسية والاضطراب الذى عانت منه مصر أشد العناء فى القرن الثامن عشر وقد انحدر عن القاسمية بيت الايوازية ، وأبى شنب ، ومن الفقارية نشأت بيوت بلفية (أو بلفيا) ورضوان والصابونجى والخشاب ، والقطامشة والدمايطة والجلفية ، والقازدغليه والابراهيمية والعلوية والمحمدية ، وقد انتهى الأمر بتفوق القازدغلية وهى ينتسبون الى الأمير مصطفى كتخدا الكبير القازدغلى الذى كان سراجا عند الأمير حسن أغا بلفية الفقارى أستاذ ذلك البيت فرقاه حتى تقلد كتخدا مستحفظان وتمكن من تأسيس بيت مملوكى استمر بعد وفاته سنة ١١١٥ هـ — سنة ١٧٠٣ م وانقسم الى بيوت أخرى أهمها « الابراهيمية » وفروعها « العلوية ، المحمدية ، والمرادية ، الابراهيمية » .

وفى سنة أربعين ومائة وألف [١] كان أمير الحاج رضوان بكتابع حسن أغا بلفيا .

وفى سنة احدى وأربعين ومائةوألف [٢] كان أمير الحاج محمد بك السابق تابع قيطاس السابق .

وفى سنة اثنين وأربعين ومائة وألف [٣] كان أمير الحاج محمد بك القولى .

وفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف [٤] كان أمير الحاج محمد بك قيطاس السابق « قطامش » [٥] .

وفى سنة أربع وأربعين ومائة وألف [٦] كان أمير الحاج على بك تابع محمد بك قيطاس « قطامش » .

وفى سنةخمس وأربعين ومائة وألف [٧] كان أمير الحاج محمد بك قيطاس السابق .

وفى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف [٨] كان أمير الحاج ابراهيم بك تابع محمد بك قيطاس .

وفى سنة خمسين ومائة وألف [٩] كان أمير الحاج عثمان بك تابع ذو الفقار بك بلفيا [١٠] .

---

(١) أى فى سنة ١٧٢٧ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٢٨ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٢٩ ميلادية .

(٤) أى فى مسنة ١٧٣٠ ميلادية .

(٥) مؤسس « بيت القطامشة » .

(٦) أى فى سنة ١٧٣١ ميلادية .

(٧) أى فى سنة ١٧٣٢ ميلادية .

(٨) أى فى سنة ١٧٣٥ ميلادية .

(٩) أى فى سنة ١٧٣٧ ميلادية .

(١٠) عثمان بك ذو الفقار من أشهر الأمراء المماليك الفقارية تقلد الامارة والصنجقية سنة ١١٣٨ هـ — ١٧٢٥ م وقد انتهت اليه رئاسة مصر بعد القضاء على نفوذ القاسمية فى عام ١١٤٢ — ١٧٢٩ م وقلد =

وفى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج عمر بك ابن على بك .

وفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج عثمان بك ذو الفقار السابق .

وفى سنة ست وخمسين ومائة وألف (٣) كان أمير الحاج ابراهيم بك تابع مصطفى بك بلفيا .

وفى سنة سبع وخمسين ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج عمر بك الاختيار .

وفى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف (٥) كان أمير الحاج خليل بك قيطاس « قطامش » (٦) .

أمراء من اشراقاته « اتباعه أو تلاميذه » ، وقد طلع أميرا للحاج سنوات متعددة وكان يحسن التصرف مع الحجاج ويعيدهم كل مرة فى أمن وأمان، وعندما عاد من الحاج فى سنة١١٥٥ هـ فى عهد يحيى باشا ، عمل وليمة فى بيته للباشا الذى حضر اليه وقدم له الهدايا الفاخرة وكانت هذه سابقة لم تحدث من قبل اذ لاينزل الباشا الى منزل أى أمير . وبعد هذه السنة أحرز عثمان بك كل النفوذ والسلطة بين أمراء المماليك ، وقد اشتهر بالعدل والنزاهة وكان يهتم بشئون الشعب كثيرا ويشدد تماما على اعتدال الأسعار ووفرة مواد الغذاء للشعب ، كما اهتم بعدالة القضاء ، وكان يحب العلماء ويقربهم ، وقد انتهى أمره بالصراع بينه وبين ابراهيم كتخدا القاذردغلى الذى تغلب عليه فخرج الى استانبول وظل بها حتى وفاته راجع عن ترجمته .

الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٨٢

(١) أى فى سنة ١٧٤١ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٤٢ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٤٣ ميلادية .

(٤) أى فى سنة ١٧٤٤ ميلادية .

(٥) أى فى سنة ١٧٤٥ ميلادية .

(٦) الأمير خليل بك قيطاس أو قطامش من أشهر أمراء القطامشة وقد تقلد الامارة والصنجيقة سنة تسع وأربعين ومائة وألف وخرج أميرا للحاج سنة ثمان وخمسين ، وقد أتعب الحجاج كثيرا فى رحلته فقد امتنع=

وفى سنة ستين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج ابراهيم بك بلفيا السابق .

وفى سنة احدى وستين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج عمر بك تابع رضوان بك الاختيار السابق .

وفى سنة ألف ومائة وخمسة وستين (٣) كان أمير الحاج على بك تابع ابراهيم بك كتخدا قازدغلى .

وفى سنة سبع وستين ومائة (٤) كان أمير الحاج عمر بك الاختاير السابق .

عن دفع عوائد العربان ، وصادر التجار من الحجاج فى أموالهم بطريق الحج ، وكان أولاد خزنته ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون فى حلزونات العقبة ويطلبون من الحجاج دراهم كأنهم شحاذين ، وقد استاء سلطان المغرب مولاى عبد الله كثيرا من تصرفات هذا الامير مع قافلة الحاج ، وامتنع الحجاج المغاربة عن الخروج معه ، وقد انتهى الأمر بقتله فى عهد راغب باشا سنة ١١٦٠ هـ — ١٧٤٧ م راجع : الجبرتى : عجائب الآثار ج ص ١٧٤ .

(١) أى فى سنة ١٧٤٧ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٤٨ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٥١ ميلادية وهو على بك الغزاوى من بيت المماليك الابراهيمية ، وزميل على بك الكبير .

(٤) أى فى سنة ١٧٥٣ ميلادية .

وقد خرج هذا الأمير أيضا بالحاج فى عام ١١٦٦ هـ — ١٧٥٢ م وعاد فى ١١٦٧

وكان يعانى من كبر السن والمرض فعاد فى تختروان أى محفة لأنه لم يستطع ركوب الخيل وسلم المحمل وأقام فى منزله وأرسل الى ابراهيم كتخدا رئيس المماليك فى تلك الفترة يطلب اعفاءه من الخروج بالحج ثانية ولكن ابراهيم كتخدا طلب منه أن يخرج بالحاج مرة ثانية فى ١١٦٧ هـ فاستجاب له عمر بك وخرج به وعاد فى عام ١١٦٨ فى أمن وأمان ولم يخرج بالحاج ثانية لكبر سنه .

الدمرادشى : الدرة المصانة ج ٢ ص ٥٦٤

وفى سنة ثمان وستين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج حسين بك صغير تابع ابراهيم كتخدا مستحفظان قازطاغلى •

وفى سنة سبعين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج محمد بك بن المرحوم اسماعيل بك الدالى •

وفى سنة ألف ومائة واحدى وسبعين(٣) كان أمير الحاج حسين بك كبير « كشكش » تابع ابراهيم كتخدا قازطاغلى •

وفى سنة اثنين وسبعين ، ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج صالح بك (٥) تابع المرحوم مصطفى بك القرد شاهين •

---

(١) أى فى سنة ١٧٥٤ ميلادية .

تولى حسين بك امارة الحاج فى سنة ١١٦٨ بقرار من الديوان العالى بعد اعتذار عمر بك السابق ، فخلع عليه الباشا قفطان أميرية الحاج الشريف ونزل من القلعة بموكب فاخر ، وقد اهتم بتجديد خيام وصناديق الحاج .

الدمرداش نفسه ص ٥٧٦ وقد تولاها أيضا فى عام ١١٦٩ هـ — ١٧٥٥ م •

(٢) ى فى سنة ١٧٥٦ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٥٧ ميلادية .

وقد اشتهر حسين بك كشكش بشجاعته الفائقة وشدة بأسه فى محاربة العربان وتأمين طريق الحاج ، بهدف خدمة الحجاج ، وليس لطمعه فى أخذ عوائد العربان لنفسه كما ذكرت بعض المراجع .

عن ترجمة حسين بك كشكش انظر :

الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣١٨

(٤) أى فى سنة ١٧٥٨ ميلادية .

(٥) صالح بك القاسمى : أصله من مماليك مصطفى بك القرد ولما مات سيده تقلد الامارة بدله وقد اشتهر ذكره وأحسن السير وانضم الى خشداشينه والتزم ببلاد أسياده واقطاعاتهم فى الصعيد ، فاختلط بالهوارة وكانت له بهم علاقات طيبة وخاصة بالشيخ همام ولما ظهر على بك الكبير استغل صالح بك لتوطيد سلطته ، ولما وصل الى الرئاسة غدر بصالح بك وقتله فى عام ١١٨٢ هـ — ١٧٦٨ ميلادية .

لمزيد من المعلومات عن صالح بك راجع :

د. ليلى عبد اللطيف : شيخ العرب همام وحكم ولاية جرجا . رسالة ماجستير تحت النشر ١٩٧٠

وفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف كان أمـير الحاج على بك كبير (١) السابق تابع المرحوم ابراهيم كتخدا مستحفظان قازطاغلى.

وفى سنة أربع وسبعين ومائة وألف (٢) كان أمير الحاج حسين بك كشكش السابق تابع المرحوم ابراهيم كتخدا قازطاغلى (٣) .

---

(١) على بك الكبير : من أشهر الأمراء المماليـك فى مصر فى القرن الثامن عشر وهو صاحب المحـاولة المعروفة للاسـتقلال بمصر فى ظل السيادة العثمانية وينتمى على بك الى المماليـك « الابراهيمية » الذين انحدوا من القازدغلية وأسـتاذهم ابراهيم كتخدا كان جاويشـا فى فرقة الانكشارية ثم تولى الكتخدائية واخذ ينافس شيخ البلد عثمان بك الفقارى الذى كان له فضل القضاء الأخير على القاسمية سنة ١١٤٢ هـ وظهـور الفقارية حتى اضـطره للفرار من مصر الى استانبول ، وهنـا علا شأن ابراهيم كتخدا واقتسم الرئاسة والسلطة مع زميله رضوان كتخدا .

وقد اشتهر على بك من بين مماليك ابراهيم كتخدا واستطاع بعد معارك كثيرة مع زملائه أن يصل الى الرئاسة ويتولى مشيخة البلد سنة ١٧٦٠ م بعد حصوله على الصنجقية والامارة عن ترجمة على بك راجع :

محمد رفعت رمضان : على بكالكبير .

Lusignan : The Revolt of Ali Bey

Bruce : Travels to discover The Source of The Nile.

(٢) اى فى سنة ١٧٦٠ ميلادية .

(٣) وينتمى حسين بك كشكش الى « المماليك الابراهيمية » ومنهم على بك الكبير وزملاؤه على بك الغزاوى وعثمان بك الجرجاوى ، حسين بك الصابونجى وغيرهم .

وقد انحدر المماليك الابراهيميـة من « القازدغلية » وأسـتاذهم ابراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلى تابع مصطفى كتخدا الكبير جد القازدغليـة ، وكان ابراهيم كتخـدا هـذا جاويشـا فى اليكجرى « الانكشارية أو المستحفظان » ثم تولى الكتخدائية وانفصل عنهـا بعد ثلاثة أشهر ، ثم أخذ ينافس شيخ البلد عثمان بك الفقارى ، حتى اضطره للفرار من مصر الى استانبول حيث بقى ثلاثين عاما ، وانفسح المجال فى لابراهيم كتخدا « أو كيخيا » فزادت سطوته واستكثر من المماليك ، وبعد انقطاع دولة القطامشة والدمايطة والخشابية وصل ابراهيم كتخدا الى قمة النفوذ والسلطةواشتهر بحسن السياسة وقد استقرت البلاد فىعهده =

وفى سنة سبعين وسبعين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج على بك الصغير الشهير بحسن تابع ابراهيم كتخدا مستحفظان قازطاغلى .

وفى سنة ثمانية وسبعين ومائة وألف(٢) كان أمير الحاج حسن بك تابع المرحوم عمر بك الاختيـــار .

وفى سنة واحد ثمانين ومائة وألف (٣) كان أمير الحاج خليل بك ابن ابراهيم بك بلفيـــا .

وفى سنة اثنين وثمانين ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج حسن بك تابع عمر بك السابق (٥) .

وقاسمه السلطة رضوان كتخدا العزب — أستاذ الجلفية — ولكنه ترك السلطة بيد ابراهيم وركن الى الدعة والترف .

وقد تولى البكوية والصنجقية من مماليك ابراهيم كتخدا فى حياته : حسين بك كشكش ، عثمان بك الجرجاوى وعلى بك الغـــزاوى وتولاها بعد وفاته (سنة ١١٦٨هـ — ١٧٥٤م) خليل بك الكبير وحسين بك جوجه وحسين بك الصابونجى ، وعلى بك السروجى ، واسماعيل بك وعلى بك (بلوط قبان) أى على بك الكبير .

(١) أى فى سنة ١٧٦٣ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٦٤ ميلادية .

(٣) أى فى سنة ١٧٦٧ ميلادية .

(٤) أى فىسنة ١٧٦٨ ميلادية .

(٥) من كبار الأمراء الأمير حسن بك رضـــوان تابع عمر بك تقلد الصنجقية بعد موت سيده ، وجلس فى بيتـــه وطلع أميرا بالحاج ســـنة ثمان وسبعين ، وتسع وسبعين ومائة وألف وتولى دفتردار مصر ثم عزل عنها وطلع أميرا بالحاج سنة اثنين وثمانين ومائة الف ، وقد نفاه على بك ســـنة ١١٨٣ هـ فيمن نفاهم من أمـــراء مصر ، فأقام فى منفاه بالمحـــلة الكبرى الى سنة احدى وتسعين ومائة وألف . فلما سيطر اسماعيل بك الكبير على مصر ، سمح له بالحضور ، وقلده امارة الحاج سنة احـــدى وتسعين فلما انضم العـــلوية الى المحمدية ورجعـــوا الى مصر وخـــرج اسماعيل بك الى الشام ، لم يخرج حسن بك رضوان معه ، وانضم الى العلوية لظنه أن الأمور ستستقر لهم ولكنه قتل فى المعركة التى قامت بين العلوية والمحمدية اى اتباع على بك الكبير وأتباع محمد بك أبى الذهب والتى انتهت بانتصار الأمراء المحمدية راجع :

الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٣٨ .

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج خليلبك ابن ابراهيم بك بلفيا السابق وكذلك فى سنة أربعة وثمانين وخمسة وثمانين (٢) .

وتوفى بمكة المشرفة ، ودفن بها بعد النزول من عرفة وقضاء الحج ، ورجع بالحجاج والمحمل كتخدا الحاج أخيه عبد الرحمن أغا وسلم المحمل فى قراميدان على العادة فأعرض عليه قائمقام مصر اسماعيل بك صنجقية أخيه فأبى ذلك فألبس ولده رضوان بك خليل الصنجقية فى يوم الخميس ثانى ربيع أول سنة ست وثمانين ومائة وألف (٣) .

وفى سنة ستة وثمانين كان أمير الحاج ابراهيم بك تابع محمد بك أبو الذهب قائمقام (٤) تابع على بك قازطاغلى تابع ابراهيم كتخدا مستحفظان .

وفى سنة سبع وثمانين ومائة وألف(٥) كانأمير الحاج اسماعيل بك

---

(١) أى فى سنة ١٧٦٩ ميلادية .

(٢) أى فى السنوات ١٧٧٠ ، ١٧٧١ ميلادية .

(٣) أى فى ٤ يونيو سنة ١٧٧٢ م .

(٤) قائمقام مصر أى الأمير القائم مكان الباشا وكان هو محمد بك أبن الذهب فى سنة ١١٨٦ هـ أما ابراهيم بك فهو من أشهر الأمراء المماليك فى مصر فى القرن الثامن عشر ، وهو ينتمى الى بيت محمد أبى الذهب أى المماليك المحمدية الذين يرجعون فى الأصل الى المماليك العلوية اتباع على بك الكبير القازدغلى وقد تقاسم ابراهيم بك النفوذ والسلطة فى مصر بعد عام ١١٩٣ هـ — ١٧٧٩ م مع مراد بك وفشلت حملة حملة حسن باشا الغازى فى حرمانهما من السيطرة على مصر ، وظلا كذلك حتى قدوم الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م .

(٥) أى فى سنة ١٧٧٣ ميلادية .

دفتردار مصر سابقا (١) جراغ (٢) على بك كلاهما توابع ابراهيم كتخدا مستحفظان قازطاغلى .

وفى سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف (٣) « كان أمير الحاج » اسماعيل بك المذكور أيضا .

وفى سنة تسعة وثمانين ومائة وألف (٤) كان أمير الحاج يوسف بك تابع محمد بك أبو الذهب المذكور (٥) .

---

(١) اسماعيل بك : من اتباع على بك الكبير تقلد الصنجقية سنة ١١٧٤ هـ .

وقد خرج مع محمد بك ابى الذهب الى الشام ، وانحاز الى جانبه فى صراعه مع أستاذهم على بك ، تقلد الدفتردارية ، وامارة الحاج عامين متواليين وقد اختلف مع زميله مراد بك ، وخرج الى استانبول ، ولما قدم حسن باشا الغازى (١٢٠٠ هـ — ١٧٨٦ م) بحملته للقضاء على نفوذ مراد بك وابراهيم بك أسند الرئاسة فى مصر الى اسماعيل بك ، ولكنه لم ينعم بالرئاسةطويلا فقد توفىفىالطاعون الذى ألم بالبلاد سنة ١٢٠٥هـ سنة ١٧٩٠ وكان أميرا جليلا حسن الأخلاق محبا للعلماء حسن السياسة راجع : الجبرتى : ج ٢ ص ٢١٩

(٢) جراغ : أو اشراق بمعنى تابع « أو تلميذ » .

(٣) أى فى سنة ١٧٧٤ ميلادية .

(٤) أى فى سنة ١٧٧٥ ميلادية .

(٥) يوسف بك ويعرف بالكبير من أشهر أتباع محمد بك أبو الذهب أخذ له سيده الامارة فى سنة ١١٨٦ هـ ، وزوجه بأخته ، وقد بنى دارا فاخرة على بركة الفيل ، وأنفق على ذلك أموالا طائلة وقد اشتهر بسوء خلقه وحدته، وعدم احترامه للعلماء ، وقد نقم منه مراد بك سوء تصرفاته فلما سافر أميرا بالحاج فى سنة ١١٨٩ هـ أضمر له مراد بك الشر ودبر أن يغتاله أو ينفيه عند عودته من الحج ، فلما وصلته تلك الأخبار تعجل فى الحضور « وصار يجعل كل مرحلتين فى مرحلة » حتى وصل مبكرا فى السابع من صفر ، قبل حضور مراد بك من احدى جولاته « سرحاته » التى كان يتجول فيها بالقرى والأقاليم ويعود بالمنهوبات ، ويوقع بالفلاحين اشد صنوف الأذى والظلم ، وعلما علم يوسف بك بحضور مراد بك ركب فى مماليكه وطوائفه وخرج خارج القاهرة فسعى ابراهيم بك حتى أتم الصلح بينهما . ولكن العداوة بينهما لم تنته ، وقد انضم أيوب بك الى منافس مراد بك اسماعيل بك الكبير ولكنه قتل فى عهده .

راجع : الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٨ ، ١٩

وفى سنة تسعين « ومائة وألف » (١) تولى امارة الحاج مراد بك تابع محمد بك أبو الذهب ، ولم يسافر بالحج ، وتولى عوضا عنه ، وسافر بالحجاج مصطفى بك تابع محمد بك أبو الذهب .

وفى سنة واحد وتسعين ومائة وألف (٢) تولى امارة الحاج يوسف بك السابق وقتل فى يوم الاربعاء ثانى رجب سنة تاريخه وألبس يوم الخميس ثالث رجب المذكور حسن بك تابع عمر بك رضوان أمير الحاج السابق ، وأعيدت اليه صنجقيته يوم تاريخه كما كان أولا ، وسافر بالحاج وألبس فى يوم الخميس الموافق الخامس وعشرين ربيع أول سنة اثنين وتسعين ومائة وألف وقتل يوم الاحد الموافق لثامن عشر جماد أول سنة اثنين وتسعين ومائة وألف (٣) .

---

(١) أى فى سنة ١٧٧٦ ميلادية .

(٢) أى فى سنة ١٧٧١ ميلادية .

(٣) كتب هامش أسفل الصفحة عن سبب قتل حسن بك كالآتى والسبب فى قتله أنه لما كان يوم السبت سابع عشر جماد أول من السنة المذكورة قتل عبد الرحمن بك تابع على بك فى مسطبة النشاب الكبيرة المنسوبة الى ابراهيم بك قطامش ، والقاتل له مراد بك تابع محمد بك أبو الذهب ، ولاجين بك فتحزبوا جماعة على بك فى منزل حسن بك الجداوى وهم رضوان بك ابن أخت على بك ، وخليل بك كوسة ، وعلى بك الحبشى ، وأحمد بك شنن ، وحسن بك السابق بسوق السلاح ، واضيف اليهم حسن بك السابق أمير الحاج المذكور وتحزبوا اتباع محمد بك أبو الذهب فى باب العزب وهم ابراهيم بك الكبير ، ومراد بك ، ومصطفى بك أمير الحاج ، ولاجين ومصطفى بك الصغير ، وعثمان بك تابع محمد بك أبو الذهب ، وعثمان بك تابع ابراهيم بك المذكور ، ووقعت بينهم المحاربة بالمدافع والبندق الى أن أراد الله بما أراد ، وثانى يوم وهو يوم الاحد بعد صلاة الظهر تقووا أتباع محمد بك وتوجه مراد بك الى جهة عمارة لاجين ، ونقبوا البيوت الى أن قربوا الى منزل حسن بك الجداوى بسويقة عصفور ، فظهر عليهم الرعب ، وفروا من القاهرة ، فقتل خارجا عن القاهرة حينئذ حسن بك رضوان أمير الحاج المذكور ، وأحمد بك شنن ، وابراهيم بك بلفيا المنفصل من الصنجقية ، وخرج خليل بك كوسة ومات بعد أيام .

عن هذه الأحداث راجع الجبرتى : عجائب الآثار : ج ٢ أحداث سنة ١١٩١ هـ — ١١٩٢ هـ .

وفى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف (١) كان أمير الحاج رضوان بك ابن المرحوم خليل بك أمير الحاج بلفيا ابن ابراهيم بك أمير الحاج بلفيـــا .

وفى سنة ثلاثة وتسعين ومائة وألف كان أمير الحاج مراد بـــك السـابق (٢) .

وفى سنة أربعة وتسعين ومائة وألف (٣) تولى امارة الحاج مصطفى بك (٤) تابع محمد بك أبو الذهب .

---

(١) أى فى سنة ١٧٨٧ ميلادية .

(٢) مراد بك : من مماليك محمد بك أبى الذهب وتولى الرئاســة فى مصر قسمة مع زميله ابراهيم بك بعد وفاة منافسهما اسماعيل بك وقد وقعت مصر بعد عام ١١٩٣ هـ — ١٧٧٩ م تحت السيطرة المطلقة لمراد بك وابراهيم بك واستغل هذان الاميران كل ايرادات مصر لمصلحتهما ومصلحة أتباعهما وقد خرج مراد بك أمير للحاج فى سنة ١١٩٣ هـ فى ١٨ شوال « فى موكب المحمل ومعه الحجاج وأمير الحاج مراد بك فى موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر ، وماجت مصر وهاجت فى أيام خروج الحج بسبب الاطلاب وجمع الاموال وطلب الجمال والبغال والحمير وغصبوا بغال الناس ، ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها منه قهرا » على حد تعبير الجبرتى . وقد سافر مع مراد بك فى هذه الحجة أربعة صناجق ، وأمراء وأعيان وتجار .

ولمـا عاد مراد بك بالقافلة فى ١١ صفر سنة ١١٩٤ هـ هاجمه العربان فى الصفرة والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات مما نتج عنه موت الكثير من الحجاج والمماليك والجند ونهب البضائع الكثيرة وأمتعة الحجاج ، والجمال والدواب .

راجع الجبرتى : عجائب الآثار ح ٢ ص ٥٢ ، ص ٥٨ .

(٣) أى فى سنة ١٧٨٠ ميلادية .

(٤) خرج مصطفى بك بالحاج فى ٢٠ شوال سنة ١١٩٤ وعاد فى ٢٠ صفر سنة ١١٩٥ هـ وقد خرج بالحاج ثلاث مرات أخرى فى أعـــوام ١١٩٧ ، سنة ١١٩٨ هـ ، ١١٩٩ هـ . وعانى كثيرا من المتاعب فى الاعوام الاخيرة لسوء حالة البلاد ومماطلة مراد بك ، ابراهيم بك فى دفع عـــوائد العربان ونفقات أمير الحاج وصرة الحرمين .

وفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف (١) تولى امارة الحاج ابراهيم بك الصغير زعيم مصر سابق (٢) تابع محمد بك أبو الذهب .

وفى سنة ستة وتسعين ومائة والف (٣) تولى امارة الحاج أيوب بك الكبير (٤) تابع محمد بك أبو الذهب .

---

(١) اى فى سنة ١٧٨٠ ميلادية .

(٢) زعيم مصر : — ويعرف بالوالى وهو من أهم موظفى الادارة العثمانية فى مصر ، وكانت مهمته الاشراف على القاهرة وصيانتها وحماية أهلها من عبث المفسدين ، واللصوص ، ومروجى الفتن ، ومدمنى الخمر ، ويعاقب كلا من هؤلاء على حسب جريمته ، وكان مقر هذا الوالى او الزعيم بجوار باب زويلة ، وكان من مهماته الاشراف على تنفيذ احكام الاعدام فى المحكوم عليهم بها وتعليقهم على باب زويلة ويشار الى هذا الموظف أحيانا باسم الصوباشى ، ويعاونه فى عمله عدد من الموظفين ويرتبط عمله بالمحتسب واغا الانكشارية راجع :

دكتورة ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر ص ٢٣٨ .

(٣) اى فى سنة ١٧٨١ ميلادية .

(٤) ايوب بك الكبير من اتباع محمد بك ابو الذهب ، وقد انضم الى مراد بك وابراهيم بك ، ضد اسماعيل بك الكبير ، وقد شاركهما فى جميع الاحداث التى وقعت فى عهد سيطرتهما على مصر . وقد تولى الدفتردارية بعد وفاة سيده محمد ابو الذهب .

عن ترجمة أيوب بك واعماله راجع :

مصطفى الصنوى القلماوى : صفوة الزمان ص ٢١٦ ، عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ح ١ ص ٤١٤ ، جـ ٢ ص ٨٢ ، ١٠٥ ، ١٤٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، جـ ٣ ص ٤٣ ، ٧٤ .

وفى سنة سبعة وتسعين ومائة وألف (١) تولى امارة الحاج مصطفى بك الكبير السابق (٢) .

---

(١) أى فى سنة ١٧٨٢ ميلادية .

(٢) خرج مصطفى بك بالحاج فى ٢١ شوال سنة ١١٩٧ م وعاد به فى ٢٣ صفر سنة ١١٩٨ ثم خرج بالحاج فى عام ١١٩٨ هـ — ١٧٨٣ م فى موكب صغير يصفه الجبرتى بأنه موكب حقير جدا بالنسبة للمواكب المتقدمة ولما ذهب أمير الحاج الى البركة وأقام بها فى ١٤ شوال ظل ينتظر المبلغ المتأخر له من مال الصرة ، ولما قدم اليه ابراهيم بك طالبه بالمبلغ ليرحل ولكنه راوغه وأحاله على مراد بك بحجة أنه قبض « فردة البلاد » وانفرد بها ، واعترف مراد بك بذلك ولكنه حاول المراوغة ، ولما لم يجد بدا اضطر لدفع المبلغ وتشهيل الحج وقد أثر الاضطراب السياسى الذى كان يسود مصر فى تلك السنوات على موقف أمير الحاج الذى أصبح يجد كل المشقة فى تحصيل المبالغ المطلوبة لرحلة الحاج ولعل ذلك كان يؤدى به بالطبع الى التقصير فى دفع عوائد العربان الذين كانوا يهاجمون الحاج ويفتكون به أشد الفتك ، وهذا ما حدث لقافلة الحاج السابقة فى عودتها ففى ١٥ صفر سنة ١١٩٩ — ٣٠ ديسمبر ١٧٨٤ ميلادية .

« وصل الحجاج مع أمير الحاج مصطفى بك وحصل للحجاج فى هذه السنة مشقة عظيمة من الغلاء ، وقيام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة » فقد أصبحت عوائد العربان تتراكم عاما بعد عام حيث يمهلهم أمير الحاج الى العام القادم .

ولم يستطع أمير الحاج أيضا فى هذا العام أن يزور المدينة المنورة لعدم استطاعته دفع عوائد العربان فى طريقها . وهلك الكثيرون من الحجاج وكذلك الحيوانات من الجوع ، واضطر الكثيرون من الحجاج للانقطاع والتخلف ، وحتى الحجاج المغاربة لحقتهم المحنة فقد وقف لهم العربان فى سطح العقبة وحصروهم هناك ونهبوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا نحو عشرة أنفار .

ولم يعد من قافلة الحاج الى مصر الا الامير واتباعه .

راجــع : —

الجبرتى : عجائب الآثار ح ٢ ص ٨٢ ، ص ٩٢ .

الملاحق

فائمة بأسماء أمراء الحاج فى مصر إبان الحكم العثمانى فى الفترة من ٩٢٣ هـ – ١١٩٧هـ
(١٥١٧ م – ١٧٨٣ م)

السنة بالهجرى	السنة بالميلادى	اسم أمير الحاج	ملاحظات
٩٢٣	١٥١٧	القاضى علاء الدين بن الإمام	
٩٢٤	١٥١٨	القاضى بركات ابن موسى المحتسب	
٩٢٥	١٥١٩	الأمير برسباى الجركسى	
٩٢٦ – ٩٢٨	١٥٢٠ – ١٥٢١	الأمير جانم بن دولتباى كاشف الجسور	
٩٢٩	١٥٢٢	الأمير فارسى بن أزدمر	
٩٣٠ ، ٩٣١	١٥٢٣ ، ١٥٢٤	الأمر جانم الحمزاوى	كاشف البحيرة
٩٣٢	١٥٢٥	سنان باشا سيواس سابقاً	عثمانى
٩٣٣ ، ٩٣٤	١٥٢٦ ، ١٥٢٧	الأمير تنم بن مغلباى	ناظر الدشايش الشريفة
٩٣٥	١٥٢٨	الأمير على ابن أخت سليمان باشا	عثمانى
٩٣٦ ، ٩٣٧	١٥٢٩ ، ١٥٣٠	الأمير الجمالى يوسف	ابن الأمير جانم الحمزاوى
٩٣٨ – ٩٤٠	١٥٣١ – ١٥٣٣	الأمير مصطفى عبد الله الرومى كاشف الغربية	لقب بالنشار

٩٤٢ ، ٩٤١	١٥٣٥ ، ١٥٣٤	الأمير مصطفى بن إينال	
٩٤٧ — ٩٤٣	١٥٤٠ — ١٥٣٦	الأمير مصطفى النشار « السابق »	تولى الإمارة مدة خمس سنوات متصلة
٩٥١ — ٩٤٨	١٥٤٤ — ١٥٤١	الأمير جانم بن قنصوه دودار ابن السلطان الغورى	تولى إمارة الحاج أربع سنوات متصلة
٩٥٢	١٥٤٥	الأمير أيدين بن عبد الله الرومى	
٩٥٣	١٥٤٦	حسين أباظا من طائفة الجراكسة	
٩٥٧ — ٩٥٤	١٥٥٠ — ١٥٤٧	مصطفى باشا الممالك اليمنية سابقاً	عثمانى
٩٥٨	١٥٥١	محمود كتخدا داود باشا	
٩٥٩	١٥٥٢	ابراهيم بن عيسى باشا ولاية الشام سابقاً	عثمانى
٩٦٠	١٥٥٣ — ١٥٥٢	مصطفى باشا السابق	عثمانى
٩٦٢ ، ٩٦١	١٥٥٤ ، ١٥٥٣	حمزة بن اسكندر الرومى كاشف الغربية	
٩٦٧ — ٩٦٣	١٥٥٩ — ١٥٥٥	عيسى بك بن إسماعيل أمير عربان بنى عونة	أمير عربان بالبحيرة
٩٧٠ — ٩٦٨	١٥٦٢ — ١٥٦٠	الأمير عثمان بن أزدمر	
٩٧٢ ، ٩٧١	١٥٦٤ — ١٥٦٣	عيسى بك بن اسماعيل « السابق »	
٩٧٤ ، ٩٧٣	١٥٦٦ ، ١٥٦٥	سليمان بك الشهير بابن أبى سبحة	أمير عربان بنى عونة
٩٧٥	١٥٦٧	مراد بك كتخدا محمود باشا « المقتول »	عثمانى

السنة بالهجرى	السنة بالميلادى	اسم أمير الحاج	ملاحظات
٩٧٦	١٥٦٨	أحمد بك كجك	
٩٧٧ ـ ٩٧٨	١٥٦٩ ـ ١٥٧٠	مراد بك السابق	عثمانى
٩٧٩ ـ ٩٨١	١٥٧١ ـ ١٥٧٣	بهرام بك	
٩٨٢	١٥٧٤	على بك	
٩٨٣ ـ ٩٨٤	١٥٧٥ ، ١٥٧٦	حزم بك	
٩٨٥ ـ ٩٨٩	١٥٧٧ ـ ١٥٨١	مصطفى بك الشهير « بالأقنص »	
٩٩٠	١٥٨٢	عمر بك بن عيسى بن اسماعيل	أمير عربان بنى عونة
٩٩١	١٥٨٣	مصطفى بك الأقنص « السابق »	
٩٩٢	١٥٨٤	محمد بك بن أبى على الرشيدى	
٩٩٣ ـ ٩٩٥	١٥٨٥ ـ ١٥٨٦	مصطفى أغا ناظر العنبر الشريف	
٩٩٦ ـ ٩٩٧	١٥٨٧ ـ ١٥٨٨	محمود بك قاضى زادة	عثمانى
٩٩٨	١٥٨٩	جعفر بك الشهير بابن الجاويش	
٩٩٩ ، ١٠٠٠	١٥٩٠ ، ١٥٩١	عمر بك بن عيسى « السابق »	أمير عربان بنى عونة

هجرية	ميلادية	الاسم	ملاحظات
١٠٠١	١٥٩٢	على بك حاكم ولاية المنفلوطية	
١٠٠٢ ، ١٠٠٣	١٥٩٣ ، ١٥٩٤	عمر بك بن عيسى « السابق »	أمير عربان عربان بنى عونه
١٠٠٤ — ١٠١١	١٥٩٥ — ١٦٠٢	بيرى بك تولاها ثمانى سنوات متصلة	(من أنجح أمراء الحاج)
١٠١٢	١٦٠٣	حسين بك الشهير « بالدالى »	
١٠١٣	١٦٠٤	صالح بك	
١٠١٤	١٦٠٥	سنان بك الدفتر دار	عثمانى
١٠١٥ — ١٠١٩	١٦٠٦ — ١٦١٠	قاسم بك « رأس القاشمية »	تولاها ٥ سنوات متصلة
١٠٢٠	١٦١١	صالح بك « السابق »	
١٠٢١ ، ١٠٢٢	١٦١٢ ، ١٦١٣	قاسم بك « السابق »	
١٠٢٥ ، ١٠٢٦	١٦١٦ ، ١٦١٧	يوسف بك المعروف « بكامل بك »	واشتهر باسم قلاوون
١٠٢٧ — ١٠٣٣	١٦١٧ — ١٦٢٣	قاسم بك السابق »	تولاها سبع سنوات متصلة ونزل عنها باختياره لمملوكه قانصوه بك

السنة بالهجرى	بالميلادى	اسم أمير الحاج	ملاحظات
١٠٣٤ — ١٠٣٧	١٦٢٤ — ١٦٢٧	قانصوه بك « قاسمى »	
١٠٣٨ ، ١٠٣٩	١٦٢٨ ، ١٦٢٩	رضوان بك الشهير « بأبى الشوارب »	
١٠٤٠ — ١٠٤٨	١٦٣٠ — ١٦٣٨	رضوان بك الفقارى « رأس الفقارية »	تولاها ثمانى سنوات متصة
١٠٤٩	١٦٣٩	ولى بك الشهير « بترك بك »	
١٠٥٠ — ١٠٦٦	١٦٤٠ — ١٦٥٥	رضوان بك الفقارى « اشتهر دائماً بلقب أمير الحاج »	أطول أمراء الحاج عهدا فقد وليها ١٧ سنة متوالية
١٠٦٧	١٦٥٦	حسن بك الفقارى	
١٠٦٨	١٦٥٧	قيطاس بك الفقارى	
١٠٦٩	١٦٥٨	لاجين بك الفقارى	
١٠٧٠	١٦٥٩	ابراهيم بك الفقارى	
١٠٧١	١٦٦٠	ابراهيم بك « السابق »	
١٠٧٢ — ١٠٧٨	١٦٦١ — ١٦٦٧	أزبك بك	

١٠٧٩	١٦٦٨	سياوش بك	
١٠٨٠	١٦٦٩	يوسف بك	
١٠٨١ — ١٠٨٢	١٦٧٠ — ١٦٧١	أزبك بك	
١٠٨٣ — ١٠٨٦	١٦٧٢ — ١٦٧٥	يوسف بك الجركسى	
١٠٨٧ — ١٠٩٧	١٦٧٦ — ١٦٨٥	ذو الفقار بك تابع حسن بك	
١٠٩٨	١٦٨٦	اسماعيل بك تابع حسن بك	
١٠٩٩ — ١١٠٠	١٦٨٦ — ١٦٨٧	ابراهيم بك أبو شنب	
١١٠١	١٦٨٩	ابراهيم بك بن ذوالفقار بك	
١١٠٢ — ١١٠٦	١٦٩٠ — ١٦٩٤	ابراهيم بك ابن ذو الفقار « السابق »	
١١٠٧ — ١١١٦	١٦٩٥ — ١٧٠٤	أيوب بك تابع درويش بك الفقارى	تولى الإمارة عشر سنوات متصلة
١١١٧ — ١١٢٠	١٧٠٥ — ١٧٠٨	قيطاس بك	
١١٢١	١٧٠٩	إبراهيم بك « السابق » أبو شنب	
١١٢٢	١٧١٠	جركس عوض بك	
١١٢٣	١٧١١	يوسف بك الجزار	
١١٢٤	١٧١٢	قيطاس بك « السابق »	

السنة بالهجرى	السنة بالميلادى	اسم أمير الحاج	ملاحظات
١١٢٥ ، ١١٢٦	١٧١٣ ، ١٧١٤	محمد بك تابع قيطاس بك	
١١٢٧ — ١١٣٢	١٧١٥ — ١٧١٩	عبد الله بك تابع عوض بك	
١١٣٦ ، ١١٣٧	١٧٢٣ ، ١٧٢٤	محمد بك بن اسماعيل بك السابق	
١١٣٨	١٧٢٥	قيطاس بك الصغير	
١١٣٩	١٧٢٦	ذو الفقار بك تابع عمر أغا بلفيا	
١١٤٠	١٧٢٧	رضوان بك تابع حسن أغا بلفيا	
١١٤١	١٧٢٨	محمد بك السابق تابع قيطاس بك	
١١٤٢	١٧٢٩	محمد بك القولى قول	
١١٤٣	١٧٣٠	محمد بك « قطامش » قيطاس السابق	
١١٤٤	١٧٣١	على بك تابع محمد بك قيطاس « قطامش »	
١١٤٥ — ١١٤٦	١٧٣٢ ، ١٧٣٣	محمد بك قيطاس السابق « قطامش »	
١١٤٧	١٧٣٤	محمد بك قيطاس السابق	
١١٤٨	١٧٣٥	رضوان بك السابق « بلفيا »	

١١٤٩	١٧٣٦	ابراهيم بك تابع محمد بك قيطاس
١١٥٠ — ١١٥٣	١٧٣٧ — ١٧٣٩	عثمان بك تابع ذو الفقار « بلفيا »
١١٥٤	١٧٤٠	عمر بك بن على بك تابع « قطامش »
١١٥٥	١٧٤١	عثمان بك ذو الفقار السابق
١١٥٦	١٧٤٢	ابراهيم بك تابع مصطفى بك بلفيا
١١٥٧	١٧٤٣	عمر بك الاختيار « تابع رضوان بك الفقارى »
١١٥٨ — ١١٥٩	١٧٤٤ — ١٧٤٥	خليل بك قيطاس « تابع محمد بك قطامش »
١١٦٠	١٧٤٦	ابراهيم بك بلفيا « السابق »
١١٦١ — ١١٦٤	١٧٤٧ — ١٧٥٠	عمر بك الإختيار « السابق »
١١٦٥ — ١١٦٦	١٧٥١ — ١٧٥٢	على بك تابع ابراهيم كتخدا قازد غلى
١١٦٧	١٧٥٣	عمر بك الاختيار « السابق »
١١٦٨ ، ١١٦٩	١٧٥٤ ، ١٧٥٥	حسين بك تابع ابراهيم كتخدا قازد غلى
١١٧٠	١٧٥٦	محمد بك بن اسماعيل بك الدالى
١١٧١	١٧٥٧	حسين بك كبير كشكش تابع ابراهيم كتخدا قازدغلى
١١٧٢	١٧٥٨	صالح بك تابع مصطفى بك شاهين
١١٧٣	١٧٥٩	على بك كبير

السنة بالهجرى	بالميلادى	اسم أمير الحاج	ملاحظات
١١٧٤ — ١١٧٧	١٧٦٠ — ١٧٦٣	حسين بك كشكش السابق	
١١٧٨	١٧٦٤	على بك الصغير تابع « القازد غلى »	
١١٧٩	١٧٦٥	حسين بك تابع عمر الاختيار	
١١٨٠ — ١١٨١	١٧٦٦ — ١٧٦٧	خليل بك	
١١٨٢	١٧٦٨	حسن بك تابع عمر بك السابق	
١١٨٣ — ١١٨٥	١٧٦٩ — ١٧٧١	خليل بك « السابق « بن ابراهيم بلفيا »	
١١٨٦	١٧٧٢	إبراهيم بك تابع محمد بك أبو الذهب	
١١٨٧	١٧٧٣	اسماعيل بك دفتر دار سابق قازد غلى	
١١٨٨	١٧٧٤	اسماعيل بك	
١١٨٩	١٧٧٥	يوسف بك تابع محمد بك أبو الذهب	
١١٩٠	١٧٧٦	مراد بك تابع محمد أبو الذهب « أرسل بدلا منه »	مصطفى بك
١١٩١	١٧٧٧	يوسف بك السابق	
١١٩٢	١٧٧٨	رضوان بك بن خليل بك بلفيا	
١١٩٣	١٧٧٩	مراد بك « السابق »	

١١٩٤	١٧٨٠	مصطفى بك تابع « أبو الذهب »
١١٩٥	١٧٨١	ابراهيم بك الصغير تابع « أبو الذهب »
١١٩٦	١٧٨٢	أيوب بك تابع محمد أبو الذهب
١١٩٧	١٧٨٣	مصطفى بك « السابق »

مصادر هذه القائمة لأمراء الحاج : :

١ ـ أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج .

٢ ـ أحمد الدمرداش : الدرة المصانة .

٣ ـ مصطفى إبراهيم : وقائع مصر القاهرة .

٤ ـ ابن الوكيل : تحفة الأحباب

٥ ـ الصوالحى : الصواعق فى واقعة الصناجق .

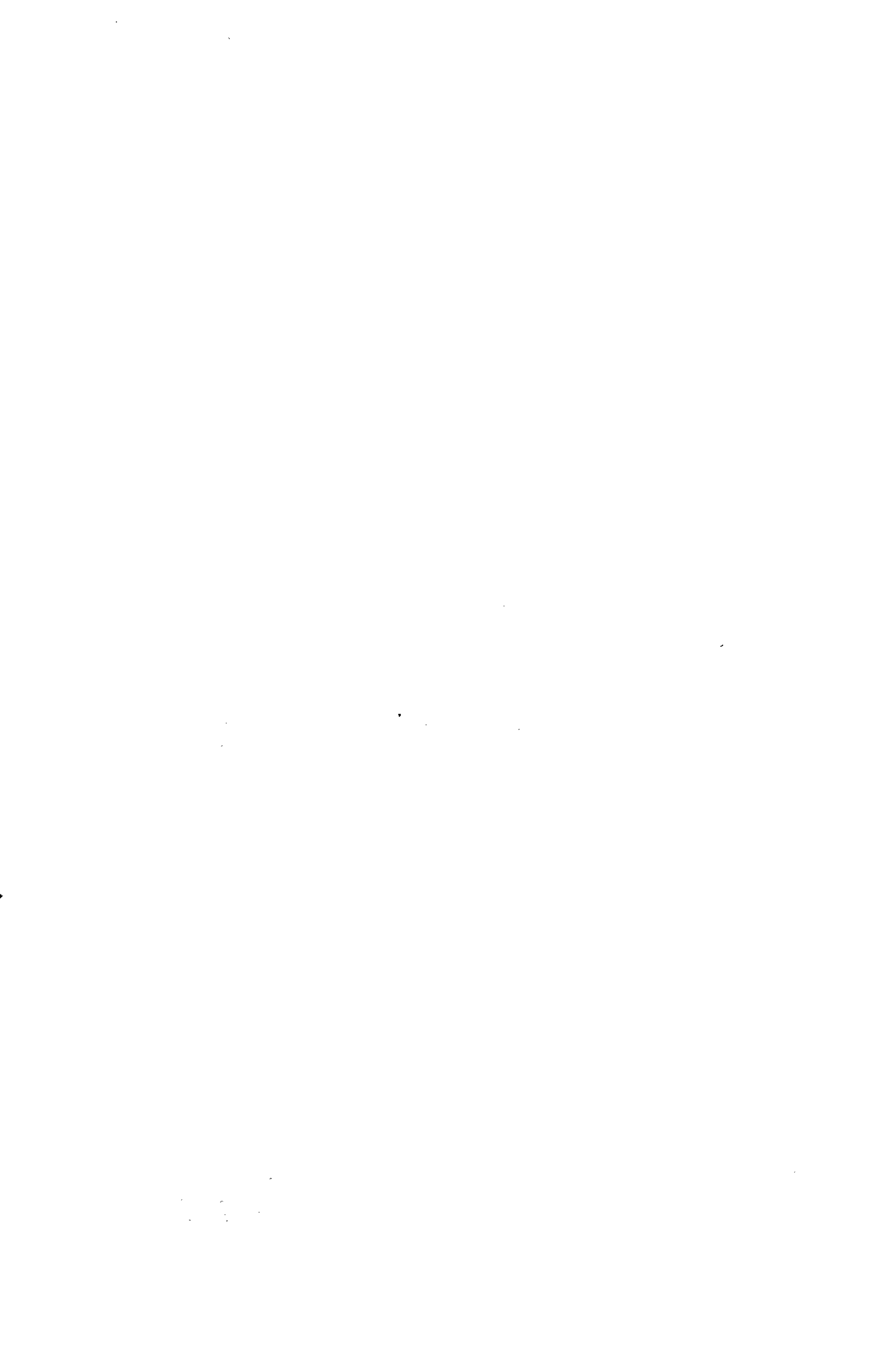
٦ ـ ابن أبى السرور البكرى : النزهة الزهية .

٧ ـ الاسحاقى : أخبار الأول .

٨ ـ عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار .

٩ ـ سجلات المحكمة الشرعية

١٠ ـ سجلات دار الوثائق بالقلعة الخاصة بالعصر العثمانى .



فهارس الكتاب

أولا : فهرس الاعـــلام

ثانيا : فهرس الوظائف والمصطلحات

ثالثا — فهرس الأماكن والبلاد

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية

١ ــ الوثائق

١ ــ من مجموعة وثائق العصر العثمانى المحفوظة حاليا بدار الوثائق بالقلعـــة :
ــ دفاتر اجمال مصاريف خزينة ارسالية .
ــ دفاتر ايرادات ومصاريف خزينة مصر .
ــ دفاتر صرة أهالى حرمين شريفين .
٢ ــ من سجلات العصر العثمانى المحفوظة بدفتر خانة الشهــــر العقارى بالقاهرة :
١ ــ سجلات الديوان العالى .
٢ ــ سجلات المحاكم الشرعية .

٢ ــ الكتب والمخطوطات

١ ــ الأزرقى (أبو الوليد محمد بن أحمد) :
أخبار مكة الجزء الثانى ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٥٧ هـ .
٢ ــ الاسحاقى (محمد عبد المعطى) :
اخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول . القاهرة ، ١٣١٠هـ
٣ ــ ابن أبى السرور البكرى (محمد) :
النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية مخطوط بمكتبــة رفاعة بسوهاج برقم ٢٢٦٦ تاريخ ومنه نســخة مصـــورة بدار الكتب بالقــاهرة .
٤ ــ ابن الوكيل « يوسف الملوانى » :
تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب مخطوط بمكتبــة رفاعة بسوهاج تحت رقم ٢٨ تاريخ .
٥ ــ ابن بشر (عثمان بن عبد الله) :
عنوان المجد فى تاريخ نجد ح ١ الرياض ١٣٨٥ هـ .
٦ ــ ابن تغردى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ح ٥ ، ح ٩ مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٩٢٩ ــ ١٩٥٠ م .
٧ ــ ابن زنبل الرمال « أحمد » :
واقعة السلطان سليم بن عثمـــان مع السلطان الغـــورى ، تحقيق عبد المنعم عامر نشره بعنوان « آخرة المماليك » ، القاهرة ١٩٦٢ .
٨ ــ ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى) :

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك باريس ١٨٩٤
٩ — ابن طولون « محمد » :
مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان .
تحقيق محمد مصطفى — القاهرة — ١٩٦٤ .
١١ — أحمد جوت : تاريخ جودت :
ترجمة عبد القادر الدنا بيروت ١٣٠٨ هـ .
١٢ — أحمد شلبى :
أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات .
تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن — القاهرة ١٩٧٨ .
١٣ — أحمد الشنتناوى ، وحافظ جلال ، عبد الحميد يونس وآخرون :
دائرة المعارف الاسلامية ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٤ م
١٤ — البديرى (أحمد) :
حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ هـ — ١١٧٥ هـ .
تحقيق دكتور أحمد عزت عبد الكريم — القاهرة ١٩٥٩ م .
١٥ — البكرى (محمد توفيق) :
بيت الصديق ، القاهرة ١٩٢٣ هـ .
١٦ — الجبرتى (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار
ح ١ ، ح ٢ ، ح ٣ بولاق ١٢٩٧ هـ .
١٨ — الجزرى الحنبلى (عبد القادر الأنصارى) :
درر الغرائد المنظمة فى اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .
مخطوط بدار الكتب بالقاهرة برقم ٤٣٤ تاريخ .
١٩ — الخزرجى (على بن الحسن) :
العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ليدن ١٩١٨ م .
٢٠ — الدمرداش « أحمد كتخدا عزبان » :
الدرة المصانة فى اخبار الكنانة
مخطوط فى جزئين بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR,1073
٢١ — الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) :
تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الأعلام ح ٢ ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
٢٢ — السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) :
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
٢٣ — الشناوى (عبد العزيز محمد) دكتور :
دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ابان الحكم العثمانى، القاهرة — ١٩٧٢ .
٢٤ — الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك، ح ٣ ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

٢٥ ــ القلعاوى (مصطفى الصفوى الشافعى) :
صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج تحت رقم ٥١ تاريخ .
٢٦ ــ القلقشندى (أبو العباس أحمد) :
صبح الأغشى فى صناعة الانشــا .
ح ٣ ، ح ٥ مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٩ م .
٢٧ ــ المحبى (محمد فضل الله) :
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر
ح ٢ القــاهرة ١٢٨٤ هـ .
٢٨ ــ المصرى (ابراهيم العبيدى) :
عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق .
٢٩ ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) :
ــ السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة
ح ١ ، ح ٢ ، القاهرة ١٩٤٠ .
ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ح ١ ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
٣٠ ــ توفيق الطويل (دكتور) :
التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ــ القاهرة ١٩٠٤ .
٣١ ــ حسين أفندى « الروزنامجى » :
ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية تحقيق محمد شــفيق غربال ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ح ١ ، مايو ١٩٣٦ .
٣٢ ــ ساطع الحصرى :
البلاد العربية والدولة العثمانية ــ بيروت ١٩٦٠ .
٣٣ ــ سيد مصطفى سالم (دكتور) :
الفتح العثمانى الاول لليمن ، القاهرة ١٩٧٦ .
٣٤ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
قلعة صلاح الدين الايوبى وما حولها من الآثار ، القاهرة ١٩٧١ م
٣٥ ــ عبد السلام هارون :
تحقيق النصوص ونشرها ، ط ٤ ، القاهرة ١٩٧٧ م .
٣٦ ــ عبد الكريم رافق (دكتور) :
بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون ــ دمشــق ١٩٦٨ م .
٣٧ ــ على مبــارك :
الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشــهيرة
ح ٣ ، ح ٩ ــ القاهرة ١٣٠٥ م

٣٨ — عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، نشره كاى فى لندن ١٣٠٩
٣٩ — فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام .
ترجمة ادوارد البستانى ١٩٤٩ م .
٤٠ — ليلى عبد اللطيف (دكتورة) :
— الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٧٨ .
دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ابان العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٧٩
— شيخ العرب همام وحكم ولاية جرجا ، رسالة ماجستير سنة ١٩٧٠ تحت النشر .
٤١ — محمد رفعت رمضان (دكتور) : على بك الكبير ، القاهرة ١٩٥٠ .
٤٢ — محمد رمزى :
القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، قسم ٢ ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣
٤٣ — محمد لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية ١٣٢٧ هـ .
٤٤ — محمد مختار :
التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . بولاق ١٣١١ هـ .
٤٥ — مصطفى ابراهيم عزبان :
تاريخ وقائع مصر القاهرة .
١١٠٠ هـ — ١١٥٠ هـ
مخطوط بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٤٠٤٨ تاريخ .

ثانياً : المراجع غير العربية

Ayalon (David)

Studies on the Structure of the Mamluk Army in (B.S.O.A.S), vol, xvi, P, I, 1953.

2. BRUCE ;

Travels to discover the Source of the Nile London, 1804

3 Dozy ;

Supplément aux Dictionnaires Arabes, Brill, Leiden 1881

4. Gibb and Bowen :

Islamic Society and the West P,I, London 1960

5. Holt (P.M) ;—

Al Gabarti's introduction of the History of Ottoman Egypt In (B.S.O.A,S), xxv, I, 1962

—The Exalted linage of Ridwan Bey in (B.S.O.A.S), xx 11,2 London, 1959

. J1 mier (J) ;

Le Mahmal et la Caravane Egyptinne des pélerins de La Macque (xiii-xx Siécles), Le Caire 1953)

7. L'usignan (S.K)

The History of the Revolt of Ali Bey London, 1783

8, Trease ;

Le Pelérinage Syrien, Paris, 1937.

رقم الايداع ٣٤٤٦/١٩٨٠

مطبعة المجد ت ٩١٣١٥٤